

العالم بأصابع مصرية

العالم بأصابع مصرية

الدكتور السيد بهنسي

أستاذ الإعلام بجامعة عين شمس

بهنسى ، السيد
العالم بأصابع مصرية / السيد بهنسى . ط 2 . - القاهرة : عالم
الكتب ، 2008

386 ص ، 24 سم

تدمك : 0 - 631 - 232 - 977

1- الثقافة العربية

أ - العنوان

301.20953

عالم الكتب

نشر. توزيع . طباعة

❖ الإدارة :
16 شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون : 23924626
فاكس : 0020223939027

❖ المكتبة :
38 شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون : 23926401 - 23959534
ص . ب 66 محمد فريد
الرمز البريدى : 11518

❖ الطبعة الأولى لعالم الكتب
1429 هـ - 2008 م

❖ رقم الإيداع 3349 / 2008

❖ الترفيم الدولى I.S.B.N

0 - 631 - 232 - 977

❖ الموقع على الإنترنت : WWW.alamalkotob.com

❖ البريد الإلكتروني : Info@alamalkotob.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

إهداء

إلى بيتنا القديم ... بجوار قلعة صلاح الدين
إلى كل دروب هذا الحى التى صارت شرايبنى
إلى نبض وعبق وذكريات كل شئ فى هذا المكان
وإلى سنوات العمر الجميل ... يوم كانت
كل الأحلام قادمة

قبل أن تقرأ هذا الكتاب

بعيداً .. بعيداً .. منذ أكثر من خمسة آلاف عام ، وفي أحضان بقعة
مصرية صغيرة بالقرب من قرية ميت رهينة بالجيزة الآن بدأ من مدينة منف
تاريخ هذا العالم.

وعبر هذه الرحلة الطويلة من ذلك التاريخ الممتد قاد المصريون مسيرة
العالم قرونًا طويلة ، وأضاعوا بالعلم والتّمدن لئاليه المظلمة ، كانت أحلامهم
متجاوزة كل شيء كي يقدموا للعالم حضارة تليق بهم ، وبالإنسان الذى كرمه
الله .. حضارة سرها أنها كانت نبتاً مصرياً خالصاً من هذه الأرض ، صنعها
من أحب مصر يوماً فأخلص لها بلا حدود ، من أبى أن يمضى رقماً كما جاء ،
وأصر أن يأتى فى تاريخها فارساً ممتطياً شهاباً ، يقول كلمته فى صدق ، ويفعل
ما ينبغى فى صدق ثم يمضى فارساً كما جاء.

حين كان العالم يخطو خطواته الأولى متعثراً ، كان فى مصر دولة ،
وحكم ، ونظام ، وشعب مستبصر أنشأ متأنياً حضارته ، ودانت له بالعلم كل
مجالات الحياة ، وانطلق خارج حدوده يحكم ، ويوقظ ، ويعلم ، وينشئ ما يزال
يدل القادمين عليه ، ويبرهن لهم على قدرته المبهرة التى لم يطلقها كي يعيش ،
وإنما ليحيا ويسود ، قدراته التى قدمت للعالم أول أبجدية عرفها التاريخ ، وأول

تقويم للأيام والسنين ، وأول مكتبة للمعرفة ، وأول جامعة علمية ، وأقدم دساتير الطب ، وأشهر روايات الأدب ، وأهم الألعاب الرياضية ، وأول إمبراطورية مختلفة الشعوب ، واثنين من عجائب الدنيا السبع مازالت أهمها هي الوحيدة الباقية ، بل في مصر وبالتحديد في الإسكندرية تغيرت علاقة الشمس بالأرض .

وإذا كان سبق أجدادنا المصريين يعد شرفاً لنا نقدره إكباراً ولا ندعيه ، فإن دورنا في مسيرة الحضارة لم يقف - كما يدعى من لا يعرف - عند ذلك الزمن البعيد ، فحديثاً كانت مصر أول دولة في أفريقيا يخطو فيها الإسلام خطواته الأولى ومنها انطلق ، وعلى نيلها بنى المصريون أول أسطول بحري للفتوحات الإسلامية ، واستطاع أبناؤها أن يهزموا جيوش التتار وأن يوقفوا زحفهم المدمر على المدينة الحديثة ، وكانت أول دولة عربية وأفريقية عرفت الصحافة والسينما، وأنشأت أول مجمع للغة العربية ، وقدم أبناؤها أول رواية عرفتها اللغة العربية ، وسبقت كل الشرق حين أنشأت أول خط سكك حديدية ، وكانت أول دولة تشترك في الدورات الأولمبية من خارج أوروبا وأمريكا ، ومنها خرج أول شرقي ليعبر المانش ، وسبقت العرب وأفريقيا كلها في ممارسة الألعاب الرياضية ، وحصل أربعة من رجالها على جوائز نوبل الرفيعة في السلام والأدب والكيمياء .

إنها مصر التي كرمها الله في القرآن الكريم ، وأوى إليها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام وخرج منها بنسب يعتز به الإسلام ، وعلى أرضها نشأ يوسف عليه السلام بعد تأمر إخوته عليه ، وفيها ارتقى وملك خزائنها ، وفيها نشأ موسى عليه السلام وتلقى رسالة ربه ، واحتفى بها عيسى عليه السلام من بطش بنى إسرائيل ، وتزوج منها محمد صلى الله عليه وسلم وأوصى بأهلها خيراً.

وكى يزهر الآتى يجب أن نعرف من أين تأتي الجنور؟! وكيف أنت؟! وإذا كان لكل أمة أوجاعها ، فإن لها أسرار قوتها ، وقد يكمن فى الأمس سر الغد القادم .. وهذا ما دفعنى لأضع هذا الكتاب ، ذلك أننا نعرف من تاريخ العالم - الذى لم يكن يوم كنا - أكثر مما نعرف عن أنفسنا، وأقل بكثير مما يعرف ذلك العالم عنا .. هل ألفنا الطريق فأصبحت التفاصيل لا تثيرنا !!!؟ هل تعودنا الملامح فلم يعد هناك جديد فيما نراه !!!؟ هل نسينا ما أراد لنا البعض أن ننساه !!!؟ وهو ما كان لا ينبغى لنا إلا أن نتأمله ونستلهمه !!!؟

إننا نقطة البداية ... يجب أن نعلم من نحن ؟ ومن نكون؟ كى نحدد ماذا نريد؟ وماذا نقدر عليه؟ وهذا ما حاول كتابى أن يجيب عليه ، وهو بعض من فيض كثير ، وصفحات من كتاب كبير اسمه " مصر " .

ولا يفوتنى أن أتقدم بتقديرى لكل الكتاب الذين سبقونى فى الكتابة عن مصر ، وأعانتى مؤلفاتهم فى صياغة هذا العمل .

والآن .. هذا كتابى يقدم مصر إليك .. وأرجو أن يكون الله قد وفقنى فيما قدمت .

مع تقديرى ...،،،

القاهرة : ٢٠٠٨/١/١

أ.د السيد بهنسى

مصر فى القرآن الكرىم

اختص الله تعالى مصر فى القرآن الكرىم بمكانة وتكرىم عظمىمىن ، وأنزل على نبىه محمد صلى الله عليه وسلم آيات بىنات تؤكد ما حباها من فضل .. وشهد بمنزلتها فى قرآنه العظمىم ، وذكرها باسمها ، وكرر ذكرها فى آيات كثرىة ، وروى من أحداثها ما ينبئ عن أحوالها وخىراتها وثرائها ، وأحوال الأنبىاء والملوك الذىن عاشوا بها ، وأقسم بجبل الطور الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ، وشهد للعدىد من أماكنها بالرفعة ، وكفى بالقرآن الكرىم شهىداً.

وقد ورد ذكر مصر فى القرآن الكرىم فى آيات عدىدة .. فقد جاء ذكرها صراحة ونصاً فى أربع آيات هى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
يونس (٨٧)

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
يوسف (٢١)

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوَتِهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾

يوسف (٩٩)

﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

الزخرف (٥١)

كما جاء ذكر مصر بصورة غير مباشرة عن طريق ذكر أماكن أو

أشخاص أو أحداث جرت بها في آيات كثيرة :

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ ﴾

التين (١ ، ٢)

﴿ وَشَجَرَةَ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلآكِلِينَ ﴾

المؤمنون (٢٠)

وقد ذكر في هاتين الآيتين طور سينين أو طور سيناء ، والمقصود به

جبل الطور بسيناء ، الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام .

وفي قصة يوسف عليه السلام والتي دارت اغلب أحداثها في مصر ،

جاء ذكرها بشكل غير مباشر في آيات كثيرة ، ففي سورة يوسف جاءت في

الآيات ٢٣ إلى ٦٢ ، ٦٧ إلى ٨٢ ، ٨٨ إلى ٩٣ ، ٩٩ إلى ١٠٠ ، ومن هذه

الآيات :

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا

يوسف (٣٠)

فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ

يوسف (٤٢)

فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتِنِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ

يوسف (٥٤)

أَمِينٌ ﴾

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الصُّرُورَ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾
يوسف (٨٨)

وهنا نجد في الآيات ذكر العزيز وامراته ويوسف عليه السلام وأخوته وأحداث قصتهم التي جرت بمصر .

وفي قصة موسى عليه السلام جاءت مصر في آيات كثيرة ، فبعد مولده أوحى الله إلى أمه أن تلقه في اليم .. واليم في اللغة العربية البحر أو النهر وهو كذلك في اللغة المصرية القديمة ، ولذلك ورد لفظ اليم في القرآن ثمانى مرات لم يذكر في إحداها في غير ما يخص مصر حيث ذكر بمفهوم النيل ثلاث مرات وأطلق على البحر الذى غرق فيه فرعون خمس مرات :

﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾

الأعراف (١٣٦)

﴿ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ طه (٣٩)

﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ﴾ طه (٣٩)

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ طه (٧٨)

﴿ لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ طه (٩٧)

﴿ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾ القصص (٧)

﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ القصص (٤٠)

﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ الذاريات (٤٠)

كما ورد ذكر مصر بصورة غير مباشرة في قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه في (٢٧) سورة هي سور البقرة وآل عمران والأعراف والأنفال ويونس وهود وإبراهيم والإسراء وطه والمؤمنون والشعراء والنمل

والقصص والعنكبوت وص وغافر والزخرف والدخان وق والذاريات والقمر
والتحريم والحاقة والمزمل والنازعات والبروج والفجر ، وقد جاء ذكر فرعون
وامراته وقومه فى أكثر من سبعين آيه منها :

﴿ وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ
وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

القصص (٩)

﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾

طه (٤٤، ٤٣)

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ
أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾

القصص (٤)

كما جاء ذكر أماكن أحداث جرت فى مصر فى آيات كثيرة روت قصة
موسى عليه السلام منها :

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ
وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾

القصص (١٥)

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

القصص (٢١)

وتشير هاتان الآيتان إلى المدينة المصرية التى كان يعيش فيها موسى
وحادث قتله لأحد المصريين.

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ
امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ
(٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا
مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

القصص (٢٩، ٣٠)

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ طه (١٢)

وتدل هاتان الآيتان على تلك البقعة المباركة من سيناء والتي تلقى فيها موسى رسالة ربه.

كما جاء ذكر غرق فرعون في سورة يونس :

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾
يونس (٩٢)

كما جاءت قصة موسى والخضر عليهما السلام في سورة الكهف ، ويذكر بعض المؤرخين أن موسى وعد بقاء الخضر في مصر حيث لقيه في بعض رحلاته شرقي الدلتا ، حيث يجتمع البحران المتوسط والأحمر ويوشك أن تجمع بينهما بحيرات المنزلة والبلاح والبحيرات المرة وبحيرة التمساح وقد يكون ذلك عند أحد مصبات النيل وهو " مجمع البحرين " الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ، حيث أن من المأثور من سيرة موسى أنه لم يغادر مصر إلا إلى مدين أولاً ثم مع بنى إسرائيل متوجهاً إلى فلسطين.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾
الكهف (٦٠)

كما قدر الله لنبيه عيسى بن مريم أن يهبط مصر حين كان في المهدي

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾

المؤمنون (٥٠)

وقد أجمعت التفسيرات على أن " الربوة " الواردة في الآية هي مصر ، وإن كان البعض قد اختلف في تحديد المكان فالبعض يقول إنها المنطقة بين عين شمس ومصر القديمة ، بينما يقول البعض أنها قرية البهنسا في المنيا ، ويقرر البعض أن المقصود بالربوة مصر بشكل عام.

مصر فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

شرفت مصر بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، وقد كتب إلى المقوقس والى الروم كتاباً يقول فيه " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام فأسلم تسلم يوثك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم كل القبط .. يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون "

وقد رد المقوقس على كتاب الرسول رداً جميلاً وأرسل بعض الهدايا إليه.

وعن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمماً ورحماً .. " والمراد بالرحم أنهم أخوال إسماعيل بن سيدنا إبراهيم الخليل عليهما السلام فقد كانت السيدة هاجر أم إسماعيل مصرية ، وإسماعيل عليه السلام والد عرب الحجاز الذين منهم النبى صلى الله عليه وسلم ، كما يعد المصريون أخوال إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أمه مارية كانت مصرية أهداها المقوقس حاكم مصر حين بعث برده على رسالة النبى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لكم منهم صهراً وذمة "

كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم عند وفاته بأهل مصر قائلاً :
"الله الله فى قبط مصر ، فإتكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعواناً فى سبيل الله ."

كما قال صلى الله عليه وسلم عن قبط مصر " إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم فاستوصوا بهم خيراً فإنهم قوة وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله ."

وقال صلى الله عليه وسلم " استوصوا بالقبط خيراً فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم ."

وأخرج ابن عبد الحكم عن موسى بن أبى أيوب الياضى عن رجل من المرید " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فأغمى عليه ثم أفاق فقال : استوصوا بالأدم الجعد ثم أغمى عليه ثم أفاق فقال مثل ذلك فقال القوم : لو سألنا رسول الله صلى الله عليه من الأدم الجعد ، فأفاق فسأله ، فقال " قبط مصر فإنهم أخوال وأصهار وهم أعوانكم على عدوكم وأعوانكم على دينكم فقالوا كيف يكونون أعواننا على ديننا يا رسول الله فقال يكفونكم أعمال الدنيا وتتفرغون للعبادة فالراضى بما يؤتى إليهم كالفاعل بهم ، والكاره لما يؤتى إليهم من الظلم كالمستنزى عنهم ."

وأخرج ابن عبد الحكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا منها جنداً كثيراً فذلك خير أجناد الأرض ، فقال له أبو بكر - رضى الله عنه - ولى يا رسول الله ؟ قال لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة ."

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الله الله فى أهل الذمة أهل

المدرّة السود السحم الجعاد فإن لهم نسباً وصهراً " ذلك أن ثلاثة من الانبياء قد صاهروا المصريين ، إبراهيم عليه السلام تزوج هاجر وأنجب منها إسماعيل ، ويوسف عليه السلام ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ماريّة وأنجب منها إبراهيم .

كيف كانت مصر قبل أن يبدأ التاريخ؟

تعد مصر هي الدولة الوحيدة في العالم التي يمكن تتبع تاريخها وحضارتها منذ عصر ما قبل التاريخ وحتى الآن ، ويقدر العلماء ظهور الإنسان على أرض مصر لأول مرة منذ نحو مائة ألف سنة قبل العصر التاريخي ، حيث كانت الحضارة في أول أمرها غاية في البساطة ثم أخذت تنمو وترتقى ببطء شديد حتى بدأ العصر التاريخي عام ٣٢٠٠ ق.م .. ويرجع الفضل في كشف حضارة مصر في عصر ما قبل التاريخ إلى جهود العلماء والمنقبين الذين قاموا ببحوثهم في مناطق مختلفة من مصر ، في الفيوم والبدارى بأسبوط ونقادة بقنا والمعادي وحلوان وغيرها من المدن التي كانت مراكز الحضارة منذ آلاف السنين .

وينقسم عصر ما قبل التاريخ في مصر إلى عدة عصور تعرف بالعصور الحجرية ، حيث صنع الإنسان معظم أدواته من الحجر ، وهذه العصور هي :

١- العصر الحجري القديم .

٢- العصر الحجري المتوسط .

٣- العصر الحجري الحديث.

فكيف كانت مصر منذ أكثر من مائة ألف عام .. ؟

منذ آلاف السنين ، أتى على أوروبا حين من الدهر غطى الثلج أراضيها وعطل الحياة ، وفي نفس الوقت كان شمال إفريقيا بما فيه مصر كثير المطر ، وكان من أثر ذلك أن نمت على الهضاب والصحارى فى مصر أعشاب كثيرة وأشجار متفرقة وعاش فيها حيوانات كالوعل والغزال والأغنام البرية والبقرة الوحشى والضباع ، وكان وادى النيل مليئاً بالمستقعات لكثرة طغيان النهر وفيضانه وعاشت على ضفافه التماسيح والفيلة وعجول البحر.

وقد فضل المصريون الأوائل أن يعيشوا فوق الهضاب هروباً من الحيوانات الضارية وطغيان النهر ، وشقوا كهوفاً فى الصخور يأوون إليها ، ويقيمون المواعد عند مداخلها وعاشوا على الفطرة يجمعون الثمار من الأشجار ، ويصيدون الطير والحيوان ، وصنعوا أدوات غاية فى البساطة تعينهم على هذه الحياة من حجر الصوان أهمها البلطة والسكين والمنشار ودبابيس ذات مقابض خشبية ، وكانت أدوات خشنة كبيرة الحجم ثم أخذ حجمها يتضاءل ونوعها يتحسن بمرور الزمن ، كما عرف المصري القديم كيف يوقد النار ويطهو الطعام .. ويعرف هذا العصر بالعصر الحجري القديم ، ووجدت آثار هذه الفترة فى كوم أمبو وحلوان والفيوم وسقارة.

وظل المصريون على هذا الحال عشرات الآلاف من السنين تغيرت خلالها الأحوال المناخية فقل سقوط المطر ، وقلت الحشائش على الهضاب وهجرها الحيوان ، وردم الطمى المتخلف من فيضان النيل معظم المستقعات ، وهبط المصريون إلى الودادى حيث النبات الوفير وصيد البر والبحر ، ثم أخذوا بالتدريج يعتمدون على ماء النهر لا على المطر كما كانوا يفعلون من قبل ،

واهتموا إلى زراعة الأرض ، وأخذوا يتتبعون أدوار نمو الزرع وبذلك بدأت حضارة المصريين تعتمد على الزراعة بدلاً من الاعتماد على الصيد.

وبمعرفة المصريين للزراعة اضطروا للاستقرار والثبات ، وتركوا حياة الترحال وأخذت القبائل تجتمع وتقيم قرى لسكانها ومهد هذا لقيام المدن .. وكانت القرية تتكون من أكواخ من الغاب وأغصان الشجر وتطلى من الخارج بالطين وتسقف بحصير من الغاب أو بجلد الحيوان ، وكان يوضع موقد فى مدخل الكوخ ترص بجواره قذور مختلفة الأحجام يحفظ الماء فى بعضها ويخزن الطعام والغلل فى البعض الآخر.

وفى هذا العصر - العصر الحجري المتوسط - تعددت الأدوات والآلات تبعاً للانتقال من حياة الرعى والصيد إلى الحياة الزراعية ، وتنوعت المواد المستخدمة فى صناعاتها وتحسن نوعها ، فقد صنعوا أسنة الحراب الدقيقة ورؤوس الفؤوس اللازمة للزراعة ، والمكاشط الخاصة بصناعة الجلد ، والمدى والمناشير ، كما استعملت العظام فى عمل أسنة الخطاطيف والإبر وغيرها من الصناعات الدقيقة ، وبرع المصريون فى ذلك العصر فى صناعة أبيسهم من الفخار ذى اللونين الأحمر والأسود ، وصنعوا نماذج جميلة من الأطباق والأكواب والأباريق ، وكانت أدوات الزينة فى هذا العصر بسيطة مصنوعة من عظام الحيوانات أو الطين المحروق.

وكان المصريون فى ذلك العصر يدفنون موتاهم فى مدافن قريبة من القرى وعلى حافة الصحراء لتكون بعيدة عن فيضان النيل ، وكان القبر عبارة عن حفرة بسيطة قريبة من سطح الأرض ، وكانوا يضعون مع المتوفى بعض الحبوب وأوان تحوى الطعام والشراب وأدوات الزينة والأدوات التى كان يستعملها فى حياته مما يدل على أنهم كانوا يعتقدون فى حياة أخرى بعد الحياة

الدنيا .. وقد عثر على آثار هذا العصر فى أماكن كثيرة أهمها حلوان والسبيل شمال كوم أمبو والفيوم.

وفى العصر التالى - العصر الحجرى الحديث - عرف المصريون معادن عديدة كالذهب والنحاس والحديد والبرونز وأخذوا يستخدمونها فى صناعة أدواتهم وحليهم ، وكان أهم معدن انتفعوا به هو النحاس ، وكانت أهم مناجمه فى شبه جزيرة سيناء .. وقد صنع المصريون من النحاس المقصات والأزاميل والخناجر والخطاطيف ، وبلغوا فى صناعة هذه الآلات درجة عالية من الإتقان، أما الذهب والفضة فقد استخدموهما فى صناعة الحلى وأدوات الزينة ، ومن الصناعات التى أرتقت فى ذلك العصر نسج الأقمشة والنجارة وصناعة الجلود والعاج ، وبلغت الألوانى الفخارية درجة فائقة من الجمال حيث تعددت ألوانها وأنواعها وصارت تزين بنقوش جميلة ، وبدأ المصريون يصنعون خزرات من الزجاج.

وامتدت يد التحسين إلى المساكن فلم تعد أكواخاً من البوص ، وإنما صارت مستطيلة الشكل من الطين اللبن ، وفرشت بالحصير ، وتأثنت بأسرة من الخشب ووسائد من القماش أو الجلد المحشو بالقش ، كما بدأ فى هذا العصر إستئناس الحيوان ، واتبع هذا الاستقرار قيام أقاليم منظمة يحكمها رؤساء أقوياء، وقد استمر هذا العصر حتى بداية العصر التاريخى الذى يبدأ فى ٣٢٠٠ ق.م ، ووجدت آثاره فى أماكن كثيرة أهمها نقادة والبدارى ودير تاسا والفيوم.

أول أبجدية فى العالم

كانت مصر أول دولة ابتدعت الكتابة فى العالم ، وكانت أول من أوجد الأبجدية ، وأول من اخترع القلم ، وأول من أوجد برديات ووثائق المنسوجات .
فقد سبق المصريون جميع شعوب العالم فى استعمال الكتابة ، ويمكن القول بأنها ظهرت قبل عصر الأسرات حيث وجدت بعض الآثار المدون عليها كتابات ، وكانت هذه الكتابة فى أول أمرها صوراً ، إذ كانوا يعبرون عن الشئ برسم صورته ، ثم تطورت الكتابة تدريجياً فلم تعد مقصورة على الصور التى تعبر عن أشياء فردية وإنما استعملوا حروفاً أبجدية يكتبون بها كل ما يدور بخلداهم من تعبيرات وكلمات يصعب تصويرها .

والهيروغليفية (ومعناها الكتابة المنقوشة المقدسة) هو الاسم الذى أطلقه الإغريق على الكتابة المصرية القديمة عندما شاهدها لأول مرة ، وقد ظلت الهيروغليفية مستخدمة كأسلوب أو نمط فى الكتابة الدينية وعلى جدران المباني التذكارية ، واستمر ذلك إلى ما بعد فترات المرحلتين التاليتين ويعرفان بالهيراوطيقية والديموطيقية وهما ينحدران من الهيروغليفية .

والهيروغليفية هى كتابة تصويرية صوتية رمزية تتألف من صور بعض الحيوان والنبات والأثاث والأدوات والأسلحة وغيرها .. وهى كتابة معقدة

إذ قد تستعمل رموزها تارة للتعبير عن الأصوات وتارة أخرى للتعبير عن الأفكار ، ولما كانت الحركات غير مبيّنة فلا يمكن النطق بالكلمات إلا على وجه التقريب ، ويرجع التباين في قراءة أسماء الأعلام إلى ذلك لتعدد الطرق التي اتبعها الأثريون في كتابتها .. والأصل أن تكتب الهيروغليفية عمودياً من أعلى إلى أسفل لكنها منذ زمن كانت تكتب أفقياً أيضاً من اليمين إلى اليسار في العادة، وقد تكتب من اليسار إلى اليمين ، وفي كلتا الحالتين تكتب الرموز بحيث تكون أشكال الإنسان والحيوان متجهة نحو أول السطر.

وقد تفرع من الهيروغليفية أسلوبان للكتابة هما : الهيروغليفية أو كتابة الكهنة وهي أسلوب مبسط للكتابة نشأ لغرض التغلب على صعوبة اللغة الهيروغليفية لعجز بعض الكتاب أو قلة خبرتهم ، فاقتصرت إشاراتهما حتى خلت من العلامات التصويرية ، وكانت تستخدم في تدوين الرسائل الإدارية والخاصة ، وفي كتابة النصوص الدينية والأدبية والعلمية .. والأسلوب الثانى هو الكتابة الديموطيقية وكانت تستعمل في كتابة اللغة العامية.

وقد كان لاكتشاف حجر رشيد علم ١٧٩٩م أهمية كبرى ، فقد احتوى على نص مدون بالهيروغليفية والديموطيقية واليونانية ، فكان بمثابة مفتاح لاكتشاف أصول الكتابة الهيروغليفية.

وقد قضى الفتح العربى لمصر على اللغة المصرية القديمة وكتابتها ، إذ دخل المصريون فى الإسلام وبدأوا يتعلمون اللغة العربية ، وبتعاقب السنين نسيت اللغة والكتابة القديمة نسياناً تاماً ، وأصبح الناس يرون آثار مصر القديمة وما عليها من نقوش وكتابات فلا يفهمون لها معنى.

وكان القلم الذى يستخدمه المصريون فى الكتابة مصنوعاً من قصبه رفيعة الساق ، شديدة الامتصاص ، يبلغ طولها عادة نحو تسع بوصات ، وبعد

تدليكها أو الطرق على أحد طرفيها طرفاً هيناً بمطرقة خفيفة بهتري نسيج بنائها الداخلي قليلاً ، وبعد ذلك تحتفظ بكمية وافرة من المداد تكفى لكتابة عدد من الكلمات تبعاً لحجمها قبل أن تملأ من جديد.

وقد استخدم قدماء المصريين المداد الأسود والأحمر فى الكتابة .. والمداد الأسود الذى استخدمه الكتاب المصريون كان شديد الثبات إلى حد احتفاظ اللون الأسود بدرجة قوامته فلا تتغير بعد آلاف السنين ، وكان يصنع من الفحم، وعادة من السناج الناعم ويمزج بالماء ، ولزيادة تماسكه أضافوا إليه مواد مناسبة مثل الصمغ .. والمداد الأحمر صنعوه بنفس الطريقة وكان يحضر من صبغ مستمد من أحد الأكاسيد الحمراء ، وكان يستخدم لتمييز العناوين ورؤوس الموضوعات وبداية الفقرات الجديدة.

وكان قدماء المصريين أول من استخدموا ورق البردى ، وكانت كتبهم على هيئة لفائف ، وظل نبات البردى الدعامة الأساسية للكتاب فى مصر منذ تم اكتشافه قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام ، وقد عرف فى بلاد الإغريق فى القرن السابع قبل الميلاد ، وفى روما ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد ، وظلت أوريا تستعمله حتى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى.

وكان قدماء المصريين يكتبون على وجه واحد فقط من الورق ويتركز الوجه الآخر ، وقد عثر على كثير من قطع الخزف والفخار فى جهات مختلفه من مصر كان أفراد الطبقة الفقيرة يسجلون عليها كتاباتهم لرخص ثمنها ، ولعدم استطاعتهم الحصول على ورق بردى ، وهذه القطع البسيطة المتناثرة ساعدت العلماء على معرفة الكثير عن حياة المصريين فى ذلك العصر.

أول جامعة فى العالم

جامعة " أون " المصرية هى أول جامعة أنشئت فى العالم وذلك عام ٤٢٤٠ ق.م ويقال إنه فى جامعة " أون " تعلم موسى عليه السلام ويوسف الصديق وأفلاطون ، وقد أقام تحتمس الثالث مسلتين عند مدخل الجامعة نقلتا إلى لندن ونيويورك فيما بعد.

وقد توصل الكهنة فى هذه الجامعة إلى أقدم تقويم نجمى عرفه التاريخ ولا يزال يؤخذ به حتى الآن فى التقويم الميلادى.

ومما يذكر أن " أون " أو " هليوبوليس " كانت إحدى العواصم المصرية القديمة ، وتقع فى شمال ضاحية المطرية الآن ، ولم يبق من آثارها إلا المسلة المعروفة باسمها وهى الباقية من معبدها الذى بناه الملك سنوسرت الأول .

وفى العصر الحديث عندما أنشئت جامعة عين شمس عام ١٩٥٠ تم اختيار المسلة والصقرين شعاراً للجامعة وهى رمز عبادة الشمس فى هذه المنطقة التى نشطت فيها دراسة الفلك وغيرها من العلوم.

أما أول جامعة مصرية فى العصر الحديث فتعود فكرتها إلى جورجى زيدان الذى كتب على صفحات مجلة الهلال فى أول فبراير ١٩٠٠ مقالةً أفتتح

فيه إنشاء كلية لتتقيف الشباب المصرى بدلاً من إرسالهم إلى أوروبا وبين الحاجة إليها فى تعليم الشعب معنى الحرية والاستقلال ، كما طالب بتشكيل لجنة لجمع الأموال لها عن طريق الاكتتاب .. ثم أعاد مصطفى كامل طرح هذه الفكرة عندما كتب فى جريدة اللواء فى ٢٦ أكتوبر ١٩٠٤ مقالا ينادى فيه بذلك، ثم عاد إلى الموضوع ثانية فى يناير ١٩٠٥ واقترح أن تسمى الجامعة " كلية محمد على " بمناسبة مرور مائة عام على ولاية محمد على عرش مصر .

وفى عام ١٩٠٦ عندما أرادت الأمة تكريم مصطفى كامل بمناسبة عودته إلى الوطن ، تكونت لجنة للاكتتاب ، وكان الغرض منها إقامة وليمة كبرى له ، وعندما علم مصطفى كامل بذلك أرسل من باريس خطاباً بتاريخ ٢٤ سبتمبر طلب فيه أن تقوم لجنة الاكتتاب بدعوة الأمة كلها لتأسيس كلية أهلية من تبرعات من أبناء الأغنياء والفقراء على السواء .. وبالفعل بدأت عملية الاكتتاب وكان مجموع القائمة الأولى للمكتتبين (٤٥٨٥ جنيهاً) جمعت من ١٦ شخصاً، ثم توالى التبرعات من مختلف المصريين .

وفى ٢١ ديسمبر ١٩٠٨ افتتحت الجامعة الأهلية رسمياً بحضور الخديوى عباس حلمى فى حفلة رسمية أقيمت بقاعة مجلس شورى القوانين .. وبدأت الدراسة بالجامعة ابتداء من مساء ذلك اليوم ، وكانت فى نطاق ضيق حيث نظمت على هيئة محاضرات بعد الظهر من كل يوم وكانت تلقى فى الموضوعات الآتية :

الحضارة الإسلامية - الحضارة القديمة فى مصر والشرق - الجغرافيا والتاريخ عند العرب - آداب اللغتين الفرنسية والإنجليزية ، وفى العام التالى أضيفت دراسات جديدة فى علوم الطبيعة والرياضة.

وفى عام ١٩٠٨ غادرت مصر أولى بعثات الجامعة إلى أكبر جامعات

أوروبا وكانت تتألف من أحد عشر طالباً وحتى ١٥ فبراير ١٩١٠ بلغ عدد الطلاب ٤٠٣ منهم ٨٦ من الإناث وبينهن ٣٥ مصرية والباقيات أجنبيات ولم تكثف المرأة المصرية بالاستماع إلى المحاضرات فقط ، حيث قامت لبيبة هاشم في عام ١٩١١ بإلقاء محاضرة في التربية وتبعتها نبوية موسى فحاضرت النساء عن المرأة والأمة .

وكان أول مقر للجامعة الأهلية بقصر جناكليس بأول شارع القصر العيني (الجامعة الأمريكية الآن) ثم انتقلت إلى قصر محمد صدقى باشا بشارع الفلكي .. وفى عام ١٩١٤ أوقفت الأميرة فاطمة إسماعيل على الجامعة ستمائة فدان وتنازلت لها عن ستة أقدنة بالدقى ليقام عليها مبنى الجامعة .. وقد وضع حجر الأساس لبناء الجامعة فى ٣٠ مارس ١٩١٤ ، ثم قامت الحرب العالمية الأولى فتوقف إتمام بناء الجامعة ثم استولت عليها الحكومة مقابل جزء من الأرض التى قدمتها إلى الجامعة فى المكان الحالى.

وكان أول من تولى إدارة الجامعة الأهلية الأمير أحمد فؤاد ثم حسين رشدى باشا عام ١٩١٣ وحتى عام ١٩١٦ ثم الأمير يوسف كمال حتى ١٩١٧ ثم عاد حسين رشدى باشا فى هذا العام وظل مديراً لها حتى عام ١٩٢٥ .

وفى عام ١٩٢٣ أصدر وزير المعارف قراراً بتشكيل لجنة لوضع نظام الدراسة لأقسام الجامعة الأربعة الآداب والعلوم والطب والحقوق ، وفى مارس ١٩٢٥ صدر مرسوم بإنشاء الجامعة المصرية وكان أول رئيس لها هو أحمد لطفى السيد من عام ١٩٢٥ حتى ١٩٤١ ، ونظراً لأن المبنى المعد للجامعة لم يكن قد استكمل بعد فقد أعطت الحكومة قصر الزعفران بالعباسية ليكون مقراً مؤقتاً لها حتى يتم الانتهاء من بنائها الذى بدء الشروع فيه عام ١٩٢٨ ، وقام الملك فؤاد بافتتاحه فى ٢٧ فبراير ١٩٣٢ .

وفى سنة ١٩٤٠ أطلق على الجامعة المصرية اسم جامعة فؤاد الأول ،

وفى عام ١٩٥٣ صدر مرسوم بتعديل الاسم إلى جامعة القاهرة.

أقدم تقويم فى العالم

كان قدماء المصريين أول من قاس طول السنة الشمسية بدقة بالغة ، وأهدوا للعالم أقدم تقويم أصبح فيما بعد مقياساً لجميع التقاويم التالية ، وذلك منذ أكثر من سبعة آلاف عام.

ذلك أن عشق مصر للنيل دفع أهلها إلى رصد موعد فيضانه ، ووجدوا أن أول بشارات المياه السمراء التى يحملها النيل من منابعه إلى مصر تظهر مع مطلع نجم ثابت يسطع بوضوح فى سماء معبد " أون " " هليوبوليس " فى نفس اللحظة التى تشرق فيها الشمس ، وهو نجم " سيروس " " الشعرى اليمانية " - ويغلب الظن أن كهنة هذه المدينة هم الذين وضعوا التقويم حيث اشتهروا برصد الشمس والنجوم - وقام قدماء المصريين بإحصاء عدد الأيام التى تمر بين كل مرة يظهر فيها هذا النجم وبين ظهوره فى المرة التالية واستطاعوا تحديد طول دورته الفلكية أو الدورة الشمسية بدقة متناهية فوجدوها ٣٦٥ يوماً ، فقسّموا السنة إلى اثنتى عشر شهراً كل منها ثلاثون يوماً ويليها خمسة أيام نسي (الزيادة) فى نهاية كل سنة جعلوها أعياداً ومواسماً ، ثم أضافوا يوماً كاملاً كل أربع سنوات نتيجة لوجود كسر مقداره ربع يوم فى طول السنة.

وقد استخدم قدماء المصريين منذ حوالى ٣٥٠٠ عام آلات لتحديد

ساعات النهار ، وهى ساعات شمسية لقياس امتداد الظل ، كما استخدموا ساعات مائية لقياس ساعات الليل وهى عبارة عن أحواض حجرية كبيرة كان ينقش على جدرانها الداخلية مقياس متدرج للساعات.

وقسم قدماء المصريين السنة إلى ثلاثة فصول هى فصل الفيضان وفصل البذر ، وفصل الحصاد كل واحد منها أربعة أشهر ، وقسموا اليوم إلى أربع وعشرين ساعة.

وقد انتقل التقويم الشمسى من مصر ليحل محل التقويم القمري الذى كان سائداً عند مختلف الشعوب الآسيوية ، كما نقله اليهود عند خروجهم من مصر ليظهر التقويم العبرى ، وانتقل إلى أوروبا عندما أهدت كليوباترا التقويم المصرى إلى يوليوس قيصر ، وكلفت العالم المصرى " سوسيجين " بنقل التقويم المصرى للرومان ليحل محل تقويمهم القمري ، ثم قام البابا " جريجورى الثالث " عام ١٥٨٢ بإدخال تعديل طفيف فسمى بالتقويم الجريجورى وهو التقويم الذى يستخدم فى العالم الآن ، وهو فى جوهره عمل مصرى صميم أهده الفراعنة للعالم كله.

المصريون ..

أول من عرفوا صناعة الزجاج

فقد وجدت في مقابر قدماء المصريين أقدم آثار للزجاج ، حيث كانوا يصنعون قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام بعض أنواع الخرز والتعاويذ الزجاجية ، ومازالت هذه الآثار محفوظة في المتاحف ودور الآثار بجميع أنحاء العالم.

وقد وجد في مصر عمود من الزجاج عليه نقوش ترجع إلى عهد الملك " أمنمحات الثالث " ، وما زال هذا العمود الزجاجي محفوظاً في متحف برلين ، ويعد أقدم أثر للزجاج يعرف المؤرخون تاريخ صناعته.

وحوالى عام ١٥٠٠ ق.م استطاع المصريون القدماء أن يبتكروا طريقة عملية لصناعة الأواني الزجاجية .. فكانوا يصنعون من الرمل والجير كتلاً على هيئة الأواني المطلوبة ، ويجعلون فى نهايتها قضباناً من المعدن يمسون بها ، ثم يغمسون هذه الكتل فى الزجاج المصهور حتى يغلفها غطاء كاف من هذا الزجاج ، وبعد ذلك يتركونها حتى تبرد ثم يفتتون الكتل فى داخل الأوانى الزجاجية ويستخرجونها لتبقى الأوانى جوفاء ، وأحياناً كانوا يستخدمون النقوش حتى تبدو الأوانى من الخارج وكأنها مصنوعة من الحجر.

وقد أبدع المصريون القدماء فى صناعة الأواني الزجاجية بهذه الطريقة

واستطاعوا أن يصنعوا بعض الأدوات الزجاجية الدقيقة لاستعمالها فى القصور الملكية ، مثل الأوانى والأطباق والكؤوس .

وفى متحف " متروبوليتان " للفن بنيويورك كأس خاصة بالملك تحتمس الثالث ، ويرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد بألف وأربعمائة وخمسين عاماً ، وهى من الآثار الرائعة التى تدل على براعة قدماء المصريين فى هذه الصناعة الدقيقة ، وهذه الكأس مصنوعة على هيئة زهرة اللوتس وهى من الزجاج الأزرق الفيروزى ، وتحليلها أشرطة من الذهب الخالص .

وقد بلغت دقة هذه الصناعة فى ذلك العصر أن جميع الآثار المصرية القديمة من المصنوعات الزجاجية كانت صغيرة الحجم نسبياً حتى أن بعض الزجاجات التى وجدت فى مقابرهم لم يتعد طولها خمس بوصات .

وإذا كانت عملية الطلاء بالمينا من أقدم العمليات المعروفة فى تزيين الأوانى بوجه عام ، عندما استخدمها المصريون منذ أكثر من خمسة آلاف عام فى تزيين أوانيهم الخزفية .. فالإيهم أيضاً يعود الفضل فى تزيين الأوانى باستعمال خيوط رقيقة من الزجاج الملون قبل الميلاد بحوالى ألف وخمسمائة عام كما يعود إليهم فضل عملية الحفر على الزجاج حيث وجدت كأس زجاجية محفور عليها صورة تحتمس الثالث فرعون مصر .

وقد دأب المصريون على اعتبار الزجاج بديلاً للمجوهرات والأحجار الكريمة ، وأحياناً كانوا يصنعون حلبيهم وأدوات زينتهم من الزجاج المعتم ذى اللون الواحد لتكون أقرب شبيهاً بالأحجار النفيسة النادرة ، أما الخرز والجعارين فكانوا يعدونها كالمجوهرات الثمينة ، وقد صنعوها أيضاً من الزجاج بصبها فى قوالب خاصة .

ومن مصر القديمة انتشرت صناعة الزجاج سريعاً إلى بقية البلاد المطلة

على البحر الأبيض المتوسط ، حيث لم يذكر التاريخ شيئاً عن صناعة الزجاج في هذه البلاد قبل ذلك الحين ، فقد عرف الفينيقيون أسرار صناعة الزجاج من مصر وكانوا أول من تاجر فيه ، ولو انهم لم يبلغوا فيه ما بلغه الصناع المصريون من مهارة.

وقد استعمل الرومان الزجاج لأول مرة حين جاء يوليوس قيصر إلى مصر وضمها إلى الإمبراطورية الرومانية وفرض عليها الجزية ، وكانت المصنوعات الزجاجية المتنوعة المصرية ضمن هذه الجزية التي كانت ترسل كل عام إلى روما ، وحين رأى الإمبراطور نيرون تقدم صناعة الزجاج في مصر ، استقدم إلى روما صناعاً مصريين لينشئوا ببلاده أول مصنع للزجاج وبعدها دخلت هذه الصناعة إلى سائر أنحاء الدولة الرومانية.

الملك الذى بدأ به عصر التاريخ

الملك مينا .. ذلك أن المصريين الأقدمين كانوا يعيشون فى قبائل متفرقة اتخذت كل منها حيواناً أو نباتاً رمزاً لها وإلهاً يحميها ، ولما هبطوا الوادى وزرعوا الأرض واستقروا حولها انشأوا قرى ومدناً لكل منها حاكم يحكمها ورمز من حيوان أو نبات يعبد سكانها .. ثم أخذت المدن والقرى التى تعبد إلهاً واحداً تندمج فى بعضها ونشأت من اندماجها مقاطعات واسعة يحكم كل منها حاكم.

وعندما كان يظهر زعيم قوى كان يعمل على ضم الأقاليم المجاورة له ، وبمرور الوقت استطاع أحد أقاليم الوجه البحرى ، وهو إقليم الصقر وعاصمته مدينة دمنهور الحالية أن يقوم بتوحيد الدلتا فى مملكة واحدة هى مملكة الشمال ثم اتسع نطاق هذه الوحدة فضمت مصر كلها حوالى عام ٤٢٤٠ ق.م ، وكانت عاصمة هذه المملكة تقع بين الشمال والجنوب وهى " أون " " هليوبوليس " - وهى تسمية إغريقية معناها مدينة الشمس - وقد سادت عبادة الشمس فى هذا العهد ، وظهر فى هذه المملكة التقويم الشمسى الذى لا يزال العالم يتبعه حتى الآن .. غير أن هذا الاتحاد لم يستمر طويلاً إذ سرعان ما وقع الانقسام مرة أخرى وظهرت فى مصر مملكتان إحداهما فى الشمال والأخرى فى الجنوب .

وكانت عاصمة مملكة الشمال مدينة " بوتو " غرب الدلتا ومكانها الآن تل الفراعين (قرب مدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ) واتخذ سكانها نبات البردى الذى كان ينمو بكثرة فى مستنقعاتها شعاراً لهم ، وكان ملوكها يلبسون تاجاً أحمر .. أما مملكة الجنوب فكان عاصمتها مدينة " نخن " ومكانها الآن مدينة الكوم الأحمر (بين مدينتى إدفو وإسنا) وكان شعار سكانها اللوتس ، وكان ملوكها يلبسون تاجاً أبيض.

واستمر هذا الوضع حتى تربع على عرش مملكة الجنوب الملك مينا (نارمر) واستطاع توحيد الوجهين البحرى والقبلى حوالى عام ٣٢٠٠ ق.م ، ويعتبر المؤرخون عهده بداية العصر التاريخى ، وأسس الأسرة الأولى فى الأسرات المصرية الثلاثين .. وارتنى التاج الأحمر والتاج الأبيض مجتمعين فيما يعرف بالتاج المزدوج (بشنت) وجعل من الإقليمين وحدة كاملة تخضع لأول حكومة مركزية فى التاريخ ، وتخضع لنظم وقوانين وتقاليده واحدة ، وأرسى بذلك أول فكرة للوحدة عرفها العالم.

واختار الملك مينا مكاناً يتوسط الوجهين البحرى والقبلى وشيد مدينة حصينة تحتل مكاناً متوسطاً سماها " القلعة البيضاء " أو " الجدار الأبيض " ثم أطلق عليها المصريون " من نفر " أى " النصب الجميل " ثم سميت فى زمن اليونان " ممفيس " ثم سماها العرب " منف " ومكانها بالقرب من قرية " ميت رهينة " بمركز البدرشين بالجيزة الآن ، واتخذ منها عاصمة لمصر وجعلها مركزاً إدارياً .. وحرص بعد أن أتم توحيد البلاد على تأديب الليبيين الذين كانوا يغزون غرب الدلتا وهزمهم واتجه نحو بلاد النوبة جنوبى مصر وحارب سكانها الذين كانوا يسيطرون على بعض جهات من مصر.

ومن الجدير بالذكر أن لوحة الملك مينا - مؤسس أول أسرة ملكية

حكمت مصر - هي أقدم سجل تاريخي لأقدم شخصية تاريخية عرف اسم صاحبها حيث تسجل هذه اللوحة على وجهيها نقوشاً تصور الكفاح الذي قام به الملك والنصر الذي تم له.

إن أولى حوليات التاريخ لم تبدأ كتابتها إلا في عهد الملك مينا ، وهي الحوليات التي تضمنت سرداً لكافة الأحداث الهامة كالاحتفالات الملكية الدينية أو الانتصارات الحربية ، وبعد أن حكم الملك مينا مصر زمناً طويلاً توفى ودفن في أبيدوس " العرابة المدفونة " بمركز البلينا الآن وهي مسقط رأسه.

فرعون

لقب أطلق على ملوك مصر من الأسرة الأولى التى أسسها مينا إلى سقوط آخر ملوك الأسرة الثلاثين فى عهد البطالمة ، وكلمة فرعون معناها "البيت العالى " .. وكان أصل الكلمة من مقطعين (بر - عا) ثم نطقها البطالمة (فرعا) ثم (فرعو) ثم أصبحت (فرعون).

وفى البداية كان يكنى بتلك العبارة عن قصر فرعون دون شخصه ، أو يكنى بها أحياناً عما يتصل من شئون القصر والحاشية ، على أن دلالة اللفظ على شخص الملك نفسه لم تثبت إلا منذ الأسرة الثامنة عشرة فى عهد إخناتون إذ لقب بذلك على بعض آثاره ، فلما كانت الأسرة التاسعة عشر - وهى أسرة رمسيس الثانى - ذاع اللقب فيما ورد عن الملك .

ولم يذكر القرآن الكريم فرعون إلا فيما روى من نبأ موسى ، ولم يذكره مرة واحدة فيما أورده من سيرة يوسف عليه السلام ، وتلك دقة الإعجاز ، فلم يكن لقب فرعون بدلالته على ملوك مصر ذائعاً فى ذلك الزمان من عهد يوسف ، ولم يكن الملك الذى دخل يوسف فى خدمته مصرياً - كان من الهكسوس - فيستحق لقباً إختص به الملوك من المصريين بل كان أجنبياً يناصبهم العدا .

أشهر الروايات العالمية .. أصلها فرعونى

إن المؤلف الحقيقى لأشهر روايات الروايات العالمية فى العالم مثل كليلة ودمنة ، وألف ليلة وليلة ، وكونت دى مونت كرسنو ، وشمشون ودليلة هو ذلك الكاتب الفرعونى الذى أبدعها منذ زمن بعيد ، وأودعها تلك البرديات التى مازالت موجودة فى العديد من المتاحف العالمية ، والتى تؤكد أن أصل كل هذه الروايات العظيمة كان فرعونياً خالصاً.

يقرأ العالم حكايات " كليلة ودمنة " على أنها حكايات كتبها الفيلسوف الهندى " بيدبا " وترجمها ابن المقفع ، وتكمن جاذبيتها فى ورود القصة على لسان الحيوان ، ولكن أقدم نص تاريخى لهذا النوع من القصص كان بقلم الكاتب المصرى القديم وينتمى إلى أقلام متعددة للحكيم " كاجنى " والأديب " كايروس " والمعلم " نصرى " والحكيم " حوردرف " .. كتب معظمها منذ حوالى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، وكانت تدرس فى مدارس الدولة الوسطى ، ومن عناوينها " الثعلب والأوز - الذئب راعى الغنم - التمساح العجوز - الأسد والغزالة الجميلة - جيش القطط وقلعة الفئران .. وتروى القصة الأخيرة أن القطط حاصرت قلعة تحتمى بها الفئران ، فقررت الفئران أن تتحالف مع الكلاب على أساس أن القطط هى العدو المشترك لهما ، ودخلت الكلاب وهزمت

القطط ، ولكنها بعد هزيمتها أفتعت الكلاب بالتعاون معها فى إلتهام الفئران وتم بالفعل عقد تحالف كانت ضحيته الفئران.

والقصة كما ترى هى أقدم نموذج للأدب الذى يستخدم الحيوان ليصور عالم الإنسان ، كما أن الأدب العالمى اختار نفس الصفات التى استخدمها الكاتب المصرى للحيوان ، فالتمساح رمز الغدر ، والكلب رمز الوفاء ، والثعلب يعبر عن المكر ، والصقر رمز سمو ، والخنزير رمز الوضاعة .

مثال آخر يؤكد عبقرية الكاتب المصرى وهى قضية " ما بعد الموت " فقد حفظ لنا التاريخ عمليين خالدين " رسالة الغفران " لأبى العلاء المعرى و "الجحيم" للشاعر الإيطالى دانتي ، ولكن أصل هذين العمليين كان بقلم الحكيم المصرى " أنى " مؤلف كتاب " الموتى " منذ أربعة آلاف سنة ، حيث كتب نصاً فى بردية عرضها أربعين سنتيمتراً وطولها ثلاثين متراً ، وتوجد الآن بالمتحف البريطانى .. وفيها يزعم " أنى " أنه مات وسافر إلى العالم الآخر ثم عاد ليروى التجربة ، ويصف رحلة الروح يوماً بيوم ، منذ تفارق الجسد إلى أن يتم تحنيطه، وتجرى له المراسم الجنائزية ، ثم رحلة المومياء إلى الشاطئ الغربى للنيل حيث يتم دفنها ، ثم إنتقال الروح فى مركب الشمس عبر الفضاء حتى تصل إلى " المحكمة التحضيرية " التى يتصدر منصبها إثنا عشر قاضياً يمثلون بروج السماء الاثنى عشر ، وفيها يتعرف الميت على البرج الذى كان مسيطراً عليه ، ثم يروى الرحلة إلى السماوات السبع ، ويصف كل منها بالتفصيل وما تحتوى عليه ، ثم يصل إلى المحطة الأخيرة ، وهى محكمة الآخرة حيث تربع الإله " أوزير " على عرشه السماوى ، ثم يسجل المحاكمة والنيران والملكين اللذين يسجلان الحسنات والسيئات والأسئلة والأجوبة والدفاع ، ثم يصدر حكمه بتسجيل ولادة أنى فى عالم الخلود ، ثم يتحدث بعد ذلك عن الجنة وما فيها والجحيم وزبانيته.

ومن روائع قصص قدماء المصريين قصة " البحار الغريق " التى تعود إلى الأسرة الثانية عشرة وهى القصة التى نسج منها العرب قصة "المسندباد البحرى" ، وحاكاها الإنجليز فى قصة " روبنسون كروزو " الشهيرة .. ويروى هذه القصة بحار مصرى قام برحلة فى البحر الأحمر ، تحطمت خلالها سفينته بعد أن هبت عليها عاصفة ، وغرق كل ما فيها وحملته الأمواج إلى شاطئ جزيرة ، ثم يروى قصته فى هذه الجزيرة ، حتى أتت إليه سفينة ذات يوم حملته مرة أخرى إلى الوطن .

مثال آخر وهى قصة " على بابا والأربعين حرامي " الشهيرة والتى تدور حول حيلة ذكية تتلخص فى إخفاء عدد من المقاتلين داخل براميل تحملها قافلة من الخيل ، ويرى كثير من مؤرخى الأدب أن القصة مأخوذة من ملحمة "حرب طروادة" اليونانية التى كتبها هوميروس حيث أخفى اليونانيون جنودهم داخل حصان خشبى سحبه الأعداء إلى حصنهم ثم فوجئوا بخروج الجنود منه واستيلائهم على الحصن ، وفات المؤرخون أن الأصل الأول لكل من القصتين يعود تاريخه إلى عام ١٤٥٠ قبل الميلاد ، وأنه مسجل فى بردية " هاريس " المصرية التى يحتفظ بها فى الوقت الحاضر المتحف البريطانى (تحت رقم ٥٠٠) كتب هذه البردية القائد المصرى " تحوتى " ووجهها إلى تحتمس الثالث من فلسطين .. وتدور القصة حول " تحوتى " من ضباط تحتمس الثالث وكان مكلفاً بالاستيلاء على يافا ولكنها استعصت عليه ، فأخذ يفكر فى خطة مؤداها أن أرسل إلى أمير يافا جاسوساً يخطر به أن " تحوتى " قد تمرد على سيده "تحتمس" وأنه يريد التحالف معه ، وأنه احضر من مصر ثروة من الهدايا ومنها صولجان تحتمس السحرى الذى تكفى ضربة منه كى تفقد الأعداء الوعى ، واقتنع الأمير بالكلام وقبل دعوة " تحوتى " خارج الحصن إلى وليمة أقامها خصيصاً لتكريمه ، وبعد أن أخذت الخمر بعقله طلب الصولجان ، فإذا بتحوتى

يهوى بهراوة ضخمة على رأسه وقبض على جميع حرس الأمير ، ثم أسرع
ينفذ الجزء الثانى من الخطة ، فأحضر مائتى قدر ووضع داخل كل منها جندياً
مسلحاً ، وحمل كل اثنين من القدور على حصان ، ثم تخفى فى زى سائس وقاد
القافلة إلى الحصن ومعه عدد من جنود الأمير الأسير ، وأمام باب الحصن زعم
أن القافلة تحمل هدايا لأمير يافا ، وفتح الحراس الأبواب له ، ودخلت القافلة إلى
ساحة القلعة ، ثم فجأة خرج المقاتلون من القدور واستولوا على القلعة.

أما قصة شمشون ودليلة ، فقد وجدت أصولها فى " عملاق جزيرة
الشياطين " مدونة على قطع متفرقة من لوحات " الاستراكا " ومنقوشة على
الأحجار فى حفريات سقارة ، وقد قام بترجمتها أكثر من كاتب على مختلف
العصور من بينهم " مارش " فى كتابه " حكايات الزمن القديم " و " بروكسبانك "
فى أساطير الفراعنة ، وسليم حسن فى " تراجم الأدب فى الدولة القديمة " ..
وتحكى القصة أنه كان يوجد فى جزيرة نائية عملاق ضخم الجسم ، أسود ، بشع
المنظر ، ذو قوة خارقة مما جعل الجميع يخافون الاقتراب من الجزيرة ، وكان
العملاق يعيش وحيداً ، ولا يوجد معه سوى الأفاعى والزواحف الضخمة ،
وذات يوم يجرف تيار النهر أنقاض قارب تعلقت به حسناء ، وكاد يفتك بها
التمساح ، وما أن شاهد العملاق التمساح حتى رفعه بيديه القويتين ثم ألقى به
بعيداً ثم حمل الحسناء بين يديه ، وبعد أن شكرته أخذ يتودد إليها ولكنها أبت
حتى مجرد النظر إليه لبشاعته ، وخيرها بين أن تتزوجه أو يلقى بها إلى
التمساح ، ولا تجد الفتاة مفرأ من التودد إليه حتى باح لها بسر قوته وهو قلبه
الكبير الذى لم يسعه جسده فاحتفظ به بين غصون قمة السنديانة الكبيرة ، وأن
ثعباناً ضخماً يحرسه.

وانتظرت الفتاة حتى وصل الفيضان وارتفعت مياه النهر إلى الشاطئ ،
وغمرت جذع السنديانة ، وابتعدت الحية إلى أعلى التل ، وابتعدت التماسيح عن

الشاطئ ووصلت الفتاة إلى السلة التي يوجد بها قلب العملاق وفكت رباطها فجرفت الأمواج وحطمتها الصخور .. ثم ذهبت في الصباح لتستحم في ماء النهر ، وصرخت مدعية أن أحد التماسيح قد هاجمها ، وأشارت إلى تمساح ضخم ولم يستطع العملاق هذه المرة أن يرفعه .. بل قتله التمساح.

كما أثبت التاريخ أن أصل حكايات ألف ليلة وليلة أيضاً فرعونية ، ففي برديات " وستكار " التي ترجع إلى الدولة القديمة حوالي ٢٨٠٠ قبل الميلاد والتي تعتبر من أشهر البرديات التي أبدع فيها الأديب المصري ، فخرج من عالم الواقع إلى عالم الخيال ، كما تعتبر هذه القصص تطوراً في أدب القصة بالخروج بها من إطار أساطير العقيدة إلى حياة المجتمع .. وهي قصص متتابعة رويت على أسنة الأمراء التسعة من أولاد الملك خوفو في مجالس سمره ومنها قصة " قرط الأميرة والساحر " .. وتروى أن الملك سنفرو خرج للتنزه في بحيرة القصر مع الأميرة في سفينته ذات المقصورة الذهبية ، وقام بالتجديف عشرون وصيفة من أجمل العذارى ، وكن يجدفن بمجاديف مكسوة بالذهب على أنغام القيثارات ، ثم تروى القصة كيف فقدت الأميرة قرطها في الماء ، وكان على شكل سمكة بينما كانت تتغزل في جمالها على وجه الماء ، وحزنت الأميرة فاستدعى سنفرو ساحر معبد آمون الذي تلا عزائمه السحرية ، ثم ضرب سفح الماء بعصاه فانشقت مياه البحيرة وانكشف قاعها وظهر القرط الذهبي ، ونزل سنفرو والتقطه وعين فرعون الساحر ساحراً خاصاً للقصر.

كما دلت الأبحاث أن أصل قصة سندريلا هي قصة " رادوبى الجميلة " وهي ضمن برديات شستر بالمتحف البريطاني ، وهي تدور في مدينة منف حيث كان يعيش تاجر ثرى " سنوفر " فى قصره مع زوجته وابنته رادوبى ، وتصاب الأم بمرض خطير ، وقبل موتها تهدي ابنتها صندوقاً به حذاء نفيس من جلد الغزال الذهبى ، وتشير إليها إلى أنه سوف سکون سبباً فى حظها .. ثم

تزوج الأب من امرأة أخرى أنجبت بنتين أقل جمالاً من رادوبى التى عوملت منهن معاملة سيئة .. وفى أحد أعياد الربيع يعلن أن ابن الفرعون سوف يختار عروساً من فتيات منف الجميلات .. وذهبت أختها إلى الحفل ، ورفضت زوجة أبيها اصطحابها ، وشعرت رادوبى بالرغبة فى التنزه ، ثم فتحت الصندوق الذى يوجد به حذاء أمها ، وأرادت ارتداؤه فها لها قدارة قدميها ، فذهبت لغسلهما ، فإذا بنسر ينقض ليخطف إحدى فردتى الحذاء ويطلق بعيداً ، حتى مر بمكان المهرجان فأفزعه الطبول فسقط منه الحذاء بين يدي الأمير الذى أعجبه الحذاء الرقيق والأحجار الكريمة التى رصعته ، وإذا به يتخيل صاحبتة ، وشعر أنه اختار صاحبة هذا الحذاء .

وتمر الأيام ، وهو يزور البيوت والقصور للبحث ، وتدعوه زوجة والد رادوبى لتعرض عليه ابنتيها اللتين تقيسان الحذاء فلا يلائمهما ، ثم يلمح الأمير رادوبى ، وتخبره زوجة أباه أنها ابنة البستاني ، فيخرج إليها الأمير ويطلب منها أن تقيس الحذاء ، فإذا به نفس مقاسها ، وتذهب رادوبى وتحضر الفرادة الأخرى لتثبت أنها سيدة القصر ثم تتم القصة بأن يتزوجها الأمير .

أول بناء حجرى ضخم عرفه العالم

هرم سقارة (هرم زوسر) وضع تصميمه امحوتب (أول مهندس معمارى فى التاريخ) وشيد للملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة .. ومما يذكر أنه عثر على أول قبر للملك زوسر فى " ميت خلاف " القريية من العرابية المدفونة (بجرجا الآن) وهو على شكل مصطبة غير أن زوسر لم يرض أن يكون مقره الأخير هناك ، ويرجح أن امحوتب قد وجه نظره إلى منطقة سقارة القريبة من محاجر طره حيث يسهل قطع الأحجار وبناء المصاطب ، وكان غرض زوسر أن يشرف قبره على قبور رجال بلاطه وعظماء دولته ويكون أول بناء ترسل الشمس أشعتها عليه من كل جوانبه عندما تشرق كل صباح.

وقد وضع امحوتب - الذى كان وزيراً للملك زوسر ويعد أحد نوابغ العالم - تصميمه ليكون أضخم من أى قبر شيد قبله لأى ملك من الملوك ، وكانت الفكرة الجريئة الأولى فى تشيد هذا القبر أن يكون مبنياً بكتل من الحجر بدلاً من الطوب ، ومن ثم شيد مصطبة كبيرة من الحجر الجيرى الذى قطعه من المحاجر القريبة ، ثم كسا جدرانها الخارجية بأحجار جيرية من النوع الأبيض الممتاز الذى كان المصريون القدماء يحصلون عليه من محاجر طره فى الناحية الشرقية للنيل ، وقد شيد تحت تلك المصطبة ممرات وحجرات جانبية تتوسطها حجرة كبيرة استخدم فى تشييدها أحجار الجرانيت لتكون حجرة دفن الملك.

ولم يقف امحوتب عند هذا الحد ، بل عاد وطور تصميمه ليميز قبر زوسر عن غيره من القبور ففكر فى أن يرتفع بالبناء وذلك عن طريق بناء مصطبة فوق أخرى مراعيًا أن تقل كل واحدة فى الحجم عما تحته حتى أصبح الشكل النهائى لقبر زوسر هرمًا مدرجًا ذا ست درجات ويبلغ ارتفاعه حوالى ٢٠٠ قدم .. وبذلك أصبح امحوتب أول مهندس معمارى فى التاريخ شيد قبراً يشبه الهرم فى شكله العام ، ولم يكتف بهذا بل أحاط الهرم بسور كبير بارتفاع عشرة أمتار ، وشيد داخل السور عدة مبان كان بعضها مخصصاً لإقامة العيد الثلاثينى للملك زوسر وبعضها الآخر كان قبراً رمزياً أو معابد تتصل بالأعياد ، كما شيد شمال الهرم معبداً قامت فيه تماثيل الملوك.

وتعد مجموعة الهرم المدرج من أهم ما خلفته مصر الفرعونية من آثار وهى تبين لنا الخطوات الأولى للمصريين عندما انتقلوا من البناء بالطوب إلى البناء بالحجر.

وقد دفن الملك زوسر فى هرمه هذا ، وتقديراً منه وعرفاناً بمكانة مهندسه ، فقد أمر بكتابة اسم امحوتب على تماثله وهذا تقدير لم يعرف له نظير لأن الملك كان إلهاً معبوداً من الشعب.

ومما يذكر أيضاً عن امحوتب أنه تولى وظائف عدة فقد كان مشرفاً على إدارة قصر الملك إلى جانب أنه كان حائزاً للقب رئيس المثالين ، وكان الرجل الأول بعد زوسر أى أنه كان حاكماً لأحد الأقاليم وكان كبيراً لكهنة الشمس فى مدينة أون .. وكان امحوتب بارعاً فى الدين والسحر والطب والهندسة وبلغ من شدة تعلق المصريين به وحسن تقديرهم له أن رفعوه بعد موته بمئات السنين إلى مرتبة الآلهة وسموه " إله الطب " .

أقدم دساتير الأدوية فى العالم

كان لقدماء المصريين السبق فى مجال الطب والدواء حيث يعد امحوتب أول طبيب فى العالم وأشهر من مارس الطب عند قدماء المصريين الذين اعتبروه إلهاً ، وأقاموا له المعابد والتماثيل وقدموا له القرابين ، ومن أشهر المعابد معبد "ممفيس" ويعود الفضل فى اكتشاف مقبرته إلى العالم الأثرى المشهور الإنجليزى الدكتور " أيمرى " الذى كان أستاذاً للأثار القديمة فى جامعة لندن.

وبالإضافة إلى كون امحوتب أول طبيب فى العالم فقد كان مشهوراً بعلوم الهندسة ، وعمل كحكيم فى بلاط الملك " زوسر " وصمم له هرم سقارة وأشرف على بنائه ، ونظراً لحكمته المفرطة فقد اقترن اسم امحوتب بالهة الحكمة " أبيس " .

وتدل الاكتشافات الأثرية على أن حضارة قدماء المصريين كانت من أشهر الحضارات التى ازدهرت فيها علوم الطب والصيدلة فهناك سجل عظيم طوله ٢٥٠ قدماً وعرضه ١٢ بوصة كتب فى عهد النبي موسى عليه السلام يحتوى على العديد من الأدوية الشافية وطرق تحضيرها وكيفية معالجة الأمراض بها ، كما أظهرت الاكتشافات الأثرية وجود آلات جراحية تدل على

تقدم فن الجراحة عندهم ، وظهرت مستندات تثبت أنهم عرفوا المئات من الأدوية النباتية معظمها معروف لدينا الآن . ولعل براعة الفراعنة فى التحنيط أكبر دليل على طول باعهم فى معرفة علمى التشريح والكيمياء ، كما أقاموا مدارس خاصة لتعليم الطب أهمها مدرسة " أون (هليوبوليس) " ومدرسة " سايس للقبالات " ومدرسة " طيبة " المشهورة بمكثبتها العظيمة .

وقدماء المصريين هم أول من اكتشف أدوية التخدير لمنع الألم كما برعوا فى العمليات الجراحية كإلختان وتجبير الكسور والنقب (فتح الدماغ) كما كانوا أول من مارس جراحة التجميل.

وهناك العديد من البرديات الهامة التى تدل على براعة المصريين فى هذا المجال أشهرها " بردية كاهون " وقد اكتشفت عام ١٨٨٩ بمدينة كاهون الفرعونية بالفيوم وتعود إلى الأسرة الثامنة عشرة وجزء منها مخصص للطب البيطرى ، وتحتوى على ٣٥ وصفة طبية لأمراض النساء والتوليد وتشخيص قدرة الإنجاب عند المرأة وجنس الطفل .. وأيضاً بردية " أدوين سميث " وقد اكتشفت فى الأقصر عام ١٨٦١ وذكرت فيها ٤٨ حالة من الجروح والكسور والأورام وكيفية معالجتها.

وتعد بردية " ايبرس " أشهر البرديات قاطبة واكتشفها العالم الألمانى ايبرس فى الأقصر وهى الآن فى متحف ليزج ، وتحتوى على ٨١١ وصفة طبية طولها ٢٠ متراً وعرضها ٣٠ سم وتشتمل على أسماء الأدوية الخاصة بكل عضو من أعضاء الجسم ، بالإضافة إلى وصف تشريحى لجسم الإنسان ، وتعود إلى عام ١٥٥٠ ق.م ، كما تدل هذه البردية على مهارة الفراعنة فى تحنيط الموتى ، وأنهم تعرفوا على وظيفة القلب والأوعية الدموية.

ومن البرديات الهامة أيضاً بردية " هيرست " التى عثر عليها فى دير

البلاص عام ١٩٠١ وتحتوى على ٢٦٠ وصفة طبية ويعود تاريخها أيضاً إلى ١٥٥٠ ق.م .. وبردية لندن وتوجد فى متحف لندن منذ عام ١٨٦٠ وتحتوى على ٦٣ وصفة سحرية لمعالجة أمراض العيون والحروق وأمراض النساء ، وبردية برلين التى تم العثور عليها قرب أهرام سقارة وهى بمتحف برلين منذ عام ١٨٨٦ وتحتوى على ١٧٠ وصفة طبية.

وتعتبر البرديات أقدم مؤلف يضم الوصفات الطبية وطرق تحضيرها ، ولذلك فهى تعد أقدم دساتير الأدوية فى تاريخ العالم.

الوحيدة الباقية من عجائب الدنيا السبع

تعتبر أهرام الجيزة وأبو الهول الوحيدة من عجائب الدنيا السبع التي ظلت قائمة حتى الآن .. ومن الجدير بالذكر أن مصر ضمت اثنتان من عجائب الدنيا السبع هما الأهرام ومنارة الإسكندرية .

وقد شهدت مصر عصراً أطلق عليه عصر بناء الأهرام وهو يبدأ بقيام الأسرة الثالثة وينتهي بانتهاء الأسرة السادسة ، وقد أطلق عليه هذا الاسم لكثرة ما شيده ملوك تلك الأسر من الأهرام التي لا تزال باقية إلى اليوم ، شاهدة بما بلغه ملوك ذلك الزمان من قوة ، وما وصل إليه الشعب من مدنية وحضارة ، على أن بناء الأهرام لم يقف تماماً بسقوط الأسرة السادسة بل أنه استمر بدرجة أقل حتى نهاية الأسرة الثانية عشرة .. وهناك حوالي ٧٠ هرمًا معروفاً أقدمها هرم زوسر المدرج في سقارة .

كان المصريون في عصر ما قبل التاريخ يدفنون موتاهم في حفر في الأرض ، ثم تدرج بعد ذلك بناء المقابر ، فشيّد الملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة قبراً على هيئة مصطبة كبيرة بميت خلاف قرب أبيدوس ، ثم بنى قبراً آخر بسقارة من الحجر على هيئة ست مصاطب ، ثم أخذ المصريون يدخلون التحسينات على الهرم المدرج لإخفاء تدرج الصخور ونشأ ما يعرف بالهرم

الكامل .. وقد بنى الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة لنفسه هرمين بجهة "ميدوم" بين منف والفيوم ، وهو على نمط الهرم المدرج ويسميه الناس " الهرم الكاذب " لعدم انتظام شكله.

ثم خلف خوفو سنفرو فى الحكم ، وبدأ فى بناء أول أعظم الأهرام وأضخمها وأشهرها ، وكان ذلك على الضفة الغربية للنيل ، وهى أهرام ملوك الأسرة الرابعة خوفو وخفرع ومنقرع ، وهذه الأهرام منشأة على قواعد مربعة ، ولكل منها أربعة جوانب مثلثة الشكل ، تقابل الجهات الأصلية الأربعة ، وتميل على سطح الأرض بزاوية قدرها ٥٠ درجة تقريباً ، وتلتقى هذه الجوانب فى قمة مدببة .. وقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن الهرم الأكبر على الأقل لم يشيد لمجرد الترف ، وإنما صممت أبعاده وخطوطه بحيث تكشف عن حقائق علمية لم يتوصل العلم إليها إلا فى عهود قريبة.

ولقد بنى خوفو هرمه (أكبر مقبرة فى التاريخ) على قاعدة مساحتها ١٣ فداناً وبلغ ارتفاعه ١٤٦ متراً تقريباً ثم تحطم جزء من قمته فصار الآن ١٣٧ متراً ، وطول كل جانب من جوانبه ٢٣٣ متراً .. ويقع مدخل الهرم من الواجهة البحرية فى مواجهة النجم القطبى الذى لا يغيب عن الأفق الشمالى ، وكان خوفو يعتقد أن هذا النجم الذى لا يأفل يضمن لروحه الخلود والدوام ، والمدخل على ارتفاع ١٥ متراً من القاعدة ، وتوجد غرفة دفن الملك على ارتفاع ٤٢ متراً من سفح الأرض والغرفة كلها من الجرانيت الداكن ، ارتفاعها ستة أمتار وعرضها خمسة أمتار وطولها عشرة أمتار ونصف متر، وبها منفذان للهواء يصلان إلى خارج الهرم .. ويعلو الغرفة خمس حجرات صغيرة بعضها فوق بعض ، وهى حجرات فارغة لتخفف ضغط البناء على حجرة الملك.

وقد استغرق بناء هذا الهرم عشرين عاماً ، واستخدم فى بنائه مائة ألف

عامل كان يستبدل بهم غيرهم كل عام .. ويقدر عدد الأحجار التي استخدمت في بنائه بمليونين وثلاثمائة ألف حجر ، يزن الواحد منها طنين ونصف ، وكانت هذه الأحجار بعد قطعها تحمل إلى حيث يبني الهرم على زحافات تجرى على أحجار مستديرة ، ثم ترفع بالبكر من أسفل إلى أعلى ، ويدل استعمال المصريين لهذه الطريقة على ما توصلوا إليه من مهارة في فن البناء ، وبعد أن تم بناء الهرم كسى بأحجار بيضاء ملساء ولكنها أزيلت عن الهرم في بعض العصور التالية.

وكان العمل في بناء الأهرام يجرى في أوقات الفيضان ، حيث تكون الأرض مغمورة بالمياه والفلاحون بغير عمل .

ثم جاء الملك خفرع ، ورأى أن يقلد أباه فيبنى هرماً آخر بجوار الهرم الأكبر ، أقل منه حجماً حيث يبلغ ارتفاعه ١٤٣ متراً ، وبسبب تساقط أحجار قمته أصبح ارتفاعه الآن ١٣٦ متراً ، وهو ينحدر إنحداراً شديداً ، ويقوم على هضبة أكثر ارتفاعاً ولذلك فإن قمته ترتفع أكثر من هرم خوفو ، ومن أهم ما يميز هذا الهرم الغطاء الذي يكسو قمته والذي ما زال يحتفظ بطبيعته الأصلية ، وقاعدته محلاة بالجرانيت الأحمر .. ويقال أن عهد خفرع كان مليئاً بالخلافات ولذلك لم يترك أثراً تذكر غير هرمه.

وتولى حكم مصر بعد خفرع ابنه منقرع ، وبنى الهرم الثالث ، وكان ارتفاعه ٦٦ متراً ، وارتفاعه الآن ٦٣ متراً ، وكان يسمى " نتريت " أى "الإلهي" ، ويختلف عن الهرمين في أن كسوته من حجر الجرانيت الأحمر ، ولكن هذه الكسوة لم تكمل لأن الملك مات فجأة ، وقد عثر الباحثون على بقايا تابوت خشبي في حجرة الدفن في الهرم كما عثروا في معبد الوادي على تمثال واحد للملك وزوجته وأدوات فنية على درجة عالية من الإتقان .

وكان ملحقاً بكل هرم معبد جنائزى للطقوس ، وعدد من المصاطب دفن فيها النبلاء المقربون من الملك .

ومما ينبغي ذكره أنه يوجد في العالم منشآت أخرى تشبه الأهرام الفرعونية ، ولكنها ليست كاملة في هندستها ، ولا تبلغ مبلغها من الضخامة ، فقد شيد الآشوريون أهراماً أقيمت على قممها معابد للطقوس الجنائزية والدينية ، كما أن هناك أهراماً أخرى بنتها قبائل " المايا " في أمريكا الوسطى وفي المكسيك ، وحاول الرومان أن يقلدوا الفراعنة وبنوا أهراماً صغيرة في روما.

مراكب الشمس

اكتشفها المصري كمال الملاخ بجوار الهرم الأكبر عام ١٩٥٤ بعد بحث استغرق أكثر من أربع سنوات .. ويعد هذا الكشف أضخم كشف اثرى بعد اكتشاف كارتر لمقبرة توت عنخ آمون في وادي الملوك بالأقصر .

وقد بدأ البحث عن هذه المراكب بعد حادث وقوع تلميذ صغير في فجوة كانت فارغة وراء الاستراحة الملكية للهرم الأكبر ، وبدأ بعد ذلك الاهتمام بتسوير هذه الفجوات ، ليبدأ الاهتمام بالكشف عما بها .

ومما يذكر أن الشمس كانت هي الكيان الأكبر لقدماء المصريين ، وكانت ذات أثر عظيم في حياتهم ، وربط المصري مصيره بمصيرها ، فهي معبوده الأول والأكبر ويرتبط خلوده بخلودها .. واعتقد المصري أنه لكي يصل إلى العالم الخالد كان عليه أن يبقى جسده بعيداً عن أن يفنى حتى يحفظ به روحه، وقد حفظ جسده عن طريق التحنيط ، أما الروح فطالما أن اعتقاد المصري راسخ في أنه لا أمل في خلوده إلا ببقاء جسده وروحه وازدواجهما في زيارات متعاقبة تحدد شرائع دينهم ، فقد راح الفراعنة يضعون حول أهراماتهم عدداً من المراكب داخل مخابئ منحوتة في صخرة الهضبة المقام عليها الهرم ، حتى إذا ما جاء الكاهن الأكبر كل صباح وتلا بجوارها تعويذة

معينة فإنهم يتخيلون أن قوة سحرية غير منظورة ستدفع المركب لتسبح فى محيط الفضاء حاملة الروح لتتبع مركب الشمس التى تخيلوا أنها أيضاً تنتقل فى مجراها عن طريق مركب من ذهب طوله ٧٥٠ ذراعاً مصرياً (الذراع طوله ٥٢,٣ سم) .

وقد اكتشف كمال الملاخ ٣ فجوات لمراكب الشمس محفورة فى ربوة أهرام الجيزة إثنان منهما لمركبى الشمس الخاصتين بالملك خوفو ، الشرقية فى رحلة الشمس نهاراً والغربية فى رحلة الشمس ليلاً ، والثالثة لمركب الشمس الخاصة بالملكة زوجة خوفو .. وكان قدماء المصريين يرون أن المركب يمر من ١٢ بوابة نهاراً و ١٢ بوابة ليلاً ، وكانت مراحل الرحلة هى بمثابة تقسيم لليوم إلى ٢٤ ساعة فضلاً عن معرفتهم لدوران الأرض قبل جاليليو بقرون طويلة.

ويعد مركب الشمس لخوفو اضخم مركب قديم كشف عنه التاريخ حتى الآن ، ويبلغ طوله نحو ٤٥ متراً واقصى عرض له ٦ أمتار ، وترتفع مقدمته ٦ أمتار ومؤخرته ٨ أمتار ، تعلوه مقصورة يعتمد سقفها على ٣ أعمدة نخيلية التيجان ، وتمتد أمامها سقيفة بالقرب من مقدمة المركب ليحتوى فى ظلها قائده الربان ، ولها اثنا عشر مجدافاً ، خمسة على كل جانب ، غير مجدافين طويلين عند المؤخرة .

المركب مؤلف من ٦٥٠ جزءاً جمعت من ١٢٢٤ قطعة من الخشب تختلف أطوالها من ٥ سم إلى ٢٣ متراً ، ولبعضها انحناءات تناسب إنسيابات هيئة المركب ، وقد تطلب بناء المركب ٥ كيلو مترات من الحبال لتكديك وربط أجزائها من خلال ٤٠٠٠ ثقب لا تبدو من الخارج مطلقاً ولا من على سطحها .
وقد وضع قدماء المصريين قطعاً من بخور ومسك وعطر نفاذ درءاً من

هوام الحشرات كى لا تقرب أخشاب المراكب وتقرضها .. وقد نجحوا فى ذلك تماماً ، وسلمت طوال ٤٧ قرناً من الزمان.

وقد أقيم متحف على المركب الشرقى من مركبى خوفو ، وهو المتحف الوحيد فى مصر الذى يعرض قطعة أثرية فريدة واحدة.

من الذى حطم أنف أبى الهول ؟!

ذكر المقرئزى أن رجلاً صوفياً يدعى صائم الدهر هو الذى حطم أنف أبى الهول حيث اعتبره رمزاً وثنياً ، فقد كانت النساء تتبرك به وتقدم له النذور ، ويقال أن عاصفة رملية زحفت على الأراضى الزراعية الممتدة من هضبة أبى الهول إلى النيل فأتلفت المزروعات وأهلكتها ، ونسب الناس ذلك إلى غضب أبى الهول لتشويه أنفه.

فى عهد الملك خفرع نحت تمثال أبى الهول عند سفح الأهرام والذى يعد أعجوبة من عجائب الفن الفرعونى القديم ، وكان عبارة عن كتلة كبيرة واحدة من الحجر على مقربة من الأهرام ، وكانت عائقاً يفسد منظر الهرم الثانى، وتمثل عائقاً أمام تعبيد الطريق بين معبد الوادى والمعبد الجنائزى عند هرم خفرع ، واقترح مهندسو الملك خفرع أن يصنعوا من هذه الكتلة تمثالاً ضخماً متوجهاً للشرق - ولهذا كان اسمه من البداية " حر . ام . اخت " أى حورس الذى يتطلع إلى مولد نور الشمس - فى هيئة تجمع بين جسد أسد رمزاً للقوة والصلابة وبين رأس إنسان يتسم بالوقار والحكمة لتظل أبد الدهر معبرة عن سلطان العقل عندما يلتقى مع جبروت القوة ، كما انحنى ذيله الطويل ، وانتهت خصلة الذيل على هيئة رأس أفعى لتحميه من الخلف ولهذا جاء الشكل السيريالى الفنى قبل أن يبدع إنسان القرن العشرين (السريالية) بقرون طويلة.

ويعلو رأس التمثال جزء من التاج وبقية من الحية "رمز الملكية" - كانت الكوبرا رمز العرش شمال مصر - ، وقد سقطت الحية واللحية وهما محفوظتان بالمتحف البريطاني الآن ، وكان بحاراً إيطالياً يدعى " جيوفانى كافيللا " قد وجد قطعتين من ذقن أبى الهول فى رمال منطقة الأهرام وقام بتهيئتهما إلى لندن عام ١٨١٨ م .

وقد غطت الرمال تمثال أبى الهول عدة مرات فى العصور المختلفة ، وأول مرة أزالها عنه الملك تحتمس الرابع وقد سجل لنا ذلك على لوحة جرانيتية تقع بين مخبى التمثال فيقول " إنه خرج مرة للصيد فى الصحراء ثم غلبه النعاس وقت الظهر فافتش الأرض وراح فى النوم ، ورأى فيما يراه النائم الملك خفرع فى هيئة أبى الهول ، وقد أقبل عليه يبشره بأنه سيعتلى عرش مصر ، وطلب منه أن يزيل عنه الرمال التى تتقل كاهله (وكان أمراً غريباً لأنه لم يكن ولياً للعهد) وعندما تحققت الرؤيا وارتقى تحتمس الرابع العرش أزال عنه الرمال .

ثم عادت الرمال لتغطى جسم التمثال وأزيلت عدة مرات ، وفى عهد البطالمة والرومان رمم التمثال وأضيف إليه مذبح القرايين وكذلك السلام التى تقع بالجهة الشرقية .. وفى عام ١٨١٨ م قامت إحدى جمعيات الحفر الإنجليزية بإزالة الرمال ، كما قامت مصلحة الآثار المصرية عام ١٩٢٦ بإزالة الرمال التى غطته حتى العنق ليبرز التمثال بأكمله .

ويلاحظ أنه فى أثناء فترة حكم الأسرة الثامنة عشرة ، أقبل المصريون على هذا الأثر الخالد العجيب مقدسين له ، متوسمين فيه رمزاً للشمس ، منبع حياتهم يطلقون عليه أحياناً " شبس عنخ " أى مانح الحياة بالهيروغليفية وهو من أولى الأسماء التى سمى بها وأحياناً أخرى يسمونه " حور صاحب الأفق " .

وفى عهد الدولة الحديثة استقبلت مصر وفوداً عديدة من أقطار آسيا ، واتخذ الكنعانيون من سفح هذه الهضبة والى جوار أبى الهول مستقراً لهم ، وقد كان لهم إلهاً يعبدونه يسمى " حور حورون حول " ويرمزون له بطائر فى هيئة صقر ، ومن شدة إعجابهم بأبى الهول لم يجدوا حرجاً فى خلق صلة قوية بين معبودهم وبين الشمس التى قدست فى هذا الأثر ، ومن هنا أطلق الكنعانيون على هذا الأثر المصرى اسم " حور " أو " حول " واتخذوا منه بديلاً عن إلههم . كما أطلقوا على الساحة المحيطة به " بوحور .. أو بوحول " وتعنى بيت حور أو بيت حول.

أما الاسم الحالى والشائع " أبو الهول " فله عدة تفسيرات يعد أقربها إلى الصواب تفسيران أولهما : أن كلمة أبى الهول قد تكون تحريفاً لغوياً حدث على مر الزمان وعلى أيدي المصريين لهذا الاسم الكنعانى " بوحور أو بوحول " وثانيهما : فيرجع سببه إلى الإغريق حيث كان هذا الاسم يطلق على ماردمشابه له جسد أسد وجزؤه الأعلى لامرأة وكان رابضاً فوق صخرة عالية على مشارف طيبة الإغريقية ، وكما ورد فى الأسطورة الإغريقية التى تدور حول أبى الهول الإغريقى أن الآلهة أرسلت به إلى أهل طيبة لتتقم منهم فكان يعترض طريق كل من يدخل المدينة أو يخرج منها ويسأله : من هو الكائن الذى يمشى فى الصباح على أربع وفى الظهيرة على اثنين وفى المساء على ثلاث ؟ ويعجز الناس عن الإجابة فيقتلهم حتى أقبل أوديب فأجابه قائلاً : إنه الإنسان (يلاحظ أن الصباح والظهيرة والمساء يقصد بها مراحل عمر الإنسان الطفولة والشباب والكهولة).

مصر تسجل أولى الرحلات فى تاريخ البشر

لقد وثق قدماء المصريين أولى الرحلات المعروفة فى تاريخ البشر .. ولم يسبقهم فى ذلك أحد .. وتعتبر قصة " سنوحى " أقدم رحلة موثقة فى التاريخ على الإطلاق .. وتعود إلى الأسرة الثانية عشرة.

ومجمل هذه القصة أن امنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة توفى بينما كانت رحى الحرب دائرة بين مصر والليبيين ، وكان ابنه وولى عهده سنوسرت على رأس الجيش المحارب ، وتحت إمرته قادة من بينهم أمير يدعى " سنوحى " لم يكن معه على وفاق ، فلما وفد رسول البلاط ينبئ سونسرت بوفاة أبيه ، وتوليه العرش بعده ، سمع بذلك سنوحى ، وقرر الفرار خوفاً على حياته من الملك الجديد ، فعبر النيل ، ومر بعين شمس ، ثم سار فى الصحراء شمالاً إلى سيناء ، وعلى الرغم مما حل به من تعب وجوع وظمأ ، تجلد وواصل السير حتى نزل على أحد البدو ، وكان رئيساً لإحدى القبائل ، فأحسن لقاءه وقدم له الماء واللبن ، ولما استراح من التعب ، عاد ليوصل رحلته حتى وصل إلى بلاد الشام وتتنقل بين قبائلها ، حتى استقر به المقام أخيراً عند رئيس قبيلة من البدو ، فحدثه سنوحى عن أمره ، فأكرم رئيس القبيلة وفادة

الأمير ، وزوجه كبرى بناته ، ومنحه أرضاً تنتج عنباً وتيناً وزيتوناً وقمحاً
وشعيراً ، كما منحه قطيعاً كبيراً من الماشية.

ولما عظمت مكانة سنوحى فى البادية ، وارتفعت منزلته عند رئيس
القبيلة ، ثارت الغيرة والحسد فى نفس أحد سكان البادية ، وكان مهاباً قوى
السطوة عظيم البطش ، فاعتزم قتل سنوحى ليحل محله ، ويستولى على أرضه
وأملكه ، فنازله سنوحى فى جمع من البدو وتجلت براعته فى الحرب ، حتى
أرداه قتيلاً بسهم صوبه نحو نحره ، فهتف الناس بحياة الأمير المصرى الذى
أراحهم من شر ذلك الطاغية .

ولما طالت الغربية بسنوحى وسارعت إليه الشيوخوخة ، خشى أن يدركه
الموت ، وهو بعيد عن مصر ، فحن إليها وبعث برسول أمين ، يحمل رسالة
إلى الملك سنوسرت الأول يظهر فيها ولاءه ، ويصور حاله من الضعف
والشيوخوخة ويلتمس منه المغفرة والسماح له بالعودة إلى الوطن .

وعاد الرسول إلى سنوحى ، يحمل أمر الملك بالعفو عنه ، والسماح
بعودته ، فوزع ثروته هناك بين أبنائه ، وعين أكبرهم رئيساً مكانه ، ثم سارع
الخطى إلى الوطن ودخل القصر الملكى وهو ذاهل من فرحته ، فقابلته الملكة
والمملكة والنبلاء بحفاوة وإكرام بالغين .

وكانت الغربية قد غيرت كثيراً من شكله ومظهره ، حتى أن الملك قال
مداعباً من حوله : " انظروا .. هذا سنوحى ، غادرنا مصرياً ، وعاد إلينا
آسيوياً ، وفارقنا متمدناً ، وارتد إلينا بدوياً "

وقص سنوحى على الملك قصته فأدخله فى بلاطه ، وأنزله فى قصره
الملكى ، فارتدى الملابس الملكية وحلق لحيته ، ووضع على رأسه شعراً
مستعاراً ، جرياً على عادة النبلاء المصريين فى هذا العصر .

والقصة تصور حياة البدو في الصحراء ، وتصف معيشة الخيام ، وكرم
البدو وشجاعتهم وحروبهم ، وتصور كذلك بعض العادات المصرية في قصور
الملوك في ذلك العهد.

المسلات المصرية

" لقد أقمت هذا النصب لتعجب به الأجيال القادمة من بعدى " .. نقشت هذه العبارة على واحدة من أشهر المسلات المصرية وهى مسلة الملكة حتشبسوت بالكرنك ، ومضت القرون الطويلة لتؤكد هذا المعنى ، فمازالت كثير من مدن العالم تشهد بذلك السبق المعماري الفنى الذى أحرزه المصريون منذ فجر التاريخ.

وكانت المسلات تقام أصلاً لإله الشمس - الإله الأكبر عند قدماء المصريين - ومن ثم فالمسلة هى رمز للنور والحياة ويقال أنها ترمز بهيئتها لشعاع الشمس ، وكانت تتحت من نوع من الحجر المسمى (السينيت Syenite) وسمى كذلك لأنه يستخرج من سين (أسوان الآن) وهو نوع من الجرانيت الضارب إلى الحمرة لشبه لونه بلون الأشعة ، كما كان يستخدم البازلت الرمادى القاتم .. كما أن الهرم الذى فى قمته كان يكسى أحياناً بالذهب لتنعكس عليه الأشعة فى المعبد وكأنه عرش الشمس.

وقد اشتهرت مدينة " أونو " (وهى منطقة عين شمس حالياً) بقيام عبادة الشمس فيها منذ أقدم العصور ، وكان يوجد بمعبد الشمس فيها قطعة من الحجر هرمية الشكل ، وعندما لاحظ الكهنة المصريون أن طائراً معيناً يحط فى

وقت من السنة على هذا الحجر الهرمى ، اعتقدوا أن هذا الطائر هو إله الشمس وأنه اتخذ هيئة الطائر ليزور معبده ، كما اعتقدوا أن إله الشمس يحب الشكل الهرمى ولذلك رمزوا له بعمود قاعدته مربعة وقمته على شكل هرم وهو ما يعرف باسم المسلة.

والمسلة عمود ينحت كله من صخرة واحدة ، ولها أربعة جوانب مسطحة ترتفع مستقيمة فيكون قطاع المسلة مربع تقريباً وتأخذ في ميل تدريجي خفيف كلما ارتفعت ثم تنتهى بهرم صغير تميل جوانبه على مستوى جوانب المسلة ، وتقام المسلة عادة على قاعدة مكعبة تستقر على درجة أو اثنتين .. وكانت المسلات تقام عند مداخل المعابد ، واحدة على كل جانب - كما وضعت مسلات صغيرة فى مقابر الدولة القديمة وعلى جوانب المسلة كان يسجل اسم الملك وألقابه ، كما كانت الشمس تنقش عليها فى هيئة قرص تمجيداً للإله رع رب الشمس مصدر الحياة .. وعلى الرغم من أن الغرض الأساسى من إقامة المسلات كان غرضاً دينياً إلا أن الأمر تطور فأصبحت تقام فى مناسبات معينة. وكانت المسلة تسمى عند قدماء المصريين " تخنو " أو " بن بن " ويطلقون هذه التسمية على قمته الهرمية ثم أطلق عليها اليونانيون " أوبيلسكو " عندما شبهوها بإبرة الخياطة الطويلة " المسلة " والتي ظلت فى العربية وصفاً لها.

والذين أقاموا مسلات عملاقة من الفراعنة ملوك قلائل ومنهم سنوسرت الأول ، وتحتمس الأول ، وحتشبسوت ، وتحتمس الثالث ورمسيس الثانى ، أما المسلات الصغيرة فكانت كثيرة صنع أكبر عدد منها فى عهود الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة .

وأقدم مسلة فرعونية لا تزال موجودة حتى الآن فى أحد ضواحي مدينة

هليوبوليس (المطرية الآن) وأقامها الملك سنوسرت الأول من ملوك الأسرة الثانية عشرة ويبلغ ارتفاعها حوالى ٢٠ متراً ، وهى مكونة من قطعة واحدة من الصخر قاعدتها مدفونة فى التربة كما أنها لازالت قائمة فى البقعة التى كانت تشغلها قديماً مدينة عين شمس المشهورة بجامعةها التى تعتبر أقدم مراكز العلم والمعرفة فى تلك العصور .

ومما يذكر أن عدداً كبيراً من المسلات المصرية قد تفرقت فى مختلف أنحاء العالم بسبب الغزوات والحروب فعندما دخل الفرس مصر عمدوا إلى تكسير عدد كبير منها وسرقة السبائك الذهبية المحلاة بها ، كما نقل أحد ملوك الآشوريين إحدى هذه المسلات على سبيل التذكار وأقامها فى إحدى مدن بلاده .

وأضخم مسلة بنيت حتى الآن هى المسلة المقامة بميدان " سان جيوفانى اللاتيرانى " بروما حيث يبلغ ارتفاعها ما يزيد على ٣٠ متراً ، كما يقدر وزنها بحوالى ٤٥٥ طناً ، وكانت مقامة فى الأصل فى " طيبة " ثم نقلت إلى الإسكندرية حوالى عام ٣٣٠ للميلاد بأمر من الإمبراطور الرومانى " قسطنطين الأكبر " ومنها نقلها " قسطنطينوس " إلى روما فأقيمت أولاً فى ساحة " مكسيموس " .

وقد استهوت المسلات الحكام الرومان فأخذوا ما يزيد على ١٢ مسلة ، وأقاموها فى جهات متفرقة من أنحاء إمبراطوريتهم الواسعة ، وأهتم رجال الدين بما بقى من هذه المسلات فى روما ووضعوا فوقها الصلبان كما أحاطوها بنافورات المياه وتوجد مسلة فى كل من فلورنسا وبرلين ومسلتان فى استانبول .

وفى عام ١٨٣١ أهدت مصر إحدى مسلتى الأقصر إلى ملك فرنسا ، وبعد خمس سنوات أقيمت هذه المسلة وسط ميدان الكونكورد بباريس ، وكانت تقام فيه منصات الجلادين حيث أعدمت مارى انطوانيت ولويس السادس عشر

وعدد من الأمراء فى بداية الثورة الفرنسية .. وقد حضر ملك فرنسا لويس فيليب احتفال أقامتها مع ٢٠٠ ألف نسمة من أهل باريس وسط الميدان يوم ٢٥ أكتوبر ١٨٣٦، وقد أقام هذه المسلة رمسيس الثانى ونقلت من أمام معبد الأقصر وهى تزن ٢٢٧ طناً وارتفاعها ٢٢,٥٥ متراً ويعرض متحف اللوفر قاعدتها الأصلية .

ومن أشهر المسلات المصرية المسلتان المشهورتان باسم " مسلتى كليوباترا " وهى تسمية خاطئة حيث صنعتا قبل عصر كليوباترا بزمان طويل فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد تخليداً لاسم فرعون مصر تحتّمس الثالث ، وعندما اعتلت كليوباترا عرش مصر نقلت المسلتين إلى الإسكندرية لتزين "القيصريوم" قصر الحاكم الرومانى بالإسكندرية ، وظلتا حتى عام ١٨٧٧ فى المكان الذى تشغله الآن محطة الرمل .. ويبلغ طول كل منهما حوالى ٢٣ متراً ووزنها حوالى ٢٠٠ طن.

وقد أهديت إحدى المسلتين وهى قائمة على ضفة نهر التيميز فى بريطانيا عام ١٨١٩ ولكنها لم تصل إلى لندن إلا عام ١٨٧٧ ، ومما هو جدير بالذكر أن هذه المسلة أصيبت بخدش من شظايا القنابل أثناء الحرب العالمية الثانية .. أما المسلة الثانية فقد أهدتها مصر إلى الولايات المتحدة عام ١٨٧٩ وتوجد الآن فى ميدان سنترال بارك بمدينة نيويورك.

ومن أشهر المسلات المصرية " المسلة الناقصة " وهى أطول واضخم مسلة وإن لم يتم قطعها من محاجر أسوان الجرانيتية ، ويبلغ طولها حوالى ٤٢ متراً ، كما يبلغ وزنها فى حالة إتمام قطعها ١١٦٨ طناً .. غير أن تاريخ هذه المسلة لا يعرف على وجه الدقة لخلوها من النقوش التى لم تكن تنقش إلا بعد قطعها تماماً ، ولكن يحتمل أن تكون من عهد الملكة حتشبسوت حيث تميز

عدها بقطع المسلات الكبيرة ، ولم يتم قطع مسلة أسوان لاكتشاف عيب فى صخرها.

وكان قدماء المصريين إذا أرادوا قطع مسلة من المحاجر تأكدوا أولاً من سلامة الصخور المراد قطعها ، وكانوا يشعلون ناراً فوق الصخور الجرانيتية ، ثم يصبون الماء عليها لتفتت الطبقة السطحية التى ينبغى التخلص منها ، ثم يسوى السطح بكرات من حجر الدولوريت ، وكانوا يرسمون شكل المسلة على سطح الصخر بحبل مغموس فى لون ، ويعمقون هذه الخطوط بألة معدنية حادة ليتضح شكل المسلة للعمال ، ويأخذ العمال فى حفر خندق على جانبيها ، وإذا ما تم فصل المسلة من جانبيها بدئ بفصلها من تحتها وكان هذا عملاً شاقاً للغاية ، ويظن أنه كان يتم حفر ممرات على مسافات معينة ، وكانت هذه الممرات تحشى بالخشب أو الحجر لترتكز المسلة عليها عندما يتم سحق الصخر فيما بين هذه الممرات .. ثم ترتفع بعد ذلك المسلة لتتطرق بإعجاز هؤلاء المصريين.

أنبياء الله فى مصر

كانت مصر مقصداً للأنبياء ، جاء إليها إبراهيم عليه السلام هرباً من المجاعة فى فلسطين وتزوج منها هاجر أم إسماعيل عليه السلام جد العرب ، ثم جاءها يوسف عليه السلام وعاش بها ، ثم ولد بها موسى عليه السلام وتلقى فيها رسالته .. ثم جاءت إليها السيدة مريم والمسيح عليه السلام وعاشا بها اثنى عشر عاماً .

أقبل إبراهيم عليه السلام من فلسطين إلى مصر يطلب فيها الشبع والرى من بلاد أصابها القحط والجفاف ، وكان مجيئه إليها على الأرجح أيام الأسرة الثانية عشرة ، حيث جاءها من طريق ممهد بآسيا إذ كانت قوافل التجارة ترد على مصر .. وقد أقبل إبراهيم عليه السلام مع إحدى قوافل البدو ، ومن المؤكد أنه أقبل على مصر بعد أن سمع بما كان فيها يومئذ من الرخاء والأمن والسلام .

وقد تزوج إبراهيم عليه السلام من السيدة هاجر ، وهى من قرية فى شمال مصر على بعد ثلاثة كيلو مترات من الساحل الشمالى ، وتعرف اليوم آثارها "بتل الفرما" ، وقد أنجبت هاجر من إبراهيم عليه السلام إسماعيل عليه السلام أبو العرب والذى ينتسب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم .. وقد شاء

الله أن يخلد تلك الفتاة المصرية فيفرض على عباده السعى - كما سعت - بسين الصفا والمروة حاجين أو معتمرين.

ثم جاء إلى مصر يوسف عليه السلام أيام الهكسوس ، وفي ذلك الوقت كان ملوك الهكسوس قد أدخلوا بعض المصريين من أهل الدلتا في خدماتهم ، وانتحلوا بعض عادات المصريين وبعض أسمائهم ، وربما دل على ذلك اسم العزيز الذي اشترى يوسف وأدخله في خدمته " فوطيفاً رع " .

وتبدأ قصة يوسف عليه السلام بالحق الذي ثار في نفوس اخوته لما رأوا من حب أبيه وإيثاره عليهم فاجتمعوا على المباعدة بينه وبين أبيه ، وألقوه في البئر ، وجاء بعض الناس وأخذوه من البئر وباعوه ، ولقد حمل يوسف إلى مصر حيث كانت تجارة الرقيق من البنين والبنات الآسيويين تلقى يومئذ رواجاً ، وبيع يوسف لعزيز مصر " فوطيفاً رع " حيث أنزله منزلاً طيباً وأوصى به امرأته. ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ يوسف (٢١)

ثم بدأت قصة يوسف بعد ذلك كما هو معروف مع امرأة العزيز التي حاولت أن تراوده عن نفسه وانتهاء المؤامرة به إلى السجن ، ثم تفسيره للأحلام في السجن ، وتأويله للحلم الذي رآه الملك عن البقرات السبع الثمان واللاتي يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، وفسر يوسف ذلك بأنه يأتي سبع سنوات جفاف يأكلن محاصيل السنوات السبع السابقة والتي تميزت بالخير ، ثم يعم الخير بعد الجفاف ، ودفع ذلك الملك إلى أن يعينه على خزائن مصر ، ثم التقى بعد ذلك مع أخوته الذين ألقوه في البئر صغيراً ، وما استتبع ذلك من مجيء يعقوب وأولاده إلى مصر ، وقد عاشوا في أرض جاسان وهي في شمال بلبيس ويقول العلماء أنها نواحي الصالحية .

وفى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، وفى ظل الرعب الذى فرض على بنى إسرائيل من حيث قتل أولادهم الذكور ، ولد موسى فأوحى الله إلى أمه أن تلقىه فى اليم ، والنقطة آل فرعون ، وتربى فى قصر فرعون ، ثم حدث أن قتل موسى عليه السلام أحد المصريين مناصرة لإسرائيلياً من شيعته وما تلى ذلك من خروجه من مصر هارباً حيث ولى وجهه قبل المشرق إلى مدين عن طريق سيناء وتزوج هناك ، وعندما شعر بالأمان عاد إلى مصر حيث تلقى فى طريق عودته دعوة الله ، وحاول موسى عليه السلام أن يدعو فرعون للإيمان بالله ، ولكنه لم يستطع واستمر الصراع بينهما إلى أن انتهى الأمر بغرق فرعون وأهله فى البحر .

ثم جاء عيسى عليه السلام إلى مصر ، فبعد أن ولد فى بيت لحم على مقربة من بيت المقدس فى عهد الملك هيرودس حاكم فلسطين الرومانى الذى علم أن طفلاً قد ولد ، وأنه سوف يتسبب فى ضياع مملكة أسرة هيرودس ونفوذها ، فأصدر أوامر بقتل الأطفال حديثى الولادة ، فأخذته السيدة مريم وجاءت به إلى مصر مع ابن عمها يوسف بن يعقوب عن طريق صحراء سيناء، وعاشوا فى مصر مدة اثنتا عشرة سنة حتى علموا أن هيرودس قد مات فانطلقوا إلى فلسطين مرة أخرى ، وقد نزلوا فى أماكن متعددة بمصر من أشهرها منطقة مصر القديمة ، والمطرية حيث توجد الآن الشجرة المعروفة بشجرة العذراء .

الملك الذى بنى قصر التيه

الملك " أمنمحات الثالث " من الأسرة الثانية عشرة والذى بلغت فى عهده الدولة الوسطى أقصى درجات مجدها.

وقد امتاز حكم أمنمحات الثالث بالمشروعات العظيمة التى قام بها حيث ابتكر لرى الوجه البحرى طريقة عمليه ناجحة ، وذلك أن فيضان النيل كان يغمر إقليم الفيوم سنوياً لانخفاضه عن سطح النيل فيتحول إلى بحيرة عظيمة كانت تعرف " ببحيرة موريس " وكانت المياه تصل إلى هذا الإقليم من فجوة فى الهضبة الغربية جهة الفيوم.

وقد حاول المصريون فى عصر ما قبل التاريخ وفى عهد الأسر المختلفة أن يمنعوا طغيان المياه على أراضى الفيوم كى يستغلوها فى الزراعة فأقاموا لهذا الغرض سداً عند اللاهون فى الفجوة التى تصل وادى النيل بمنخفض الفيوم ، ولما تولى الملك أمنمحات الثالث مد هذا السد حتى صار طوله ٢٧ ميلاً وبذلك أمكنه أن يجعل من تلك البحيرة خزاناً عظيماً تخزن فيه المياه لاستعمالها فى رى أراضى الوجه البحرى فى وقت التحاريق .. وبهذه الطريقة انحسرت مياه النيل عن حوالى سبعة وعشرين ألفاً من الأقدنة أصبحت صالحة

للزراعة ، وكانت كلها ملكاً للملك .. ويعتبر هذا المشروع من أعظم الأعمال الهندسية في العالم القديم.

وقد رأى الملك أن البعثات التي تذهب إلى سيناء تعاني مشاق جسيمة من وعورة الطريق وجفاف الصحراء فعمل على إنشاء مساكن للعمال وحفر الآبار وأقام القلاع لصد هجمات البدو ، ووضع المناجم تحت إشراف رؤساء فرض على كل منهم مقداراً ثابتاً من المعادن المستخرجة يدفعه كضريبة للحكومة فانتنظمت بذلك أحوال المناجم وصارت مورداً ثابتاً من موارد الدولة.

وفي عهده أقيم مقياس للنيل حيث كان الموظفون يسجلون ارتفاع الماء وانخفاضه في نهر النيل على صخور قلعة " سمنة " عند الشلال الثاني وكان هذا المقياس كبير الفائدة إذ تستطيع به الحكومة مراقبة النهر ومعرفة مدى فيضانه ويساعدها هذا في تقدير ما تنتجه الأرض من محصول ، وما ينبغي أن يفرض عليها من ضرائب ، ولا تزال البيانات التي سجلها المصريون في ذلك العصر باقية إلى اليوم.

كما بنى أمنمحات الثالث قصراً ضخماً عند " هواره " على مقربة من السد الذي أقامه يبلغ طوله حوالي ألف قدم وعرضه ثمانمائة قدم واتخذه مقراً للحكومة ، وكان يشتمل على حجرات تبلغ في عددها عدد أقسام مصر الإدارية، ومنه كانت تدار البلاد عامة .. ويبدو أن كثرة غرفه وتعدد طرقاته أكسبته فيما بعد اسم " لابيرنته Labyrinth " تشبيهاً بقصر لابيرنته الكريتي المذكور في الروايات الخرافية لشعب طرقة وحجراته ، وقد عرف هذا القصر أيضاً بقصر التيه لتعدد طرقاته بشكل غير عادي ، ولم يبق منه الآن سوى بعض أحجار بالقرب من هرم اللاهون.

وقد ذكر أحد المؤرخين القدماء الذين زاروا هذا القصر العجيب أن

سقف كل حجرة من حجراته كان من حجر واحد ، وكذلك أرضها ، ولم يستعمل في بنائه خشب أو ما شابهه من مواد العمارة.

وظل أمنمحات الثالث يحكم البلاد حوالي خمسين عاماً نعمت فيها البلاد من جنوبها إلى شمالها باليسر والرخاء ، ولما توفى دفن في هرمه بجهة دهشور.

أول ثورة فى التاريخ

الهكسوس شعب آسيوى أغار على مصر واستولى عليها فى وقت ضعفت فيه الأسرة الثالثة عشرة بسبب الحروب والخلافات ، وجعل الهكسوس ملوك الأسرة الرابعة عشرة تحت سلطانهم ثم كونوا بأنفسهم ملوك الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة .. ومن المرجح أن الهكسوس شعب سامى كان يحكم سوريا وفلسطين وكان تفوقهم فى فنون الحرب سبباً لهزيمة المصريين لمعرفة العجلات الحربية التى كانت تجرها البخيل التى استعملت فى هذا الوقت لأول مرة فى التاريخ ، وكانت تخترق صفوف المشاة وتوقع فيهم الخلل والاضطراب ، وكان لهذا التفوق أثر كبير فى هزيمة المصريين .. فقد كانت مفاجأة واختراعاً كبيراً فى ذلك الوقت.

وقد اتخذ الهكسوس من أفاريس أو هواره بالقرب من بحيرة المنزلة عاصمة لهم لتكون موقعاً وسطاً بين مصر وأملاكهم فى فلسطين وسوريا.

وتميز حكمهم باستعباد المصريين وإساءة معاملتهم وهدم معابدهم والاعتداء على الأهالى ، وبادلهم المصريون هذا العداء ، غير أنه غلب عليهم التمدن المصرى بعد ذلك وحاولوا التمصر وأحسنوا معاملة المصريين وعبدوا معبوداتهم ، وقلد ملوكهم الفراعنة ، وبنوا المعابد على الطراز المصرى ، ومع

ذلك فقد ظل المصريون ينظرون إليهم نظرة الاحتقار لما لاقوه من بلاء على أيديهم.

وفى حوالى عام ١٦٠٠ ق.م ظهر بطيبة أمراء مصريون عظام يعدهم المؤرخون ملوك الأسرة السابعة عشرة ، وعملوا على تخليص البلاد من الهكسوس وحاولوا استمالة بقية الأمراء لديهم .. ولما سمع الهكسوس بنهوض طيبة حاولوا القضاء عليها قبل أن يستفحل الأمر ، فأخذ ملك الهكسوس يحثك بأمير طيبة ويختلق الأسباب للحرب ، ومن ذلك أنه أرسل إليه رسولاً ينبئه بأن صوت عجل البحر الذى يعيش فى نهر النيل قرب طيبة يزعجه وهو على بعد مئات الأميال فى أفاريس.

ولما كان عجل البحر هذا حيواناً يقدسه المصريون ، فقد عدوا التعريض به إهانة لهم ، وبدأوا يحاربون الهكسوس ، وظلت الحرب مستعرة سنوات ، حتى تولى الملك أحمس الأول أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة وأول من قاد ثورة ضد الاستعمار فى التاريخ .. فعمد إلى التعبئة العامة وتجنيد كل الرجال ، وصبغ الحياة بالصبغة العسكرية ، وبدأ تدريب المصريين على استخدام الحصان والعربة على نطاق واسع فضلاً عن استخدام الأقواس الضخمة الثقيلة ذات المدى البعيد ، وكانت هى الأخرى سلاحاً جديداً استخدمه الهكسوس عند غزوهم لمصر ، وعبأ أسطولاً نهرياً واتجه شمالاً لمحاصرة أفاريس عاصمة الهكسوس وهزمهم بنفس أسلحتهم.

وفر الهكسوس من مصر ، وتعقبهم أحمس الأول فى فلسطين وحاصر مدينة " شاروهين " فى جنوبها الغربى واستولى عليها بعد حصار ثلاث سنوات ، وقام كذلك بحروب فى الشام ، وتساقطت قلاع الهكسوس حتى تشتتوا تماماً فى أقاليم الشرق .. وبدأ أحمس يضع حجر الأساس فى الإمبراطورية المصرية القديمة التى امتدت من الشلال الرابع فى الجنوب إلى أعلى الفرات.

المدينة التي يوجد بها ثلث آثار العالم

الأقصر .. وتعتبر من أقدم المدن المصرية ، وإن كانت لم تبلغ ذروة الشهرة إلا في عصر الإمبراطورية المصرية الحديثة عندما كانت عاصمة لمصر ، فنمت وازدهرت وامتألت بالمباني التي أقامها الملوك والأمراء المصريون والتي يرجع معظمها إلى عصر الأسرات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

وقد لعبت هذه المدينة دوراً كبيراً في تاريخ مصر ، فباسم آمون إله هذه المدينة أقيمت المعابد الكبرى ، وباسمه خرجت الجيوش المصرية الظافرة تطرد المحتلين من الهكسوس ثم تفتح المدن لتقيم إمبراطورية مصرية عظيمة .

واشتهرت بأنها مدينة " المائة باب " ، كما أطلق عليها من جمال مبانيها وحسن تخطيطها وروعة معابدها اسم " مدينة المدائن " .. وكان الاسم الفرعوني لهذه المدينة (واست) ثم أطلق عليها اليونانيون اسم طيبة ، ولما دخل العرب مصر ورأوا ما فيها من عمائر حسبوها قصوراً فأطلقوا عليها الأقصر .

ويوجد بالأقصر أعظم آثار العالم القديم وفي مقدمتها على الضفة الشرقية للنيل معبد الأقصر وهو مكون من إضافات متعددة في العصور المتتالية لأغلب فراعنة مصر العظام لدرجة أن طوله الجانبى أصبح ٢٦٠ متراً ، وتبلغ مساحته أربعة أفدنة ، وقد شيده أمنحتب الثالث ثم جاء بعد ذلك رمسيس الثانى

وبنى أمامه البهو الكبير والتماثيل والمسلتين اللتين نقلت إحداهما إلى باريس بميدان الكونكورد ، كما أضاف من جاء من بعده من الملوك إضافات أخرى .

وإلى شمال معبد الأقصر تقع المجموعة الفسيحة للمباني المقدسة والتي تعرف بالكرنك (أى القرية الحصينة) وقلب هذه المجموعة يوجد معبد آمون الكبير (أكبر معبد فى العالم أجمع) ومن خلال معبد الكرنك تظهر صورة واضحة للتاريخ المصرى خلال ألفى عام تبدأ من الدولة الوسطى حوالى ٢٠٠٠ ق.م وحتى عهد بطليموس الحادى عشر ، وتبلغ مساحة معابد الكرنك حوالى ٦٢ فداناً وبدئ فى تشييده ليكون مقراً لعرش آمون وفيه كانت تقام الصلوات والاحتفالات بالأعياد ، وقد أضيفت إليه معابد أخرى لبعض الأرباب مثل معبد " موت " زوجة آمون و " خنسو " بن آمون و " بتاح " و " أوزوريس " وغير ذلك.

كما يوجد طريق الكباش الذى يصل بين معبدى الأقصر والكرنك ، كما تضم الأقصر صالة الأعمدة الكبرى التى شيدها ثلاثة ملوك عظام هم رمسيس الأول ورمسيس الثانى وسيتى الأول والمكون من ١٣٤ عموداً تزينها نقوش دقيقة نلها مسلة الملك تحتمس الأول ثم المسلتان اللتان أقامتهما حتشبسوت ، كما توجد منطقة البحيرة المقدسة التى شهدت احتفالات تتويج معظم الملوك.

أما على الضفة الغربية للنيل فمن أشهر آثار الأقصر مقابر وادى الملوك حيث نحت ملوك الدولة الحديثة مقابرهم فى باطن الصخر ومن أشهرها مقبرة توت عنخ آمون و آمنوفيس الثالث وسيتى الأول ، كما توجد مقابر الملكات ومن أشهرها نفرتارى زوجة رمسيس الثانى ، كما يوجد مقابر الأمراء ومن أمثلتها مقبرة راموس وزير إخناتون .

كما يوجد معبد حتشبسوت وهو يعد من أعظم آثار مصر القديمة ، وقد

أقيم على ثلاث شرفات تعلو كل منها الأخرى ، وسجلت على جدرانه مناظر تمثل رحلة أسطولها إلى بلاد بنت ومناظر ولادتها المقدسة من الإله آمون وغيرها من المناظر التاريخية والسياسية والدينية ، وإلى جوار هذا المعبد يوجد معبد " منتوحتب " من الأسرة ١١ وهو أقدم معبد فى طيبة.

كما يوجد أيضاً معبد مدينة هابو وهو مجموعة من المعابد التى كان يحيط بها سور من اللبن ما تزال آثاره باقية حتى الآن ، ويشتمل على بوابة عظيمة ومعبد جنائزى وقصر لرمسيس الثالث ومبان أخرى.

حتشبسوت

ابنة تحتمس الأول .. امرأة عظيمة عرفها التاريخ .. ومما يذكر أن تحتمس الأول لم يكن من أصل ملكى وإنما كان يحكم البلاد نيابة عن زوجه الملكة وهى من سلالة ملوك طيبة الذين طردوا الهكسوس من مصر ، وقد أنجب منها أميرة هى حتشبسوت ، وكان فى الوقت نفسه قد تزوج من سيدتين إحداهما أميرة ولدت له تحتمس الثانى وأنجبت الأخرى ابنه تحتمس الثالث .

ولما ماتت الملكة الشرعية التى كان يحكم البلاد باسمها ، أجبر على التخلّى عن العرش لتتولاه حتشبسوت ابنة الملكة المتوفاة لأحقبتها بالملك منه ومن أخويها .. وقد تبع ذلك نزاع طويل بين الإخوة الثلاثة انتهى بتولية تحتمس الثانى حكم البلاد مدة يسيرة لا تزيد على ثلاث سنوات .. وتزوجت حتشبسوت أخوها تحتمس الثانى ورزقا بابنتين ، وبموته أصبحت المسيطرة على كل شئ واتخذت لنفسها الألقاب الملكية العديدة ، على الرغم من مشاركة تحتمس الثالث لها فى الحكم.

وظهرت حتشبسوت على مسرح الحكم تبذل أقصى ما تستطيع أن تبذله امرأة من نشاط ، واستطاعت أن تجمع حولها رجال الدولة وبذلك أصبح حزبها أقوى الأحزاب وكانت هى القوة المحركة للعرش وصاحبة الكلمة المسموعة فى

البلاد ، وما لبثت أن استأثرت بالسلطة وسلبت من تحتتمس الثالث شريكها فى الحكم كل أمر وساعدها على ذلك صغر سنه.

وظهرت حتشبسوت فى النقوش والتماثيل وهى ملتحية بلحية مستعارة تشبهاً بالرجال ، ولبست غطاء للرأس تشبهاً بالملوك ، وظهرت تماثيلها على شكل أبى الهول فتراها برأس إنسان وجسم أسد رمزاً للعقل والقوة ، وقد ساد السلام والتعمير عصرها.

وأهم ما شيدته معبدها الرائع فى الدير البحرى بطيبة (الأقصر حالياً) على الجانب الغربى للنيل ، وسجلت عليه قصة مولدها من الإله آمون معبود طيبة والذى صار فيما بعد إله الإمبراطورية بأجمعها ، وقد شيدت معبد الدير البحرى فى سفح جبال طيبة وبه ثلاث شرفات مدرجة ينتهى أعلاها بساحة عظيمة مرتفعة ، وأمام هذه الشرفات أقامت سلسلة من الأعمدة الجميلة وغرست فيها ما جلبته من بلاد (بنت) من الأشجار النادرة.

كما أصلحت عدداً من المعابد المخربة ، وأرسلت إلى بلاد بنت - الصومال حالياً- بعثة تجارية من خمسين سفينة حاملة البضائع المصرية وتمثالاً للملكة نصب فى هذه البلاد ، ثم عادت السفن تحمل الأخشاب العطرية والأشجار الثمينة والأبنوس والعاج والذهب والحيوانات وأمرت بنقش أخبار هذه الرحلة بارزة على جدران معبد الدير البحرى ، ولا تزال هذه النقوش من أبدع روائع هذا المعبد العظيم.

وزادت حتشبسوت جزءاً فى معبد الكرنك وأقامت مسلتين عظيمتين عند مدخله نقشت على إحدهما " لقد أقمت هذا النصب لتعجب له الأجيال القادمة من بعدى " وما تزال إحدى المسلتين موجودة حتى الآن.

وحين توفيت الملكة حتشبسوت أمسك تحتتمس الثالث برمام الملك بعد أن

مضى عليه منذ تتويجه اثنتين وعشرين سنة قضاها بلا نفوذ ، وعند ذلك ظهرت مواهبه العظيمة ، ومهارته الحربية التي جعلته في عداد كبار الفاتحين في العالم القديم ، وقد أمر تحتمس الثالث بتحطيم ما يزيد على مائة تمثال لحتشبسوت كانت مقامه في معبدها ، كما محأ اسمها من بعض الآثار ، ولكن لم يستطع أن يحجب عن أعين العالم ضوء عظمتها ولا أن يزعرع مكانتها في تاريخ مصر القديم.

أقدم علم مصرى

عرفت مصر الأعلام منذ عهد الفراعنة ، وإن كان العلم فى ذلك الوقت لم يكن علم دولة بقدر ما كان علم الفرعون حيث كان يتغير من فرعون لآخر . وأقدم أشكال العلم المصرى كان على شكل مروحة ووجد منقوشاً على جدران الدير البحرى (معبد حتشبسوت) ولم يتمكن المؤرخون من الجزم فى مسألة اللون .. ثم وجدت عدة أعلام أخرى ، أما فى العصور التى تلت العصر الفرعونى فلا نجد علماً مميزاً لمصر لأنها كانت إحدى ولايات الإمبراطورية الرومانية ، كذلك بعد أن أصبحت مصر إحدى إمارات الدولة الإسلامية فإنها كانت تتخذ علم هذه الدولة فكان العلم الأبيض شعار الأمويين ، وكان العلم الأسود شعار العباسيين ، وفى الدولتين الطولونية والاخشيديية لم يكن هناك علم خاص بمصر بل ظلت تحت العلم العباسى الأسود اللون .

أما الفاطميون فقد اتخذوا اللون الأخضر شعاراً لهم ، وفى الدولة الأيوبية اتخذ صلاح الدين العلم العباسى الأسود مرة أخرى شعاراً له ، وفى دولة المماليك كان اللون الغالب لأعلامهم هو الأصفر .. وبعد الفتح العثمانى لمصر وجدت أعلام كثيرة بعدد مراكز القوى ، فالوالى المعين من الباب العالى كان يرفع العلم العثمانى الأحمر ومن جهة أخرى احتفظ زعماء المماليك كل

منهم بعلمه الخاص المتميز اللون والشعار لكل أمير .. وفى حكم محمد على وبعد القضاء على المماليك أصبح العلم الأكثر انتشاراً هو علم الدولة العثمانية الأحمر اللون ، وفى عام ١٨٢٦ جعل محمد على للعلم المصرى نجمة ذات خمسة أطراف بدلاً من النجمة ذات الأطراف الستة التى كانت فى العلم العثمانى.

وفى عهد الخديو إسماعيل أصبح العلم المصرى يشتمل على ثلاثة أهلة وبداخل كل هلال نجمة خماسية كلها من اللون الأبيض ، واحتفظ العلم باللون الأحمر ، ولكن مصر عادت عام ١٨٨٢ مرة أخرى إلى العلم القديم إلى أن وضعت البلاد تحت الحماية البريطانية عام ١٩١٤ نظراً لقيام الحرب العالمية الأولى فأعيد العلم الذى استحدثه الخديو إسماعيل.

وفى ثورة ١٩١٩ حمل الثوار المصريون علماً أخضر اللون بداخله هلال يتوسطه صليب باللون الأبيض كناية عن وحدة المسلمين والأقباط - وفى عام ١٩٢٣ بعد إعلان الاستقلال وإعلان مصر دولة ملكية ظهر علم أخضر اللون يتوسطه الهلال وثلاثة نجوم خماسية بيضاء اللون ، واستمر هذا العلم دون تغيير حتى عام ١٩٥٨ وإن كان وجد علم آخر أطلق عليه علم التحرير ذو الألوان الثلاثة الأحمر والأبيض والأسود لكن لم يكن له وجود رسمى وإنما كان يرفع فى المناسبات الشعبية حتى قامت الوحدة بين مصر وسوريا فاتخذ هذا العلم أساساً للدولة الجديدة مع إضافة نجمتين خماسيتين خضراويتين فى المستطيل الأبيض رمزاً لكل من دولتى الوحدة.

واستمر هذا العلم حتى قامت الوحدة بين مصر وسوريا وليبيا فى ديسمبر ١٩٧١ فتم إبدال النجمتين بصقر ناشراً جناحيه ويكتب اسم دولة الاتحاد أسفل الصقر، وفى أكتوبر ١٩٨٤ انسحبت مصر رسمياً من اتحاد الجمهوريات العربية وبناء عليه تغير إلى علم جمهورية مصر العربية وهو نفس العلم السابق مع وضع نسر مكان الصقر.

أول ملك أقام إمبراطورية مختلفة الشعوب

تحتّم الثالث الذى يعد بلا منازع أول قائد عظيم عرفه العالم ، أقام أقدم إمبراطورية مختلفة الشعوب فى التاريخ امتدت من أعالي نهر الفرات إلى الشلال الرابع على النيل .. وعلى جدران معبد الكرنك قصة ١٧ غزوة أخضع فيها مدن وممالك آسيا الغربية ، وبنى أول أسطول حربى عرفه التاريخ واستطاع به أن يمد نفوذه حتى بحر إيجه ، حيث أقام أحد قواده حاكماً عليها ، وقد شملت فتوحاته مدن مجدو وقادش ونيوى وخضع له أمراء بلاد النهرين وملك بابل.

وإذا كان أحمر الأول قد أجلى الهكسوس عن البلاد ووضع أساس أول إمبراطورية مصرية فإن تحتّم الثالث هو الذى مد سلطانها وثبت دعائمها وحررها من التهديد الأجنبى وجعل منها أعظم إمبراطورية .. فبعد موت حتشبسوت ورث العرش ونهض يفرغ ما اختزنه من دراسة وأفكار وساعده على ذلك وجود جيش مدرب وبلاد غنية وعدو يتربص بها ، حتى أنه لم تمض أسابيع على توليه العرش حتى قاد جيشه إلى ساحات القتال فى موقعه (مجدو) أولى غزواته.

ذلك أن الهكسوس على أثر خروجهم من مصر كانوا يقيمون فى

الأقطار المجاورة ويتحنون الفرصة للعودة إلى مصر ، وأعلن العصيان والانفصال عن الإمبراطورية المصرية في بعض الولايات وتجمعت في حلف كبير بقيادة ملك قادش (١٠٠ ميل شمال دمشق) فوضع تحتمس خطة لغزو هذه البلاد وتأديبها .. وصحب تحتمس لأول مرة في التاريخ كتاباً يؤرخون كل ما يحدث ويكتبون تقارير يومية حربية أشبه بتقارير المعارك الحديثة وبقيت هذه التقارير شاهدة بمجد الفراعنة في الفن الحربى .

بدأت الحملة من قاعدة القنطرة وتحركت القوات عبر الصحراء الشرقية إلى فلسطين ودخلت غزة في فترة وجيزة بمعدل اثني عشر ميلاً ونصف فى اليوم وهو رقم يستلفت النظر خاصة فى بقاع صحراوية ولقوات أغلبها مشاة ، ومع هذا وصل الجيش إلى غزة فى المساء ، ثم أنطلق فى الصباح من جديد إلى " يما " قاطعاً ثمانين ميلاً أخرى حيث بدأت الترتيبات لدخول المعركة .

وللمرة الأولى فى التاريخ عقد تحتمس الثالث أول مجلس حربى لاستشارة قواده فى وضع تفاصيل الخطة ، وقد وجد محضر الاجتماع منقوشاً على الآثار القديمة ، وكان هناك ثلاثة طرق اختار تحتمس الثالث أقسامها على غير ما يتوقع العدو من أجل تحقيق مبدأ المفاجأة فى خطته وأصدر بياناً يعلن فيه أنه سيكون على رأس جيشه فى المقدمة.

وعبر الجيش الممر الضيق بما فيه من عقبات ومرتفعات وبدأ تحتمس الثالث ينشر قواته بينما كان العدو يرقب الطرق الأخرى ويحشد قواته أمامها ، ولهذا كانت الصدمة الأولى قوية أطاحت بمعنويات العدو ومادياته فى وادى "قنا" حتى أن القوات لم تستطع أن تثبت أو تقاوم عنف الضربات وما انتشر فى صفوفها المنهزمة من فزع واضطراب .

وكان تحتمس الثالث قد نظم قواته للمعركة بأن جعل للجيش قلباً

وجناحين (لأول مرة في التاريخ) وأرسل أمام الجيش مقدمة دفع منها وحدات استكشافية كأحدث تعاليم الحرب الحديثة ، وقد حقق بذلك ثلاثة مبادئ هامة هي المفاجأة والوقاية والقتال الهجومى .. وحقق فوزاً كبيراً جعل جيوش الأعداء تفر إلى مجدو حيث حاصرها سبعة أشهر استسلمت بعدها صاغرة.

وقد اقتفى عظماء القادة فيما بعد اثر خطط موقعة مجدو ، حيث عبر هانيبال ونابليون جبال الألب الصعبة ، واختار مونتجمرى أقوى نقاط فى دفاع المحور عند العلمين وركز هجومه عليها ، ثم عادت موقعة مجدو للوجود مرة أخرى بعد (٤٥٠٠ سنة) وجرت على ذات الطريق الذى سار عليه تحتمس ، ذلك أن الجنرال اللبى نسج على منواله حين كان يدفع الجيش التركى فى بقاع سوريا عام ١٩١٨ ، حيث هزمهم فى نفس المكان مستوحياً خطة تحتمس الثالث.

وتظهر عبقرية تحتمس الثالث مرة أخرى فى ابتكار الخطط مما جعله على رأس الفاتحين من حيث العبقرية والذكاء فقد فكر فى بناء سفن حربية لنقل جيشه عبر نهر الفرات حتى يسهل عليه إتمام الفتح ولكنه خشى من صناعتها فى أراضى العدو الذى ربما أفسد عليه خطته ، ولذلك بنى سفنه قطعاً متفرقة ثم ابتكر لها عربات من نوع خاص تجرها الثيران حتى شاطئ الفرات حيث ركبت أجزاءها ونفذ بذلك خطته ، ووصل إلى قرميش على الضفة الغربية لنهر الفرات حيث انتصر على جيوش دولة " ميتانى " التى تقع فى أعالي ذلك النهر ودخل بلادها.

وقد اقتفى المارشال مونتجمرى بعد آلاف السنين أثر خطة تحتمس الثالث عندما عبر نهر الراين على سفن جئ بها براً على غرار ما فعله تحتمس الثالث.

ولم تكن حروب تحتمس الثالث برية فحسب بل اشتملت على حروب بحرية ، وكان أول قائد فى العالم يضع خطة مشتركة تتعاون فيها قوات البر والبحر بتوقيت دقيق وتعاون متبادل ، فاستخدم أسطولاً كبيراً للنزول فى ساحل فينقيا متخذاً من ذلك الساحل قاعدة تبدأ منها عملياته فى بلاد النهرين وهى خطة لم يسبقه إليها أحد .

وقد بلغت غزواته سبع عشرة غزوة تمكن خلالها من توسيع أملاك مصر توسيعاً يفوق كل ما سبقه ومن تعزيز سلطاتها فى تلك الجهات حتى لم يجرؤ حاكم آسيوى بعد ذلك على أن يشق عصا الطاعة على هذا الملك المصرى العظيم .. وبعد أن فرغ من حروبه الآسيوية وجه همته إلى بلاد النوبة فثبت فيها حكم مصر حتى الشلال الرابع .. وكانت سياسته فى حكم هذه الإمبراطورية الواسعة ترمى إلى توطيد الحكم المصرى فاستبدل بالأمرء غيرهم ممن كانوا أكثر ولاءً وإخلاصاً وأقام إلى جانبهم موظفين مصريين وجامعات عسكرية مصرية ، وأخذ أبناء الأمر ليربيهم فى البلاط الفرعونى على التقاليد المصرية حتى يضمن لمصر ولاء هذه الولايات .

وقد أقام تحتمس الثالث لوحة تذكارية فى الجهة الغربية من نهر الفرات بجوار أثر تحتمس الأول لتكون بمثابة آخر نقطة وصلت إليها فتوحاته فى الشمال ، أما فى الجنوب فقد حدد فتوحاته أيضاً بلوحة من الجرانيت أقامها عند جبل " بركال " على مقربة من مدينة " نباتا " .

ومن أهم آثاره مسلتان عظيمتان أقامهما فى عين شمس ثم نقلتا إلى الإسكندرية وإحداهما الآن بلندن والأخرى بنيويورك .

السرابيوم

كان يوجد فى منطقة سقارة بالجيزة مدفن كبير للعجل " أبيس " الذى كان يقدسه المصريون القدماء ، ويطلق على هذه المقبرة اسم " السرابيوم " وقد اشتق القدماء اسم مكان دفن العجول المقدسة من الإله " أوزير " والإله " حابى " الذى شبهه البطالمة بالههم " سيرابيس " أما كلمة " يوم " فمعناها ساحة أو مكان، ومن هنا جاءت كلمة سرابيوم.

وهذه المقبرة محفورة فى الصخر ويبلغ طول ممراتها ١٩٥ متراً وتوجد بها قبور العجول عن اليمين واليسار ، وكان يتم تحنيط وتزيين العجل أبيس بعد موته كأحد الملوك ، ويوضع فى تابوت ضخم من الجرانيت ويبلغ وزنه حوالى ٦٥ طناً تقريباً.

بدأ حفر السرابيوم حوالى عام ١٤٠٠ قبل الميلاد ، واستمر الدفن فيه حتى القرون الأخيرة قبل الميلاد .. وفى عام ١٨٥١ م اكتشف عالم الآثار الفرنسى أوجست مارييت السرابيوم ، ووجد بداخله عدد كبير من التوابيت ، وهو مصنوع إما من الجرانيت الأزرق القاتم أو الوردى الفاتح ، وطول كل تابوت ٤ × ٢,٥ متراً وارتفاعه ٣,٨ متراً ويوجد جزء كبير من هذه التوابيت فى متحف اللوفر بباريس.

وقد اهتم قدماء المصريين بالعجل المقدس " أبيس " الذى ربطوا بينه وبين إله الخير " أوزير " وإله النيل فى فصل الخصب " حابى " ، وكانوا يختارونه كظاهرة لا تتكرر دائماً ، وإنما بعد أن يموت العجل المقدس الذى يحيا فى حظيرته بمنف عاصمة الدولة القديمة (ميت رهينة حالياً بالبرشين) يبدأ البحث عن عجل جديد تتوافر فيه سمات مميزة وهى أن يكون مجدول شعر الذيل ، أسود اللون على جبينه شامة بيضاء مربعة ، وعلى مؤخرته ما يشبه ختماً منقوشاً كالنسر ، وتحت لسانه رسم جعران ، فإذا ما وجد هذا العجل النادر فإنه يكون العجل المقدس الجديد ، وكان يعد يوم العثور عليه عيداً .. وبعد وفاته يحنط ، وفى مهابة جنازية يصعدون بتابوته ليدفن فى السرايوم.

ممنون وطريق الكباش

ممنون وطريق الكباش هو اسم لأثرين يعودان إلى الملك أمنحتب الثالث من الأسرة الثامنة عشرة ، وفي عهده بلغت الإمبراطورية المصرية القديمة شأناً بعيداً .. وخطب ودها الكثير من الملوك ، وصار قصر فرعون لأول مرة فى التاريخ مركز الاتصال بين ملوك ذلك العصر ، وعثر الباحثون عام ١٨٨٨ م على ثلاثمائة رسالة فى جهة تل العمارنة مكتوبة بالخط المسمارى المعروف فى آسيا فى ذلك الوقت .

وفى عهد أمنحتب الثالث أعيد تخطيط طيبة وشقت بها الشوارع المستقيمة ، وأقيمت القصور الفاخرة تحيط بكل منها حدائق جلبت أشجارها من السودان والصومال .. وزاد فى معبد الكرنك .. وأنشأ معبد الأقصر الذى أبدع المهندسون فى تنسيقه ، ومن أجمل أجزاء المعبد الدهليز ذو الأربعة عشر عموداً .. ثم وصل بين معبدى الكرنك والأقصر بحديقة طولها ميل ونصف أنشأ بها طريقاً على كل من جانبيه صف من تماثيل أبو الهول ، جسم كل منها شبيه بجسم الأسد ورأسه شبيه برأس الكباش ، ولهذا أطلق عليه اسم "طريق الكباش".

وشيد معبدأ آخر فى الجهة الغربية من طيبة ، ولم يبق منه الآن سوى تمثالين هائلين كان موضعهما أمام مدخل المعبد ، يربو ارتفاع كل منهما على

العشرين متراً ويعرفان بتمثالي ممنون ، وسبب هذه التسمية يرجع إلى أنه كانت تنبعث من أحدهما عقب شروق الشمس كل صباح أصوات عذبة حزينة وصل خبرها إلى الإغريق ، فاعتقدوا أنها صوت " ممنون " أحد أبطالهم الذين صرعه الموت أمام طروادة وأنه يناجى أمه.

وفي عام ٢٧ ق.م حدث زلزال بمصر فتحطم الجزء العلوى من التمثال، ثم أصلح فى عهد الرومان ومنذ ذلك الحين لم يعد ينبعث منه صوت . ويعلل العلماء انبعاث ذلك الصوت من تجمع الندى فى شقوق التمثال أثناء الليل ، وبعد بزوغ الشمس يتبخر الندى فيحدث ذلك الصوت.

أول ملك مصرى يدعو للتوحيد

إخناتون الذى قاد الثورة الدينية فى مصر بعد أن ورث الحكم عن أبيه فى الأسرة الثامنة عشرة .. وحكم البلاد ما يقرب من ١٨ عاماً .. وتزوج الملكة نفرتيتى التى اشتهرت فى تاريخ الفن الفرعونى بالضجة التى أحدثها اكتشاف بعثة أثرية ألمانية لتمثالها المصنوع من الحجر الجيرى الملون والذى يوجد الآن فى متحف برلين ويعتبر نموذجاً رائعاً للفن المصرى القديم.

رأى إخناتون أن الشمس يجب ألا تعبد لذاتها وإنما تعبد الحرارة الكامنة فيها ، إذ هى القوة التى تبعث الحياة والدفء فى كل ما على وجه الأرض من كائنات .. وأطلق على الإله الجديد اسم " أتون " .. وصار يرمز له بقرص فى السماء تتبعث منه أشعة متجهة نحو الأرض تنتهى بأيد قابضة على زمام الحياة.

ونتيجة لذلك عارض كهنة الإله آمون ذلك الإله الجديد ، وناصر الملك بقية الكهنة فى عين شمس ومنف .. ونشب خلاف رهيب بين الملك وكهنة آمون وجردهم من ممتلكاتهم ، ومحا اسم آمون وصورته من جميع معابد طيبة وتمثيلها وآثارها .. وغير اسمه فبعد أن كان " امنحتب " ومعناها " آمون يستريح " غيره إلى إخناتون أى " روح أتون " .. ولما فرغ من نشر مذهبه الجديد ، ورأى أن طيبة مزدحمة بالمعابد التى بنيت لعبادة آمون ، عزم على

إنشاء مدينة جديدة يعبد فيها الإله " آتون " وينقل إليها مقر حكمه .. وقد وقع اختياره على مكان يعرف الآن بتل العمارنة وأنشأ فيه مدينة سماها " إختاتون " أى " أفق آتون " وبنى بها ثلاثة معابد فخمة قامت حولها قصور جميلة للملك والأمراء .

وامتاز الفن المصرى فى عهد إخناتون بالبساطة والوضوح ، وقد نحتت المقابر فى الصخور وخلت من التعاويذ التى اعتاد المصريون وضعها إلى جوار الميت .

وقد أوقف إخناتون جهوده كلها على نشر الدين الجديد ، ولم يتسع وقته للنظر فى شئون الإمبراطورية العظيمة التى بذل أجداده جهوداً كبيرة فى إنشائها، حتى أن الحيثيين بعد أن سمعوا بالثورة الدينية أخذوا يغيرون على أملاك مصر فى سوريا ، وأغار البدو على جنوب فلسطين .. ولم يكن ذلك الخطر الوحيد ، حيث خرجت من مصر صعوبات عديدة تواجه إخناتون ، فالشعب المصرى لم يتخل بسهولة عن عقائده الموروثة ، وكهنة آمون لم ينسوا ما حل بهم على يد إخناتون ، والجيش عز عليه أن يرى الإمبراطورية تنكمش وتتهار ، وقد اجتمعت كل هذه القوى ضد إخناتون وظل يقاومها حتى توفى .

وبعد وفاته حدث ارتداد عن هذه الدعوة الدينية الجديدة ، فبعد أن تولى صهره " توت عنخ آتون " الحكم أجبره كهنة آمون على العودة إلى عبادة الإله آمون وغيروا اسمه إلى " توت عنخ آمون " وغير العاصمة من جديد ، وترك إختاتون وعاد إلى طيبة من جديد ، وخربت معابد آتون ، وأعيد نقش اسم آمون على المعابد والآثار .

رمسيس الثانى

حكم مصر ٦٧ عاماً .. وأطلق عشرة ملوك على أنفسهم اسمه تقديراً له .. ووقع أول معاهدة دولية معروفة فى التاريخ .. وأنشأ واحدة من أعظم المبانى الصخرية فى العالم .. تدخل الشمس إلى معبده مرتين فقط فى العام ، واحدة يوم مولده والثانية يوم جلوسه على العرش .. ساهمت اليونسكو فى إنقاذ معبده من الغرق تحت مياه السد العالى فى واحدة من أكبر المنجزات الهندسية الحديثة .. إنه الفرعون العظيم " رمسيس الثانى " .

تولى الحكم بعد وفاة والده سيتى الأول .. وعمل على تثبيت مركزه وتدعيم سلطانه وزيادة موارد البلاد ، ولم تكن أعماله هذه سوى مقدمة لعمل آخر أعظم شأناً هو استعادة الإمبراطورية الآسيوية وإرجاع مكانة مصر إلى ما كانت عليه فى عهد أجداده .. ورأى أن الحيثيين قد ملكوا معظم الشام واستولى ملكهم على قادش مركز النفوذ المصرى فى سوريا ، فعزم على استعادة أملاك مصر ، ودخل فى حروب مع الحيثيين لمدة دامت حوالى ١٥ عاماً .

وكون رمسيس الثانى جيشاً قسمه إلى أربع كتائب ، واتبع طريقة تحتمس الثالث ، فبدأ أولاً بإخضاع مدن الشاطئ لیتخذها قاعدة للتحركات الحربية ، وبعد قليل سار على رأس كتيبة ونصب معسكره قرب قادش ، فأرسل

ملكها اثنين من البدو أوهما رمسيس أن الحيثيين تقهقروا شمالاً إلى حلب ،
فانخدع رمسيس لعدم عثوره على أثر للعدو ، وتقدم بلا حيلة نحو قادش ،
فخرج ملك الحيثيين فجأة وأباد جزءاً كبيراً من إحدى الكتائب وفر من نجا إلى
خيام رمسيس.

وفى تلك الساعة الرهيبه ركب رمسيس عجلته الحربية وحاول أن
يخترق صفوف الأعداء بعد أن فصلوا بينه وبين معسكره ، واندفع بكل ما يملك
من بسالة وإقدام ، واستمر يقاوم ثلاث ساعات حتى لحقت به بقية جيوشه فنجوا
من الخطر ، وانسحب الحيثيون إلى قادش بعد أن تكبد الفريقان خسائر فادحة .

واعتبرت هذه المعركة نصراً لرمسيس الثانى فعلى الرغم مما أحاط به
من أخطار ، استطاع بشجاعته الفذة أن يمنع الهزيمة ويجبر الأعداء على
الانسحاب ، مما جعل الفنانين يصورون الواقعة على جدران المعابد ، وجعل
الشعراء يصفون وقائع الحرب خالعين على رمسيس الروعة والجلال ورموا
قائد الحيثيين بالجبن.

وبعد ذلك أخذ الحيثيين يثيرون الآسيويين على الحكم المصرى ، فعاد
رمسيس إليهم من جديد وأخضع فلسطين ثم هزم الحيثيين ودانت له بلاد النهرين
وشمال سوريا ، وتجددت الحروب مع الحيثيين حتى سئم الجميع القتال ، وكان
ملك الحيثيين قد مات وخلفه أخوه ، وعندئذ وقع رمسيس الثانى معاهدة مكتوبة
وتعد أقدم معاهدة دولية معروفة فى التاريخ .. وتزوج رمسيس من ابنة ملك
الحيثيين وأحضرها أبوها إلى مصر مما وثق أواصر الصداقة بين الأمتين .

ونقل رمسيس مقر ملكه إلى الوجه البحرى ، وبقيت طيبة العاصمة
الدينية للبلاد ، وأدى ذلك إلى انتعاش مدن الوجه البحرى ، فأصبحت تيس
مدينة زاهرة ، وشيد بها معبداً من أفر المعابد ، وشيد رمسيس عدداً عظيماً

من المباني فى جميع أنحاء البلاد ، فقد أضاف الكثير إلى معبد الكرنك وبهو أعمدته بالأقصر ، وأقام مائة مسلة نقل بعضها إلى أوربا ، كما أقام التماثيل الضخمة التى تزن مئات الأطنان ، وقد نقل أحد هذه التماثيل وأقيم فى ميدان رمسيس بالقاهرة ، ثم نقل بعد عدة عقود ليقام أمام متحف الحضارة الجديد ، ومات رمسيس الثانى بعد أن حكم مصر ٦٧ عاماً وكان عمره قد بلغ التسعين .

ومن أعظم أعمال رمسيس الثانى على الإطلاق إنشاء معبدى أبو سنبل، وهما من أعظم المعابد الصخرية فى العالم ويقعان على الضفة الغربية للنيل تجاه بلدة أبو سنبل فى قلب ربوة من الصخر مشرفة على النيل على بعد ٢٨٠ كيلو متراً من جنوبى أسوان .

أما المعبد الأول وهو " المعبد الكبير " فقد نحته رمسيس الثانى فى قلب ربوة من الصخر للإله " حور آختى " ويبلغ ارتفاعه عن سطح الأرض ٢٠ متراً وعرضه ٣٦ متراً ويمتد ضارباً فى الصخور ٦٠ متراً أخرى .. وقد جعله فى هيئة صرح مشرف على النهر تحرسه أربعة تماثيل عظيمة لرمسيس يبلغ ارتفاع كل منها ٢٠ متراً تمثل الفرعون جالساً وعلى رأسه التاج ، وأبرز الحية المقدسة من جبهته متحفزة يكاد السم ينطلق من فيها .

ويحتوى المعبد على قاعة للأعمدة بها ثمانية أعمدة ، أبرز البناء على وجه كل عمود تمثالاً للفرعون فى هيئة الإله أوزيريس ، وعلى جدران هذه القاعة وعلى صفحات الأعمدة مناظر مختلفة أهمها ما يصور معركة قادش فى كافة مراحلها .. وحول هذه القاعة عدة غرف مليئة بالنقوش البديعة ، وتلى هذه القاعة قاعة أخرى أصغر منها بها أربعة أعمدة وعلى جدرانها صور دينية تمثل رمسيس يقدم القرابين للآلهة وخصصت جوانب هذه القاعة لحفظ القرابين .

وتؤدى القاعة السابقة إلى قدس الأقداس - وهى واحدة من أعظم

المنجزات الهندسية فى العالم على الإطلاق - حيث يوجد بها أربعة تماثيل أحدها للإله " رع حور آختى " والثانى " لأمون رع " إله طيبة ، والثالث "إيتاح" إله منف أما الرابع فهو لرمسيس الثانى .. وفى يومين محددين من كل عام وهما يومى مولد رمسيس الثانى ٢٢ فبراير ويوم جلوسه على العرش ٢٢ أكتوبر ، تدخل الشمس فى ساعة محددة لتسقط ضوءها على وجه تمثال رمسيس الثانى طبقاً لحسابات جغرافية وفلكية وشمسية بالغة الدقة.

ومن الجدير بالذكر أنه عندما تم التفكير فى بناء السد العالى تم نقل معبد أبو سنبل من مكانه ، وأسرعت جميع دول العالم من خلال منظمة اليونسكو فى المشاركة فى إنقاذ المعبد من الغرق تحت مياه البحيرة التى يكونها السد فى واحدة من أكبر المعجزات الهندسية فى التاريخ البشرى ، وقد تم تقطيع معبد أبوسنبل إلى ٩٦٣ قطعة يبلغ أقصى وزن لأى منها ٣٠ طناً ، وتكلفت هذه العملية حوالى ٤٠ مليون دولار .. وقد تولت أجهزة الكمبيوتر ترقيم الأجزاء لضمان تسهيل إعادة تركيبها مرة أخرى فى أعلى الجبل بعيداً عن متناول مياه بحيرة السد العالى ، واستغرق هذا العمل الضخم ٤ سنوات تم فيها بناء المعبد فى قلب جبل صناعى.

كما بنى رمسيس الثانى معبداً آخر إلى الشمال من المعبد الكبير وهو أصغر منه .. وقد نحته رمسيس للمعبودة " حتحور " وجعل معها زوجته الأولى (نفرتارى) ، والمعبد كله منحوت فى الصخر كالمعبد السابق ، وقد زينت واجهته بستة تماثيل أربعة منها للملك واثان للملكة فى هيئة المعبودة حتحور ، ويؤدى المدخل إلى قاعة فسيحة يرتفع سقفها فوق ستة أعمدة ضخمة جعلت على هيئة رأس المعبودة حتحور ، وتزدان جدران القاعة بمناظر يمثل بعضها فرعون يضرب أعداءه ، وبعضها يمثل فرعون وزوجته يقمان القرابين للآلهة، ثم تؤدى هذه القاعة إلى قدس الأقداس حيث يوجد تمثال لحتحور ، وجدران هذه

الغرفة منقوش عليها مناظر دينية تمثل الفرعون وزوجته يقومان ببعض الطقوس الدينية أمام حتحور.

ومما يذكر أن الفنان الإيطالي الكبير رفائيل عندما زار مصر ورأى تماثيل نفرتارى فى معبد أبو سنبل قال " إنها أعظم تماثيل لامرأة على وجه الأرض.

أقدم معاهدة مكتوبة فى التاريخ

تعتبر المعاهدة التى أبرمت بين " رمسيس الثانى " فرعون مصر و"خاتوسيليس الثالث" ملك الحيثيين عام ١٢٧٨ قبل الميلاد ، أقدم معاهدة مكتوبة عرفت فى التاريخ بين دولتين على قدم المساواة ، وقد وصلت إلينا كاملة النصوص بفضل النسخة المصرية التى عثر عليها فى تل العمارنة عام ١٨٨٦م، وصورها المنقوشة على جدران معبد الكرنك ومعبد الرمسيوم والنسخة الحيثية التى وجدت فى بوزاز " كوى " فى الأناضول عام ١٩٠٦.

ومما تجدر ملاحظته أنه على غير المألوف فى المعاهدات المعاصرة ، فإن النص المصرى ليس مطابقاً تماماً للنص الحيثى ، حيث أنه ذكر أن الملك الحيثى أرسل رسلاً إلى رمسيس الثانى لطلب الصلح بينما يذكر النص الحيثى العكس ، ويبدو أن الهدف من ذلك أن يحفظ كل من الملكين مكانته أمام شعبه.

ولم يرد فى المعاهدة تعيين للحدود التى تفصل بين أقاليم كل من الدولتين بخلاف المعاهدات الحديثة التى تنص على ذلك نصاً وافياً ، وتحدثت المعاهدة عن مبدأ الدفاع المشترك ضد أى عدوان خارجى يقع على إحدى الدولتين ، وفيها إلزام بتبادل المساعدات إذا قامت اضطرابات داخلية فى إحدى المملكتين ، وتتناول كذلك مسألة تسليم اللاجئين السياسيين لبلادهم ووضع قواعد

خاصة بحسن معاملتهم عقب ترحيلهم إلى وطنهم .. كما ذكرت المعاهدة اسماء من شهدوا توقيعها ولكنهم ليسوا أفراداً كما هو الوضع فى المعاهدات الحديثة وإنما هم آلهة من معبودات الدولتين ، ويبدو أن الهدف من ذلك هو أن يصبح نقض المعاهدة أو الخروج على نصوصها إثماً كبيراً يغضب الآلهة.

الفراعنة يعلمون العالم الرياضة

تؤكد الشواهد والدلائل التاريخية العديدة التي تركها قدماء المصريين على سبقهم في تقديم عدد من أهم الألعاب الرياضية للعالم ، ذلك أنه لم يكن لهذه الحضارة أن تحرز هذا التقدم المبهر في مختلف مجالات العلم دون أن تهتم اهتماماً رئيسياً بالإنسان صانع هذه الحضارة.

حيث تؤكد النقوش التي تركها الفراعنة القدماء بين آثارهم أن أصل المباراة كان مصرياً ، حيث اكتشف في مقبرة " بتاح حتب " فى سقارة رسومات واضحة المعالم لمبارزة استخدم فيها السلاح.

ويرجع التاريخ أول مباراة فى السلاح إلى عصر رمسيس الثالث ، وفى معبد بمدينة جويا القريبة من الأقصر توجد النقوش التى توضح تاريخ هذه المباراة ، ويرتدى المتنافسان قناعين للوجه ، ويوجد بينهما حكم المباراة ويصطف حولهما جمهور كبير يصفق للفريقين.

وقد نقل قدماء المصريين هذه الرياضة الشيقة إلى مختلف بقاع العالم ، وكانت رياضة السلاح هى الرياضة الأولى التى مثلت مصر فى الدورة الأولمبية عام ١٩١٢ لتسبق بذلك كل الألعاب الجماعية والفردية .

وتؤكد الدلائل التاريخية بأن الأصل فى كل رياضات السباحة كان مصريةً فرعونياً ، ومدينة الأقصر خير شاهد على ذلك من خلال آثارها التى تضم البحيرة المقدسة التى تعتبر أقدم حمام سباحة فى العالم ، وكانت مياهها تستمد من المياه الجوفية ، وكان الفراعنة يمارسون السباحة فى هذه البحيرة وبخاصة فى مناسباتهم واحتفالاتهم بالأعياد ، ويؤكد عمق البحيرة الذى يزيد عن طول الإنسان العادى أنهم أجادوا السباحة فى ذلك الوقت.

وفى منطقة العرابة بسوهاج توجد رسومات على معبد رمسيس يمارس فيها الفراعنة هذه الرياضة وكذلك فى منطقة بنى حسن بالمنيا ، وفى عهد الأسرة الحادية عشرة كانت السباحة ضمن الرياضات التى نقشت على جدران القبور والمعابد .. وقد نقل الأوربيون بعضاً من آثار المصريين إلى متاحفهم بالخارج والتى تؤكد ممارسة الفراعنة للسباحة وعلى رأسها النقوش الموجودة بمتحف بوشكين بموسكو من عهد الأسرة الثامنة عشرة.

كما تؤكد جميع المؤشرات أن مصر كانت مهد رياضة المصارعة شأن العديد من الرياضات الفردية الأخرى ، ففى منطقة بنى حسن توجد نقوش الفراعنة وهم يؤدون مسابقات المصارعة ويرجع تاريخها إلى الأسرة الحادية عشرة ، كما وجدت بعض اللوحات التى ترجع إلى الأسرة العشرين وتوجد بها رياضة المصارعة ، كما تؤكد بعض الآثار المصرية الموجودة الآن فى متاحف أوربا أن ميلاد المصارعة كان مصريةً خالصاً ومنها الرسوم الموجودة فى متحف جامعة مانشستر بإنجلترا.

ويعد الهوكى من الرياضات التى عرفها الإنسان منذ قديم الأزل ، وأصل فكرتها ضرب الكرة بواسطة عصا يمسكها اللاعب بيده وأخذت تتطور مع الزمن إلى أن أخذت شكلها الحالى .

وقد أثبتت الاكتشافات الأثرية بمصر من خلال الرسوم الفرعونية التي عثر عليها بمقابر قدماء المصريين أن الفراعنة هم أول من مارس اللعبة ، ففي مقبرة (خيتى) ببنى حسن بالقرب من المنيا (١٩٩١ قبل الميلاد) وجدت رسوم عبارة عن لاعبين كل منهما يمسك بعصا ويواجهان بعضهما ويؤديان ما يشبه ضربة البداية فى لعبة الهوكى ، وفى ١٩٤٢/١٢/٧ أسس الاتحاد المصرى للهوكى ، وهو أول اتحاد عربى وأفريقى للهوكى.

وطبقاً للأدلة المتوافرة لدى الباحثين ثبت أن المصريين القدماء كانوا أول من مارس ألعاب القوى كرياضة لها أسس وأصول ، ففي منطقة سقارة بالجيزة توجد مقبرة (بتاح حنب) ويوجد على جدرانها ثلاث لوحات تمثل بعض مسابقات ألعاب القوى كالجري والوثب والرمى.

وكان قدماء المصريين أول من مارس رفع الأثقال كرياضة فى العالم ، فالنقوش المرسومة على مقابر بنى حسن بها صور لأكياس من الرمال كان المصريون يتبارون على رفعها بيد واحدة ثم إلقائها خلف رؤوسهم وترجع هذه النقوش إلى حوالى عشرين قرناً قبل الميلاد.

وكانت مصر هى أول دولة أفريقية تمارس اللعبة كرياضة وتنافس بها أوروبا وأمريكا ، ففي نهاية القرن التاسع عشر وحين كان رفع الأثقال فى عصره البدائى فى أوروبا كانت هذه الرياضة متألفة فى مصر ونقلتها عنها الجاليات التى كانت بها فى ذلك الوقت.

أشهر أوبرا فى العالم .. مصرية

هناك أكثر من ٣٠ أوبرا عالمية كتبت بقصص مصرية .. ولكن أشهرها جميعاً أوبرا عايدة .. فقد كلف الخديو إسماعيل الأثرى الفرنسى أوجست مارييت لى يختار قصة مصرية تصلح موضوعاً لافتتاح أول دار أوبرا فى أفريقيا وهى دار الأوبرا المصرية التى بنيت بمناسبة افتتاح قناة السويس.

وعثر مارييت فوق أوراق البردى فى مدينة منف على قصة الحرب بين مصر والحبشة ومن هنا ولدت قصة أوبرا عايدة .. وتقاضى الموسيقار فيردى (أشهر موسيقى فى عصره) ١٥٠ ألف فرنك ذهباً مقابل وضع الموسيقى مع حق استغلال الأوبرا فى جميع أنحاء العالم ، وكتب أشعار الأوبرا الشاعر الإيطالى " انطونيو جيزا لانزوني " وهو من أشهر شعراء القرن التاسع عشر ، وصممت ملابس الأوبرا فى باريس.

وعندما اقترب موعد افتتاح قناة السويس تعلق فيردى بأن المناظر لم تنته بعد ، وبناء على ذلك اختيرت أوبرا ريجوليتو لفيردى أيضاً ، ووعد فيردى بأن يكون الافتتاح العالمى لعائدة فى القاهرة .. وبذلك تكون أوبرا ريجوليتو هى أول أوبرا عرضت فى مصر عند افتتاح دار الأوبرا المصرية فى أول نوفمبر

١٨٦٩ ، ومن المعروف أن فيردى قدم هذه الأوبرا لأول مرة فى أوبرا البندقية عام ١٨٥١.

وفى ٢٤ ديسمبر ١٨٧١ م قدم فى دار الأوبرا المصرية العرض الأول لأوبرا عايدة التى تمثل الأوبرا الإيطالية فى أوج مجدها ، وقد فاقت فى غنائيتها وسلاستها أية أوبرا أخرى ، وقد تحدى فيردى بهذه الأوبرا جميع التقاليد الموسيقية بما أسبغه عليها من تسلسل الأحداث والحبكة الدرامية ، وقد صورت موسيقاه العواطف الإنسانية المتباينة فى مواقف متناقضة تصويراً واضحاً على نحو نادر.

وتدور أحداث أوبرا عايدة بالتحديد فى منف وطيبة ، وتجرى وقائعها فى عصر الحروب الكبرى بين قدماء المصريين والأحباش وتدور حول عايدة ابنة ملك الحبشة التى أسرها المصريون فى إحدى المعارك لتصبح جارية "أمريس" ابنة ملك مصر دون أن يعرفوا حقيقتها ، ويقع فى غرامها " رادميس " قائد القوات المصرية ويعيشا معاً قصة حب ، وذلك فى الوقت الذى كانت تعشقه فيه (أمريس) ، وتظل الأمور على ما هى عليه حتى يكلف الملك (رادميس) لقيادة الجيوش المصرية لصد غزو الأحباش ، ويتمكن رادميس من هزيمة جيوش الحبشة وأسر ملكهم (أومانصرو) والد عايدة ، وهنا يكافئ الملك رادميس قائد الجيوش المصرية بإعلان زواجه من ابنته (أمريس) .

وبينما يعلن للجميع فى مواكب احتفالات النصر هذا الزواج تقاجاً عايدة بأن والدها الملك بين الأسرى متكرراً حتى لا يعرفه أحد من المصريين ، ويطلب منها عدم الإفصاح عن شخصيته لكى ينتهى من تنفيذ خطته التى وضعها للهروب والنصر على المصريين خاصة بعد علمه بقصة الحب القوية بينها وبين رادميس ويطلب منها أن تعرف خطته الحربية مع الأحباش عن طريق إغرائه بحبها .. وهو ما حدث.

ويخبر رادميس عايدة بالاستعداد لحرب الأحباش مرة أخرى ، وأنه سيخبر الملك بعد الحرب برغبته فى الزواج منها ، وينتهز والدها الفرصة ويطلب منها أن تعرف منه طريق الجيوش المصرية إلى الحبشة حتى يفاجأهم الأحباش ، ويتم نقل المعلومات إلى جيش الحبشة الذى يتمكن بفضل ما حصل عليه من معلومات من تحقيق النصر .

ثم تتضح الحقيقة ، ويتم محاكمة رادميس بتهمة الخيانة ، ويصدر الحكم عليه بالموت حياً فى القبر وتخفى عايدة ويتوقع الجميع أنها هربت وعند تنفيذ الحكم فى الصندوق الحجرى الضخم يفاجأ رادميس بأن عايدة داخل الصندوق ، وتصبر على أن تموت معه لتكفر عن خطيئتها بعد شعورها بمدى الجرم الذى ارتكبه فى حق من أحبها .

وقد عرضت أوبرا عايدة فى جميع دور الأوبرا العالمية .. ولكن فى ١٩٨٧/٥/٢ شهد العالم أضخم عرض لأشهر أوبرا فى العالم (عايدة) أمام معبد الأقصر الذى بناه أمنحتب الثالث منذ ٣٥٠٠ ق.م فى أضخم عرض أوبرالى شارك فيه أكثر من ألف فنان وفنانة فى مسرح أعد خصيصاً لذلك أمام ساحة المعبد .. فى نفس المكان الذى دارت فيه أحداث الأوبرا .

ولعلها المرة الأولى على مستوى العالم أن يتحرك أبطال العمل الفنى على مساحة تقترب من ٥٠٠ متر تمثل ٦ مستويات أو ٦ خشبات مسرح تلتف حول المشاهدين من اليمين واليسار والأمام وتعلو أيضاً فوق جدار المعبد فى إبهار حركى بالغ التأثير .. ثم عرضت فى ١٩٨٧/٩/٢١ على المسرح المكشوف أمام أبو الهول بالجيزة .

والجدير بالذكر أن أول مدير مصرى لدار الأوبرا المصرية هو منصور غانم ومن بعده الفنان سليمان نجيب ، وقبلها كانت إدارتها وفقاً على الأجانب من

أمثال "درانت" الذى أدارها فى عهد الخديو إسماعيل .. وبعده " بسكوالى " من نوفمبر ١٨٨٦ إلى نوفمبر ١٩١٠ و " جارد فورنابو " من يونيو ١٩١١ إلى ١٩٣١.

وكان أول من لحن المسرحيات الغنائية من الموسيقيين العرب هو سيد درويش عندما لحن رواية " فيروز شاه " لفرقة جورج أبيض و " العشرة الطيبة " لفرقة نجيب الريحانى ثم " شهر زاد " ثم " البروكة " .

وفى ٢٨ أكتوبر ١٩٧١ كانت مأساة الأوبرا المصرية حين استيقظت مصر على رائحة احتراقها ، وكانت فجيعة مصر فيها ليس فى التكاليف المادية فقط ، لكن فى القيمة التاريخية والأثرية التى لا يمكن أن تعوض .. وبذلك أسدل الستار على أول دار للأوبرا فى أفريقيا.

وفى ١٠/١١/١٩٨٨ افتتحت دار الأوبرا الجديدة بالجزيرة بالقاهرة.

جزيرة الأساطير

جزيرة فيلة أو " لؤلؤة النيل " كما أطلق عليها المؤرخون لجمال موقعها وعظمة آثارها وتقع وسط النيل عند مدينة أسوان وعلى مساحة ٨ أفدنة.

وجزيرة فيلة الحالية ليست فى الواقع الجزيرة التى كانت عليها معابد فيلة .. ولكن فيلة الحالية هى جزيرة " إيجيكا " سابقاً والتى كانت مجاورة لجزيرة فيلة القديمة التى غرقت فى مياه النيل بعد بناء السد العالى ، مما أضطر مصر بالتعاون مع هيئة اليونسكو الدولية إلى نقل معابد فيلة إلى جزيرة إيجيكا فى إطار الحملة الدولية لإنقاذ آثار النوبة والتى انتهت فى ١٠ مارس ١٩٨٠ بافتتاح جزيرة فيلة الجديدة بعد نقل المعابد إليها .

وفيلة هو الاسم الذى حوره البطالمة للاسم المصرى القديم " بيلاك " الذى كان يطلق على الجزيرة منذ الفراعنة وكان معناه " النهاية " أو " نهاية المطاف " ، حيث كانت نهاية رحلة وصراع مياه النيل ودورانها عند هذه الجزيرة وبين صخورها الجرانيتية عقب كل فيضان.

وأقدم المعابد الأثرية على الجزيرة يرجع إلى الأسرة (٢٦) أى أوائل القرن السادس قبل الميلاد ، والجزيرة تحتوى على عدد من المعابد فى عصور

مختلفة ، ويبلغ عدد الأعمدة الأثرية الضخمة بها مائة عمود بالإضافة إلى ١٧٠ مقصورة و ٤٣ ألف كتلة حجرية أثرية .

وكانت فيلة ضمن مدينة أسوان تشكل آخر مدن مصر فى الجنوب كما كانت مركزاً لتجارة العاج الذى يأتىها من السودان ، وقام حكامها فى الأسرتين الخامسة والسادسة بارتىاد طرق الجنوب ، وكانوا أول رحالة فى التاريخ خرجوا لاكتشاف مجاهل أفريقيا .

ومن أهم الأساطير التى ارتبطت بالجزيرة أسطورة الأميرة المصرية وردة والشاب أنس الوجود ، وتحكى قصة الأميرة وردة التى أحببت أنس الوجود وكانت تعلم أن هذا الحب لن ينتهى بالزواج ، فلم يحدث من قبل أن تزوجت إحدى أميرات القصر من عامة الشعب ، وأرادت الأميرة أن تحطم الحواجز بينها وبين أنس الوجود ، لكن والدها علم بهذا الحب فأخذها وأخفاها فى قصر كبير بجزيرة فيلة ، وأحاط القصر بالتماسيح ليمنع الاقتراب منه .. لكن الفتى العاشق لم يتوقف عن محاولة الوصول إلى حبيبته فكانت قصائده تصل إليها عبر الأسوار .

وتقول الأسطورة الشعبية أن تمساحاً مفترساً رق قلبه للفتى أنس الوجود، وعرض عليه أن يحمله إلى الشاطئ الذى يستقر عليه قصر الأميرة ، وبالفعل ينقله ، ولكن فرصة اللقاء لم تكتمل إذ علم والدها فأسرع ليطرد أنس الوجود رغم بكاء الأميرة ورغم كل توسلات العاشقين .

والأسطورة الثانية التى ارتبطت بجزيرة فيلة منذ العصر الفرعونى هى أسطورة الإلهة " إيزيس " ربة السحر والوفاء والخير .. وتقول الأسطورة أن إيزيس أرملة " أوزوريس " راحت تبنى له زورقاً لتبحث به عن أجزاء جسد زوجها رب الخير والخصب الذى عصفت الغيرة بقلب أخيه الحاسد الشرير

(ست) ، فقطع أخاه أرباً وألقاها متناثرة في كل مكان .. وقامت إيزيس ربة
السحر مبحرة في مياه النيل لتجمع ما استطاعت من جسد زوجها حتى عثرت
على ساقه اليسرى عند جزيرة " ببيجة " التي تلتصق بجزيرة فيلة .. وهناك
جمعت أجزاء الجسد ليعث من جديد وحملت منه وحيدها " حورس " .. لكن
أوزوريس يتركها بعد أن يئس من شرور الأرض ويصعد إلى عالم الخلود ،
وعلى جزيرة فيلة تبكى إيزيس زوجها بكاءً مريراً فيفيض النيل من كثرة دموع
الوفاء على زوجها .

عندما أغرق أهل الواحات جيش قمبيز فى الصحراء

قضت مصر أثناء حكم الملك أحمس الثانى عهداً مزدهراً فى كل نواحي الحياة ، وأنشأ أسطولاً قوياً أخضع به جزيرة قبرص وأرغمها على دفع الجزية لمصر وفى العام الأخير من حياته أخذت تتجمع السحب لتتدر بوقوع غزوة فارسى لمصر ، ومات أحمس الثانى فى نفس العام الذى قرر فيه ملك الفرس قمبيز احتلال مصر .

وخلف أحمس ابنه بسمايتك الثالث ، وجاء قمبيز وهاجم مدينة " بلوز " - الفرما - بحراً وزحفت جيوشه على مصر براً ، وبعد مقاومة عنيفة سقطت الدلتا فى يد الفرس ، ولجأ بسمايتك الثالث إلى منف ، ولكن قمبيز حاصرها وفتحها وأسر بسمايتك الثالث وقتله .

ونكل الفرس بالمصريين ، ودخل قمبيز مقبرة الفرعون أحمس الثانى ، وأمر بإحضار جسده المحنط من داخل القبر ، وقام بجلده ووخزه ثم أمر بحرقه رغم أن حرق الميت محرم فى كلا الديانتين الفارسية والمصرية .. وعندما دخل قمبيز منف ورأى المصريين يحتفلون بعيد الإله " أبيس " - العجل المقدس - أمر بقتل من هم على رأس الاحتفال ثم طعن العجل المقدس حتى مات متأثراً بجراحه ، وأمر بتعذيب الكهنة ، وقام بتخريب مدينة عين شمس وحرقها من كل ناحية ، كما فعل ذلك بالمسلات .. وعم السخط مصر .

وتتبا كهنة آمون بأن حكم الفرس لمصر لن يطول وأن حياة قائدهم قمبيز سوف تنتهى بكارثة ، واستشاط قمبيز غضباً عندما بلغته هذه النبوءة فقرر الانتقام من هؤلاء الكهنة بقتلهم جميعاً ، وحرق وتدمير معبدهم.

وسار قمبيز من طيبة على رأس جيش من خمسين ألف مقاتل ، وفى قول آخر تسعين ألف مقاتل ثم أقام فى الواحة الخارجة ، أما جيشه فقد عسكر فى السهل المنبسط بين الخارجة و " واحة بيريذ " وهى ما يطلق عليها الآن (باريس) خطأ ، إذ أن اسمها مأخوذ عن اسم قائد الفرس بيريذ الذى أقام فى هذه الواحة وسماها باسمه ، ثم ما لبثت الأوامر أن صدرت إلى بيريذ بالتحرك إلى سيوه لإحراق معبد الإله آمون ، والانتقام من الكهنة على نبؤتهم ، واتخذ الفرس من أهل الخارجة أدلاء من قصاصى الأثر ليسيروا فى طليعة جيشهم.

وضلل أدلاء الخارجة الفرس وقادوا الجيش كله إلى بحر من الرمال ، وهبت عاصفة طاغية على الجيش وهو يأخذ راحته ، واستمرت العاصفة عدة أيام كان الجيش فى خلالها يدور حول نفسه داخل العاصفة حتى نفذت منه الأقوات وابتلعت معظمه الرمال ، ولم تهدأ العاصفة حتى كان الجيش كله فى بطن بحر من الرمال بين الخارجة وسيوه .

مصر تقدم للعالم فن الكاريكاتير

كان قدماء المصريين هم أول من استخدم المبالغة في رسم التقاطيع لتأكيد الشخصية المرسومة وسجلوا ذلك على أوراق البردى ، ويلاحظ أنها لم تكن تعتمد على تصوير الأفراد والشخصيات ، وإنما كانت عبارة عن سخريّة ضاحكة من الضعف البشرى وغير موجهة إلى أشخاص بالذات.

وقد وجدت صورة فكاھية من رسم قدماء المصريين على ورق البردى، وهى تمثل أسداً وغزالاً يلعبان الشطرنج ، وتعلباً يعزف على الناي وهو يرعى الماعز ، بينما القطة تقود الأوز !!.

ومضى زمان طويل حتى جاء الإيطاليون فجعلوا من الكاريكاتير لوناً من ألوان التسلية الشعبية الخفيفة وانتقل إلى مختلف دول العالم .

وكان أول من حاول إدخال الكاريكاتير فى الصحافة المصرية هو "يعقوب صنوع" فقد كان يصدر ويحرر مجلة نقدية هزلية تسمى " أبو نظارة " ، وأصدرها بالقاهرة عام ١٨٧٧ وهى أول صحيفة كاريكاتيرية سياسية فى الوطن العربى ، وكان ينتقد فيها بشدة حكومة الخديو إسماعيل ، غير أن الحكومة ضاقت به ذرعاً فنفته إلى الخارج حيث استقر بباريس وأخذ ينشر صحيفته تحت أسماء مستعارة مثل " أبو زمارة " ويرسل منها نسخاً إلى بعض الشخصيات

المعروفة في مصر ، وقد حرمت الحكومة تداول هذه الصحيفة وصادرتها.

ثم بعث فن الكاريكاتير على يد الصحفي المصري أحمد حافظ عفيفي في مجلته التي أصدرها قبل الحرب العالمية الأولى " مجلة خيال الظل " وكانت الصفحات الملونة منها تطبع في إيطاليا.

ومن أروع الرسوم الكاريكاتيرية رسوم الفنان الأسباني " جوان سانتيز " الذي رسم في صحيفة الكشكول ، وقد عاونه على النجاح اختلاطه بالأوساط المصرية والأجنبية في مصر وسرعة خاطره وقوة خياله .. وحوالي عام ١٩٢٥ جاء إلى مصر فنان كاريكاتيري أرمني يدعى " صاروخان " قدم رسومه الأولى في مجلة " الجديد " التي كان يصدرها محمد المرصفي وأثبت استعداده لتفهم الحياة المصرية ، ثم ظهر فنان تركي الأصل يسمى على رفقي فقدم لونا من هذا الفن يمزج بين الزخرفة والتعبير .. وقد استطاع سانتيز وصاروخان وعلى رفقي أن ينشئوا مدارس للكاريكاتير المصري تخرج فيها عدد كبير من الرسامين الكاريكاتيرين المعروفين ، وبرز منهم عدد كبير منهم رجا وعبدالسميع وزهدى وجاهين وغيرهم.

مكتبة الإسكندرية تغير علاقة الأرض بالشمس

كانت مكتبة الإسكندرية أول مكتبة عالمية فى التاريخ .. وعلى الرغم من إنشاء مكتبات عديدة بعد ذلك فى مختلف أنحاء العالم إلا أن شهرة مكتبة الإسكندرية ظلت حتى يومنا هذا .. ومن المسلم به أنها كانت أعظم مكتبة فى التاريخ القديم على الإطلاق.

ولعل السبب وراء شهرة مكتبة الإسكندرية والاهتمام المستمر من جانب الباحثين بتاريخها هو أنها لم تكن مجرد مكتبة ، ولكنها كانت معلماً من معالم حضارة بأسرها ، كما كانت الأساس الذى ارتكزت عليه مؤسسة للبحث العلمى فى التاريخ القديم وهو المجمع العلمى بالإسكندرية والذى عرف باسم "الموسيون" .. وحول هذا المجمع ازدهرت جامعة الإسكندرية القديمة طوال سبعة قرون احتلت الإسكندرية خلالها مكان الصدارة وحملت مشعل العلم فى العالم المتحضر آنذاك .

ويرجع تاريخ تأسيس مكتبة الإسكندرية إلى بداية القرن الثالث قبل الميلاد عندما كلف بطليموس الأول - الشهير باسم بطليموس سوتر أى المنقذ - الذى تولى حكم مصر بعد الاسكندر الأكبر أحد مستشاريه " ديمتريوس الفاليرى" (السياسى وتلميذ أرسطو) بتأسيس مجمع للبحث العلمى " الموسيون " (أى معبد ربات الفنون والعلوم) ومكتبة كبرى تضم كتب العالم آنذاك ، وأنفق المال

لاجتذاب العلماء واقتناء الكتب من جميع الشعوب بالإضافة إلى اقتناء المخطوطات الأصلية للكتب.

وقد حققت جهود البطالمة أهدافها وبلغ عدد الكتب التي أمكن جمعها ما يزيد على نصف مليون كتاب ، ثم ارتفع الرقم إلى ٧٠٠,٠٠٠ كتاب .. ونظراً إلى أنه لم يكن من اليسير وضع هذا العدد الهائل من الكتب في مكان واحد ، فقد قسم إلى مكتبتين رئيسيتين هما المكتبة الأم التي كانت ملحقة بالمجمع العلمي ، ومكتبة أخرى كانت جزءاً من معبد السرابيوم ، وهكذا أصبحت مكتبة الإسكندرية بقسميها أكبر مكتبة في العالم القديم.

وتجدر الإشارة إلى أن الكتب التي اشتملت عليها المكتبة لم تكن تشبه كتب العصر الحالي بل كانت على هيئة ملفات أسطوانية عبارة عن شرائح طويلة من ورق البردي ملفوفة على أعواد الغاب ، وكانت كلها مخطوطة باليد لأن الطباعة لم تكن قد اخترعت بعد.

وقد ارتبطت مكتبة الإسكندرية بأسماء أشهر العلماء ، فمنذ البداية كان هناك " اقليدس " الذي علم فيها مختلف فروع الهندسة ، وفيها دون كتابه الشهير : " المبادئ " وكان معاصراً للفلكي الكبير " اريستاخوس " الذي كان أول من حسب المسافات بين الشمس والقمر ، وأول من قال بدوران الأرض حول محورها وحول الشمس قبل أن يكتشفه كوبرنيكس .. وفيها أيضاً استطاع "اراتوستينيس" أن يقيس محيط الكرة الأرضية دون أن يخطئ في أكثر من خمسين ميلاً .. وتجدد علم الطب بالإسكندرية - منذ عهد بطليموس الأول - على يد كل من " هيروفيلوس " و " اراسستراتوس " فأسس الأول دراسات في التشريح العلمي أما الثاني فقد أعتمد على الفسيولوجيا بوجه خاص ، وكانت أهم اكتشافاته متصلة بالدورة الدموية فهو الذي اعتبر القلب عامل حركة الدورة الدموية كلها ، وقام بدراسات للجهاز التنفسي والجهاز الهضمي .

وفى مكتبة الإسكندرية وضعت أسس علوم التصنيف ويرجع الفضل لأحد مديريها وهو " كاليماخ " الذى وضع كتابه المعروف " بيناكس " وفيه تم تدوين أسماء المؤلفين وعناوين المؤلفات الموجودة بالمكتبة ، ويعد هذا الكتاب أقدم عمل ببليوغرافى فى العالم.

وفى مكتبة الإسكندرية درس " ارشميدس " الذى اشتهر بأبحاثه عن الدوائر والكرات والأجسام الاسطوانية والميكانيكا ، وعاش بها أيضاً بطليموس الإسكندرى مؤسس علم الخرائط ، وهو العالم الذى تحكم فى الفكر الفلكى والجغرافى أكثر من ألف عام.

لقد بقيت مكتبة الإسكندرية أكثر من قرنين من الزمن مركزاً للحياة الثقافية للعالم ، ثم تعرضت للحريق والتدمير عام ٤٨ ق.م ، وكان المسئول الأول عن هذه الكارثة هو يوليوس قيصر الذى وصل للإسكندرية لمساندة كليوباترا ، ونشبت معركة بحرية ، وأمر يوليوس قيصر بإحراق السفن فى الميناء إلا أن النار امتدت بسرعة واشتعل حريق هائل أتلف دار صناعة السفن وما جاورها من المباني ومنها مكتبة الإسكندرية.

وفى عام ١٩٩٠ بدأ مشروع جديد لإحياء المكتبة القديمة .. وقد تم إنجاز هذا المشروع الكبير بافتتاح مكتبة الإسكندرية عام ٢٠٠٢ لتكون منارة للثقافة ، ونافذة لمصر على العالم ، ونافذة للعالم على مصر.

منارة الإسكندرية

أول منارة فى العالم

تعد منارة الإسكندرية أو " منارة فاروس " أشهر منارة بحرية فى تاريخ العالم وإحدى عجائب الدنيا السبع .. وقد أطلق اسمها على كل منارات العالم ، وعنها أخذت التسمية الفرنسية " فار " والتسمية الإيطالية " فارو " واشتقت منها كلمتا " فانار " و " منار " .. وقد أقامها بطليموس الثانى عام ٢٧٩ ق.م بالطرف الشرقى من جزيرة فاروس .

وكان فى خطة البطالمة أن يجعلوا من الإسكندرية أهم وأوسع ميناء بحرى تجارى وحربى فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، ولذلك تم تكليف المهندس " سوستراتوس " لبناء هذه المنارة التى لم يشهد العالم مثلها من قبل لتكون أوضح دليل للعالم على المجد البحرى الذى تمثله مصر .

وأقيمت المنارة على صخرة فى البحر ، وبنىت من صخور متينة منحوتة صب بينها الرصاص حتى لا يتسرب إليها ماء البحر ، وكانت مكونة من عدة طوابق تكون بناءً أضخماً على شكل برج يرتفع نحو ١٢٤ متراً ، وكان الطابق الأول منها مربع الشكل ويرتفع نحو ٦٠ متراً ويتضمن ٤٠٠ حجرة ، وقد أثار عدد الحجرات الكثيرين حتى أن المقريزى قال " يقال أن كل من دخل المنارة اختبل وضل الطريق مما بها من الغرف العدة والطبقات " .

أما الطابق الثانى فكان ثمانى الأضلاع ويرتفع بدوره نحو ٣٠ متراً ،
أما الطابق الأعلى فكان أسطوانى الشكل ويرتفع نحو ١٥ متراً ومقاماً على
أعمدة ضخمة من الجرانيت تحمل مجموعة من المرايا المحدبة التى كانت
تعكس اللهب نوراً لهداية السفن فى أعالى البحر على بعد ثلاثين ميلاً ، وفوق
القبة أقيم تمثال هائل من البرونز لإله البحر " بوسيدون " يرتفع نحو سبعة
أمتار .

ولسوء الحظ تكالبت الزلازل والظواهر الطبيعية القاسية وأعمال
التخريب على هذا البناء الشامخ حيث انهار فى أعقاب زلزال فى القرن الرابع
عشر الميلادى ولم يبق منه سوى الأساس الحجرى الذى أقيمت عليه " قلعة
قايتباى " فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى .

حصن بابليون والعائلة المقدسة

كان فى الأصل قلعة أقامها الملك بختنصر (بمصر القديمة الآن) عندما غزا مصر ، ولما جاء الإمبراطور الرومانى " تراجان " أقام الحصن على أساس القلعة ، وذلك فى العام المتمم للمائة من الميلاد ، وكان الحصن مقراً لأقوى وحدات الجيش الرومانى بمصر ، وأهم وأضخم آثار الإمبراطورية الرومانية بها .. ويقال أن الناظر من فوق الحصن كان لا يقف شئ دون بصره حتى يبلغ مدينة عين شمس .

وقد أضيفت إليه مبان أخرى فى القرن الرابع الميلادى ، وما زالت بعض المبانى والأبراج الأصلية قائمة حتى الآن وهى أبراج أسطوانية الشكل دائرية مفرغة.

وكان سمك أسوار الحصن ثمانية عشر قدماً ، وكان محيط الأسوار على شكل مربع غير منتظم وبداخله مقياس النيل ، حيث كانت مياه النيل فى ذلك الوقت تجرى تحت أسوار الحصن حيث كانت ترسو السفن ، وكان ارتفاع الأسوار يبلغ ستين قدماً .. وكانت تزيد من قوة الحصن وخطره الحربى جزيرة الروضة التى كانت ذات حصون لأنها تقع وسط النهر .. وكانت المنطقة الموجودة حول الحصن مزارع فسيحة.

ويوجد داخل أسوار هذا الحصن ست كنائس من أهم وأقدم الكنائس القبطية والأثرية فى العالم .. وأهم تلك الكنائس كنيسة أبى سرجة التى تقع وسط الحصن تقريباً ، وقد شيدت هذه الكنيسة فوق المغارة التى لجأت إليها العائلة المقدسة عندما هربت إلى مصر من مؤامرات اليهود والرومان الوثنيين .

ويوجد داخل حصن بابليون الكنيسة المعلقة ، وسميت بهذا الاسم لأنها شيدت فوق أبراج حصن بابليون على ارتفاع ١٣ متراً فوق سطح الأرض الأصلية لهذا الحصن ، وقد بنيت فى أواخر القرن الرابع الميلادى وهى أقدم كنيسة بنيت فى حصن بابليون ، وتعد أول كاتدرائية فى القاهرة .. وظلت مقراً للبابوية لمدة ٣٠٠ عام .. وأطلق عليها من قبل الكنيسة ذات السبعة مذابح والسبعة أحجية ، وهى الكنيسة الوحيدة فى العالم التى يوجد بها هذا النظام .

وتوجد داخل الحصن كنيسة مارى جرجس .. والمتحف القبطى الذى جمع أندر تحف الفن القبطى ووثائق تاريخ المسيحية فى مصر ، وتم تأسيسه عام ١٩١٠ بعد نقل ما عثر عليه من الآثار القبطية من الكنائس والأديرة بمختلف أنحاء مصر ، وقد بنت الحكومة جناحاً جديداً للمتحف عام ١٩٣٧ .

وقد اشتهر حصن بابليون فى تاريخ فتح العرب لمصر ، فقد حاصره العرب عام ٦٤١ م بقيادة عمرو بن العاص بعد أن وافاه مدد خاص بقيادة الزبير بن العوام ، حتى قبل القائد الرومانى (المقوقس) الصلح إلا أن الإمبراطور (هرقل) رفض الموافقة عليه وحاول القائد تيودور فض الحصار من الخارج ولكن استحال زحزحة العرب حتى تم تسليم الحصن فى ٦ إبريل ٦٤١ م .. وواصل العرب زحفهم إلى الإسكندرية والصعيد ، وما زال يوجد بالحصن الباب الحديدى الذى يقال أن المقوقس حاكم مصر الرومانى خرج منه سراً لمفاوضة عمرو بن العاص .

وقصر الشمع هو الاسم الذى أطلقه العرب على حصن بابليون أو (باب
اليوم) لما روى من أن الشموع كانت توقد على بابه فى رأس كل شهر إعلماً
للناس بأن الشمس قد انتقلت من برج إلى برج.

مصريات

عصور التاريخ المصرى :

خمسة عصور متميزة هى العصر الفرعونى ويبدأ من عام ٣٢٠٠ ق.م ويشمل حكم ثلاثين أسرة مالكة ، والعصر اليونانى الرومانى ويبدأ من ٣٣٢ ق.م والعصر الإسلامى الذى يبدأ بفتح العرب لمصر وانتشار الإسلام فيها من عام ٦٤١م ويشمل حكم عدة دول هى دولة الخلفاء الراشدين ، الأموية ، العباسية ، الطولونية ، العباسية الثانية ، الإخشيدية ، الفاطمية ، الأيوبية ، ودولة المماليك وتبدأ من عام ١٢٥٠ م وتتقسم إلى دولة المماليك الأتراك والمماليك الجراكسة ، والعصر العثمانى من عام ١٥١٧ م ، ثم العصر الحديث من تاريخ الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ م حتى الآن.

قدماء المصريين يحرمون لحم الخنزير :

اعتبر قدماء المصريين الخنزير نجساً ، وحرموا أكل لحمه تحريماً قاطعاً ، ويقول فى ذلك هيرودوت " والمصريون يعتبرون الخنزير نجساً ، ولذلك إذا مس مصرى خنزيراً أثناء مروره به ، ذهب فى الحال وألقى بنفسه

فى النهر دون أن يخلع ملابسه ، كما أن رعاة الخنازير - ولو أنهم مصريون بمولدهم - كانوا لا يدخلون دون سائر المصريين أى معبد من جميع معابد مصر ، ولا يرضى مخلوق أن يزوج أحد هؤلاء الرعاة من ابنته " .

أول مشروع لاستصلاح الأراضى فى العالم :

كان فى مصر منذ حوالى ٥٠٠٠ عام عندما قرر الملك مينا مؤسس أول أسرة حاكمة فى مصر الفرعونية أن يبنى سداً من الحجارة على النيل ليتمكن من بناء مدينة منف فى منطقة السهل ، بحيث يشكل النيل حدود هذه المدينة أو خط الدفاع عنها.

وقد قُسمت المناطق الزراعية بالقرب من النيل إلى أحواض مسطحة تتصل بينها جسور من الطين والحجارة ، وكان ارتفاع هذه الجسور يصل إلى بضعة أقدام ، وتقوم القنوات والأهوسة بتحويل ماء النيل ليروى الأرض ، ويترسب الطمي عليها فتزداد خصوبة تلك الأراضى.

أقدم وثيقة فى تاريخ العالم :

حجر " بالرمو " وهو أقدم الوثائق التاريخية التى سجلت أسماء ملوك الفراعنة من الأسرة الثانية إلى الأسرة الخامسة ، وتاريخ حكم كل ملك وما أنشئ فى أيامه من عمران .

وقد سُمى الحجر باسم حجر " بالرمو " إذ يضم متحف بالرمو بصقلية أكبر أجزائه ، وتوزعت أجزاءه الأخرى فى متاحف مختلفة منها لندن والقاهرة، وإن كان فى المتحف المصرى أكثر أجزائه.

أقدم وثيقة طلاق فى العالم :

وجدها البروفيسور فيشر بين لفائف برديات طيبة ، ويرجع تاريخها إلى عصر بناء الأهرام ، وتقول الوثيقة :

" لقد هجرتك ولم تعد لى حقوق عليك كزوج ، أبحتى عن زوج غيرى ، لا أستطيع الوقوف إلى جانبك فى أى منزل تذهبين إليه ، ولا حق لى عليك من اليوم فصاعداً باعتبارك زوجة لى وشريكة لحياتى .. أذهبى فى الحال بلا إبطاء أو تراخ .. زوجك المطلق آمون جوتر " وتحتها كتب المأذون توت اسمه ، ووقع معه أربعة شهود ، وختمها بختم التسجيل الرسمى .

أول قناة بين البحرين الأحمر والأبيض:

سجل تاريخ مصر الفرعونى للملك سنوسرت الثالث أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة العظام ، أنه أول من حفر القناة الثلاثية التى تربط البحر الأبيض المتوسط (بحر الشمال الأخضر العظيم) بالبحر الأحمر (بحر اروتري) بحفر قناة تصل كل منهما بالبحيرات المرة ، وربط البحيرات فى نفس الوقت بنهر النيل عند مدينة منف عاصمة البلاد حتى يتمكن أسطوله الحربى وسفنه التجارية من الانتقال من نهر النيل ومدينة منف إلى كل من موانى البحرين الأبيض والأحمر .

أطباء بيطريون فراغة :

عنى قدماء المصريين بالحيوانات وعلاجها ، وقد ورد بآثار بنى حسن ما دل على هذه العناية ، وقد اكتشف أحد علماء الآثار عام ١٨٨٩ بناحية

اللاهون بمديرية الفيوم ورقتين من أوراق البردى من عهد الأسرة الثانية عشرة، ويرجع تاريخهما إلى ألفى عام قبل الميلاد ، وقد وجد بإحدى الورقتين تشخيص لمرض بثورين وعلاجهما ، وتشخيص كذلك لمرض بكلب مصاب بطفيليات باطنة وعلاجه .. مما يدل على وجود الأطباء البيطريين في عهد الفراعنة.

قدماء المصريين والنظريات الرياضية :

كشفت بردية (برند) التي توجد بالمتحف البريطاني عن عمليات حسابية لقدماء المصريين تتضمن مجموعة نموذجية للعمليات الحسابية ، وفيها علاقات تشير إلى الكسور الاعتيادية والعشر والتسع والثلث ، كما وجدت بردية أخرى تكشف عن مساحات المثلث ، كما عرفوا الأحاد والعشرات والمئات والألوف ومئات الألوف ، وعرفوا الضرب بالتكرار والقسمة .

وفي الهندسة عرفوا مساحة المربع والمستطيل بضرب الطول \times العرض ، وعرفوا الزاوية القائمة ومساحة الدائرة ونظرية استخراج مساحة المثلث .

لماذا أقام قدماء المصريين مدنهم شرق النيل ؟ :

يلاحظ أن أغلب المدن المصرية أقيمت على الناحية الشرقية للنيل ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب من أهمها أن قدماء المصريين قد عبدوا الشمس في فترة من فترات تاريخهم ، وكانوا يعتقدون أن الشمس ترمز للحياة في شروقها ، وترمز للموت في غروبها ، ولذلك كانوا يدفنون موتاهم في الغرب ، بينما يعيشون ويقيمون مدنهم في الشرق .. والدليل على ذلك أن أغلب الآثار

الفرعونية مثل الأهرامات ومقابر الملوك والملكات تقع كلها على الضفة الغربية للنيل.

الواحة العظمى :

اسم كان يطلق على الواحات الخارجة وذلك لوفرة خيراتها ولينابيعها الغزيرة وغلالها التي كانت أغلى ما يباع في روما ، وقد استطاع الرومان زراعة نحو مليون فدان حوالى عام ٧٠ ميلادية.

وبلغت في العصر الرومانى أوج ازدهارها ، فقد كانت مخزناً للحبوب والثمار الخاصة بالإمبراطور ، وكانت تمون مصر كلها بالقمح إلى جانب تموين روما ، ثم بدأ الصراع رهيب فى كل مكان من أرض مصر بين الحكومة الرومانية الوثنية وأقباط مصر ، واتخذت المقاومة الدينية صبغة سياسية ، ومن ثم عرفت مصر عصر الشهداء الذى تميز بالاضطهاد الدينى من جانب الرومان للمسيحية ، وفر المسيحيون إلى الواحات بعيداً عن الاضطهاد فى داخل الوادى.

مقبرة لا مثيل لها فى العالم :

مقبرة كوم الشقافة بالإسكندرية ، وهى لأسر رومانية غير معروفة ، وهى مكونة من ثلاثة طوابق بعمق ثلاثين قدماً فى باطن الأرض ، ومحاطة بسلام حجرية (حلزونية) فى شكل دائرى حتى العمق لتصل الطوابق الثلاثة بعضها ببعض .

ويوجد بالمقبرة ٣٦٥ فجوة محفورة فى الصخر لدفن الموتى ، وبها خمسون تابوتاً كانت مخصصة لدفن الأثرياء ، وبكل طابق قاعة كانت مجهزة

لأهل الموتى الأحياء حيث كانوا يحضرون أوعية الطعام وقوارير النبيذ التي
وجد منها عدد محطم ، ولكنرة ما وجد بالمنطقة من الشقاف المحطمة جاءت
تسمية الحى بكوم الشقافة.

المصرية التي تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم

مارية التي ولدت بقرية (حفن) بصعيد مصر على الضفة الشرقية للنيل (بمركز ملوى محافظة المنيا حالياً) لأب قبطى .. وبين قصور المقوقس (جريج بن ميناء) حاكم مصر من قبل هرقل ملك الروم شبت هى وأختها سيرين كجاريبتين من جوارى المقوقس.

وفى مستهل السنة السابعة للهجرة خرج من المدينة المنورة عدد من الصحابة موفدين من قبل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك يدعونهم إلى الإسلام .. ووصل إلى مصر (حاطب بن أبى بلتعة اللخمي) فاستقبله المقوقس عظيم القبط فى القصر الملكى .. وقدم حاطب الكتاب الذى كان يحمله من الرسول صلى الله عليه وسلم.

وعلم المقوقس أن نبياً قد بعث بأرض العرب ، ورد المقوقس على كتاب محمد صلى الله عليه وسلم بقوله أنه يعلم أن نبياً سيظهر ، ولكنه كان يعتقد أن ظهوره سيكون بالشام ، ثم أمر بتجهيز الهدايا لترسل إلى النبى وكان فيها ملابس وأدوات للزينة ، وعسل من بنها ، وحمار وبغلة بيضاء ، وطبيب من أطباء مصر .. وفى مقدمة كل هذا جاريتان من أعز وأجمل جوارى القصر هما مارية وسيرين يصحبهما خادم لهما يدعى مابور .

وسار الموكب فى إتجاه جزيرة العرب ، وقص حاطب لمارية وسيرين قصة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فمال قلبهما لأن تعنتقا الإسلام ، وأسلمتا بالفعل قبل أن يصلا إلى الرسول .

واختار الرسول مارية ، ووهب أختها سيرين لشاعر المسلمين حسان بن ثابت .. وأنزل الرسول مارية بدار الحارثة بن النعمان بالقرب من مساكن زوجاته ، ولكنهن غرن منها فنقلها إلى مكان يعرف بالعالية فى ضاحية من ضواحي المدينة .

وحملت مارية من الرسول صلى الله عليه وسلم ووضعت إبراهيم ، وجاء إلى النبی مولاه أبو رافع يبشره فأكرمه ، وأكرم مولاته سلمى زوجة أبى رافع التى أشرفت على ولادة إبراهيم ، وتصدق على كل فقير ومسكين من أهل المدينة .. وعهد النبی بابنه إلى مرضعة ، ودفع إليها عدداً من الماعز لترضعه لبنها ، وكان للرسول العزاء بعد أن تقدم به العمر وبعد أن لم ينجب من زوجاته جميعاً غير زوجته الأولى خديجة ، وكان السلوى له بعد أن مات جميع أولاده من خديجة ولم يبق له منهم غير ابنته فاطمة.

ولكن مارية والرسول لم ينعما بإبراهيم طويلاً ، فبعد سنة ونصف تقريباً مرض وتوفى ، وحزنا عليه حزناً شديداً .. وكسفت الشمس فى ذلك اليوم فقال المسلمون " ما كسفت الشمس إلا لموت إبراهيم " ، وسمع النبی قولهم فقال : "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله بالصلاة" .

ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى توفى الرسول بعد أن قال وهو يوصى المسلمين : " استوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً " .. وماتت مارية بعد نحو خمس سنوات من وفاة النبی ودفنت بالبقيع.

الإسلام يدخل أفريقيا من باب مصر

بعد أن فتح عمرو بن العاص فلسطين طلب إلى الخليفة عمر بن الخطاب أن يأذن له في فتح مصر ، لما كان يعلمه عن خصبتها وثرواتها وما يؤدي إليه فتحها من خير على الدولة الإسلامية ، وأهمية هذا الفتح من الناحية العسكرية لتأمين بلاد الشام من غزو الروم الذين كانوا يحيطون بالشام من الشمال ومن الجنوب ولكن عمر بن الخطاب تردد كثيراً قبل السماح لعمر ، لما كان يخشاه على جيوش المسلمين من التوغل في بلاد احتلها الروم منذ فترة بعيدة ، ولهم فيها الحصون والجنود ، يضاف إلى ذلك عدم رغبته في التوسع قبل أن تثبت قدم العرب في الشام أو في بلاد فارس .. ولكن أمام إلحاح عمرو وتهويله لأمر فتح مصر سمح عمر بن الخطاب له بالسير على رأس جيش عدته أربعة آلاف جندي .

وصل عمرو بن العاص من فلسطين إلى العريش في ١٢/١٢/٦٣٩م فاستولى عليها دون مقاومة ثم واصل السير حتى الفرما (شرق بحيرة المنزلة) وكانت تعتبر مفتاح مصر من ناحية الشرق ، وتبعد عن ساحل الروم (البحر المتوسط) بنحو ميل ونصف فحاصرها عمرو شهراً حتى سقطت في يناير ٦٤٠ م .. بعدئذ سار عمرو إلى الجنوب الغربي حتى وصل إلى مدينة القنطرة

الحالية ، ولزم العرب جانب الصحراء متجهين إلى ناحية مدينة الصالحية ،
رغبة في أن تكون الصحراء حصنهم الذي يلجأون إليه وقت الخطر ولكي
يتجنبوا عبور القنات وفروع النيل ، ومن ثم سار عمرو إلى بلييس فاستولى
عليها بعد حصار دام شهراً ، ثم واصل سيره صوب حصن بابليون فمر في
طريقه إليه بقرية (أم دنين) وكانت قرية صغيرة على النيل يقع مكانها اليوم
حديقة الأزبكية وكانت بها حامية قوية فتغلب عليها العرب رغم مقتل عدد كبير
منهم ، ولذلك بعث عمرو إلى الخليفة يستجده ، وفي أثناء انتظاره المدد عبر
النيل من الضفة الشرقية إلى الضفة الغربية جنوبى أم دنين فمر بمنف وسار
حتى الفيوم ، وقد وصلته الأخبار بقدوم المدد عند عين شمس فعاد عمرو إلى
عين شمس واستعد للهجوم على حصن بابليون.

في هذه الفترة كان الخوف قد تملك الناس وهاجر كثيرون إلى
الإسكندرية تاركين أرضهم وبيوتهم ، وكان لابد لعمرو من أن يسير إلى
الإسكندرية وراء هذه الأفواج الهاربة ، ولكن وقفت أمامه عقبتان أولهما أن
الوقت كان صيفاً وعلى التحديد في شهر أغسطس والنيل أخذ في الفيضان
والماء يعلو سريعاً ، والبلاد لا يمكن السير فيها ، وثانيهما أن هناك روماً
كثيرين في حصن بابليون ولا يستطيع عمرو أن يخلف وراءه الحصن وبه جنود
كثيرون من الروم مما كان يشكل خطراً جسيماً يهدد ظهره عند تقدمه إلى
الإسكندرية.

عزم الروم على الدفاع عن الحصن ، ولما كان الوقت صيفاً والفيضان
مرتفعاً والخندق المحيط بالحصن مليئاً بالمياه ، وليس في مقدور المسلمين
مهاجمة الحصن ، فقد كان الروم يأملون أن يطول الحصار فتسرح الفرصة
لوصول إمدادات من الإسكندرية ، وكان جند الحصن كلهم من الروم إلا قليلاً
من القبط كانوا في خدمتهم ، وبلغ عدد الجنود حوالى ستة آلاف جندي وكان به

كثير من الزاد والذخائر ، وأخرج من الحصن عن طريق النهر عدد كبير من غير الجند من أهل مصر والأديرة المجاورة ليوسعوا على الجنود.

قرر عمرو محاصرة الحصن وكان يعلم أن الحصار سيطول ، وكان يرى أن الفيضان لن يدوم أكثر من شهرين يستطيع خلالهما مناوشة الروم بقصد إضعاف روحهم ، وكان مطمئناً إلى أنه من الصعب وصول إمدادات إلى الحصن لشدة التيار ، وأنه إذا عادت حالة النهر إلى ما كانت عليه قبل الفيضان فإن اقتحام الحصن سيكون أمراً يسيراً.

مضى من الزمن شهر والحصار حول الحصن ، والعرب لا تهن لهم عزيمة ، وبدأ فيضان النيل يقل ومستوى المياه ينزل ، والمدد الذي توقعه من بالحصن لم يصل ، ورأى القائد العام لقوات الروم وخليفة هرقل على مصر أن الموقف ليس في صالحهم ، فرأى أن تجرى مفاوضات سرية وأن يتولاها المقوقس بنفسه ، فيعرض على العرب مقداراً من المال مقابل مغادرة البلاد ، واستقر الرأي على أن ينطلق المقوقس مع بعض أصحابه إلى جزيرة الروضة سراً ، ويفاوضوا عمرو فيما اتفقوا عليه.

ومن جزيرة الروضة بعثت رسالة إلى عمرو تقول " إنكم قوماً قد ولجتم في بلادنا ، وألحتم على قتالنا ، وطال مقامكم في أرضنا ، وإنما أنتم عصابة يسيرة ، وقد أظلتكم الروم وجهزوا إليكم ، ومعهم من العدة والسلاح ، وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم أسارى في أيدينا ، فابعثوا إلينا رجالاً منكم نسمع كلامهم فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب ، وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم ، فلا ينفعنا الكلام ولا نقرر عليه ، ولعلكم لن تتدموا إن كان الأمر مخالفاً لمطالبكم ورجائكم " .

وانتظر المقوقس أن يعود رسله ومعهم رد عمرو ، ولكن عمرو حجز

رسل المقوقس ليطلعهم على رجال المسلمين ، وعادوا بعد يومين ومعهم رد عمرو يقول فيه " ليس بينى وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال ، إما دخلتم الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا ، وإما أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وإما جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين " .

وسأل المقوقس رسله عن القوم فأجابته رئيسهم " رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إلى أحدهم من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد منهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم " .

ولم يجد المقوقس ما يقوله بعد ما سمعه سوى قوله " والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقدر على قتالهم أحد ، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض واستطاعوا الخروج من وضعهم " .. وبعث المقوقس إلى عمرو يطلب من يفاوضهم ، وبعث إليه عمرو عشرة من المسلمين ، وحاول المقوقس إقناعهم بقبول مبلغ من المال وترك مصر ، ولم يجد رداً منهم إلا أن يختار إحدى ثلاث خصال كما قال عمرو .

ولما يئس المقوقس دعا أصحابه ونصحهم بقبول الصلح مع المسلمين وقال لهم " أما دخولكم فى غير دينكم فلا أمركم به ، وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقدروا عليهم ولن تصبروا صبرهم ، ولا بد من الثالثة " ولكنهم رفضوا ، واختلف كبار الروم وطلبوا أن يهادنهم العرب شهراً ليروا فيه رأيهم ، ورفض عمرو طلبهم وأمهلهم ثلاثة أيام ، وعلم أهل الحصن بالمفاوضات ، وثاروا على

المقوقس وأبوا كل شئ إلا القتال .. وفى اليوم التالى لانتهاه الهدنة هاجم الروم عمرو وجنوده على غرة ، إلا أن المسلمين استطاعوا تدارك الموقف ، وقاتلوا الروم قتالاً شديداً عنيفاً وتكاثروا عليهم ، واضطروهم إلى التقهقر والتراجع إلى داخل الحصن بعد أن قتل منهم عدد كبير .

وعاد المقوقس إلى قومه وطلب الإذعان لدفع الجرية ، وتم الصلح بين العرب والروم فى نوفمبر ٦٤١ م على أن تبقى الجيوش حيث هى ، ويظل الحصن مع الروم ، وأن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط دينارين على كل نفس ممن بلغ منهم الحلم ، وليس على الشيخ الكبير ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على النساء شئ ، وأن يوافق هرقل على هذا الصلح .. وأخذ المقوقس على عاتقه مهمة إقناع الإمبراطور بالقبول ، ولكنه لم يستطع ، وبذلك انتهت الهدنة وعاد القتال .. وكان النيل يهبط سريعاً وتهبط معه المياه التى فى الخندق حول الحصن ، وتهبط معه أيضاً مشاعر القوم فى النصر ، وآمالهم وشجاعتهم .. ولما فرغ الخندق من الماء تملك الروم الخوف والفرع ، وحين انتهى الشتاء كانت مناوشات عديدة قد وقعت بين العرب والروم .

وطالت مدة حصار حصن بابلليون وبلغت سبعة أشهر ، وضاق العرب بهذه الشهور الطويلة التى انقضت دون فتح الحصن ، وكان الزبير بن العوام أشد العرب حماسة ، وفى إحدى الليالى تقدم على رأس كتيبة تحت جنح الليل ، واقترب من جدار الحصن ، ووضع سلباً على السور ، وعلاه دون أن يظن إليه أحد بعد أن أتفق مع أصحابه أن يرقوا السلم إليه وأن يجيبوه إذا سمعوا تكبيره ، وفعلاً صعد وهو وأصحابه فوق السور وكبروا وأجاب المسلمون خارج الحصن تكبيرهم ، فلم يشك الروم فى أن العرب قد اقتحموا الحصن فهربوا ، واتجه الزبير إلى باب الحصن ففتحه ، واندفع المسلمون إلى داخله

واستولوا عليه وأسرع قائد الحصن يسأل عمرو الصلح وقبول التسليم على أن يأمن كل من هناك من الجند على أنفسهم ، وقبل عمرو الصلح على أن يغادر الجند الحصن خلال ثلاثة أيام ، وأما الحصن وما فيه من ذخائر وآلات حرب فيأخذه العرب غنيمة حرب ، ويسقوط حصن بابلون فقد الروم سيطرتهم على أكثر من نصف مصر .

سار عمرو بعد ذلك نحو الإسكندرية متتبعا شاطئ الفرع الغربي للنيل ، وكانت تقع عليه سلسلة من الحصون فاستولى عليها جميعا ، وحاصر الإسكندرية لمدة أربعة شهور ، وفي أثناء ذلك وصل المقوقس مبعوثا من إمبراطور الروم قسطنطين بن هرقل لعقد الصلح مع العرب ، وانتهى الأمر بكتابة عقد الصلح وتتضمن شروطه أن يدفع كل من فرضت عليه الجزية دينارين كل سنة ، وأن تعقد هدنة مدتها أحد عشر شهرا تنتهي في سبتمبر ٦٤٢ م ، وأن يحتفظ العرب بمراكزهم مدة الهدنة وألا يباشروا أعمالا حربية ضد الإسكندرية كما يكف الجنود الروم عن كل عمل عدائي ، وألا يتعرض المسلمون للكنائس بسوء وألا يتدخلوا في أمور المسيحيين ، وأن ترحل الحامية عن الإسكندرية بحرا بأموالهم وأمتعتهم ، وألا يحاول الروم استرداد مصر وأن يبقى اليهود بالإسكندرية ، وأن يبقى من الروم ١٥٠ جنديا و ٥٠ مدنيا كرهينة لتنفيذ المعاهدة .

وبالرغم من الشرط السادس وهو ألا يحاول الروم استرداد مصر فقد نقضوه ، وبعث قسطنطين بجيش كبير للاستيلاء على الإسكندرية إلا أن عمرو طارد الروم حتى أجلاهم عنها ، ولم يجد العرب بعد ذلك صعوبة في إخضاع بقية مدن الوجهين البحري والقبلي ، وبذلك خضعت البلاد نهائيا لحكم العرب ، ثم أنطلق الإسلام من مصر إلى برقة ثم تونس ثم شمل أفريقيا حتى المحيط الأطلنطي ليعبر بعد ذلك إلى الأندلس شمالا وإلى باقي أفريقيا جنوبا .

أول مدينة إسلامية فى أفريقيا

بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر عام ٢١ هـ — ٦٤١ م ، أراد أن يتخذ الإسكندرية مركزاً لحكمه ، غير أن الخليفة عمر بن الخطاب منعه من ذلك حتى لا يفصل ماء بينه وبين المسلمين وقال له " لا تجعل بينى وبينكم ماء ، متى أردت أن اركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت " .. وعلى ذلك وقع اختيار عمرو بن العاص على السهل الشمالى لحصن بابليون ويحده جبل المقطم من الشرق والنيل من الغرب ، وكان يعسكر فيه بجنوده أثناء فتح الحصن ، ورأى عمرو أن هذا المكان يصلح لإقامة مدينته الجديدة " الفسطاط " .. ويذكر فى هذا المجال أن اختيار الفسطاط كان أفضل من الإسكندرية وذلك إرضاء للمصريين الذين كرهوا عمرو فيها لأنها كانت ترمز إلى ظلم الرومان واضطهادهم لهم ، بالإضافة إلى توسط موقعها لمصر .

والفسطاط كلمة عربية تعنى " الخيمة " ذلك لأن عمرو بن العاص عند فتح الحصن المعروف باسم قصر الشمع ، وبعد الاستيلاء عليه ضرب فسطاطه (خيمته) بالقرب منه ، فلما قصد التوجه إلى الإسكندرية لفتحها أمر بنزع فسطاطه للرحيل فإذا بحمام قد أفرخ فيه فأمر بترك الفسطاط مكانه وسار إلى الإسكندرية ثم عاد إلى فسطاطه ونزل الناس من حوله ، ومن هنا سميت المدينة

التي أنشئت بالفسطاط لتصبح أول مدينة إسلامية في أفريقيا وثالث مدينة شيدها المسلمون بعد البصرة والكوفة .. وهناك قصة أخرى تقول أن كلمة فسطاط محورة عن اللفظ اليوناني " فساطم " الذي يطلقه الرومان على معسكراتهم الحربية أو المدن الحصينة ، ونقل هذا اللفظ محوراً بمعرفة العرب بكلمة فسطاط.

وكان جامع عمرو بن العاص هو أول ما أنشأ في الفسطاط وقد تقاسمت القبائل منطقة الفسطاط فيما بينها وسميت كل منطقة باسم القبيلة التي أخذتها ، ولم يمض زمن طويل على تخطيط الفسطاط حتى صارت غاية في العمارة ، واتخذ عمرو بن العاص الدار التي أقامها بالقرب من المسجد مقراً للحكم ، واتخذها الولاية من بعده سكناً للإمارة وكانت أكثر دور الولاية شهرة دار عبدالعزيز بن مروان التي بناها عام ٦٨٧ م وسماها " دار الذهب " .

وقد مرت الفسطاط بعصور من الازدهار ، وقد أعجب كل من دخلها من الرحالة بها وبهر بعمارتها ومساجدها وحماماتها وأسواقها ، وثرأ أهلها وأجمعوا على أن المدينة كانت تزخر بالمساجد والشوارع والحمامات وأشهرها "حمام جنادة " الذي قيل أن رسم دخوله كان ٥٠٠ درهم في يوم الجمعة .. وكانت أسواق الفسطاط تعج بالبضائع والتحف والحلى والذهب والحريير وقد اشترى " خمارويه " من هذه الأسواق ما قيمته ٧٠٠ ألف دينار لابنته قطر الندى التي ذاع صيت زفافها عبر التاريخ.

وقد ظل اسم الفسطاط حتى القرن الثالث عشر الميلادي ، عندما بدأ يختفى وحل محله اسم مدينة مصر ، ثم عرفت بعد ذلك باسم مصر القديمة ، وقد احترقت مدينة الفسطاط عام ١١٦٩م بأمر الوزير شاور ليحول بذلك بين الفرنجة وبين الوصول إليها واستمرت النيران تأكل المدينة أربعة وخمسين يوماً.

وفيما بعد أصبحت مدينة الفسطاط جزءاً من مدينة القاهرة التي تأسست
عام ٩٦٩ م واتسعت تدريجياً حتى شملت الفسطاط ضمن حدودها.

أول مسجد فى أفريقيا

جامع عمرو بن العاص بالفسطاط .. ذلك أنه فى عام ٢١ هـ (٦٤١ - ٦٤٢ م) حينما تم لعمر بن العاص تحرير مصر من الرومان ، وأسس مدينة الفسطاط ، وبعد تطهير الإسكندرية من فلولهم ، أقام أحد قواده " قيسيه بن كلثوم " فى حديقة فى شمال حصن بابلليون ، وأخذ عمرو داره على مقربة من هذا المكان من الناحية الشرقية.

وفى هذا الوقت بعث الخليفة عمر بن الخطاب إلى حكام البلاد التسى حررها الإسلام يأمرهم ببناء المساجد لإقامة صلاة الجمعة ، وقد اختار عمرو لمسجد الفسطاط مكاناً يشرف على النيل هو مكان حديقة قيسيه ، وعرض عليه أن يعوضه عن ذلك فأبى أن يقبل وتبرع بالأرض.

بنى عمرو جامع بطول خمسون ذراعاً وفرش أرضه بالحصى وسقفه بسقف من الجريد حمل على ساريات من جذوع النخل دون أن يجعل له صحناً ، كما لم يجعل له مؤذنة ولا محراباً مجوفاً ولا منبراً بالمعنى الصحيح ، وفتح للجامع فى كل من جوانبه الثلاثة الشرقى والبحرى والغربى بابان .. ولم يكن بالجامع زخرفة من الداخل أو الخارج.

وكان المسجد فى أول أمره يستخدم مكاناً للاجتماعات العامة ، علاوة

على إقامة الشعائر الدينية فيه ، وكان الحاكم يقوم فيه بالوعظ ويصلى بالناس صلاة الجمعة ، فكان اجتماع المسلمين في هذا اليوم فرصة لإعلان الآراء العامة ، وصار المسجد مكاناً لتبادل الآراء في الصالح العام .

وقد أدخلت على المسجد تعديلات كثيرة في العصور التالية ، وازدادت مساحته أيضاً .. كما تعرض للعديد من الكوارث منها الحريق الذي شب فيه عام (٨٨٨ م) والحريق الذي أشعله " شاور " عام ١١٦٩ م في مدينة القسطنطينية . اجتنباً لوقوعها في أيدي الفرنجة ، عندما أغار " أموري " ملك أورشليم " بيت المقدس " على مصر ، واحترق المسجد ولم يبق منه سوى الحوائط وبعض العقود .. وفي عام ١٣٠٣ م حدث زلزال ألحق ببناء المسجد ضرراً بالغاً .. وقد أعيد بناء المسجد أكثر من مرة حتى صار في صورته الحالية.

عند جزيرة الروضة ... بنى أول أسطول بحرى إسلامى

بنت مصر هذا الأسطول فى العقود الأولى من التاريخ الهجرى ، حيث كانت تصنع بمصر السفن الحربية لأسطول الدولة الأموية ، وكان الجزء الأكبر من هذه السفن يصنع فى " دور الصناعة " أو ترسانات عند جزيرة الروضة .. ثم تسير فى النيل إلى البحر .. وبهذه السفن كسب المسلمون موقعة ذات الصواري عام ٣٤ هـ - ٦٥٥ م وهى موقعة حاسمة انتزعت السيادة فيها على الجزء الشرقى من البحر المتوسط من البيزنطيين وأسلمتها للمسلمين عدة قرون.

وفى هذه المعركة كان الجانب المصرى من الأسطول تحت قيادة والى مصر عبد الله بن سعد ، وأقلعت من مصر مائتا سفينة وأقلع من الشام عدد غير معروف ، وكانت سفن الأسطول البيزنطى خمسمائة سفينة .. وتفصيل ذلك أن معاوية بن أبى سفيان الذى كان والياً على الشام فى عهد خلافة عمر بن الخطاب كان يشعر بالحاجة إلى ضرورة وجود أسطول يشد أزره ، وقد ألح على عمر بن الخطاب فى غزو البحر ، وكتب إليه يستأذنه فى فتح قبرص ويقول " يا أمير المؤمنين ، إن بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم ، وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص " ، ولكن عمر لم يوافق حرصاً على أرواح المسلمين .

فلما توفى عمر بن الخطاب استطاع معاوية أن يظفر بموافقة عثمان بن

عفان ، على شن غارة تأديبية على قبرص ، وكان ذلك عام ٦٤٩ م ، وفى السنة الثانية استولى المسلمون على أرواد ، وفى عام ٦٥٥ م عقد لواء النصر للعرب فى الموقعة البحرية الكبرى التى تسمى "ذات الصوارى " وذلك تجاه ساحل ليكيا وكان لهذا النصر البحرى أهمية بالغة ، إذ لم يمض زمن طويل حتى كان العرب يغزون صقلية ويهددون القسطنطينية نفسها .. وكان أن سيطر المسلمون على الجزء الشرقى من البحر المتوسط.

ثم ساهم المصريون فى بسط سيطرة المسلمين على الجزء الأوسط من البحر المتوسط عندما انشأوا ميناء تونس ، فعندما استقر الأمر للمسلمين فى شمال أفريقيا ، أرسل حاكم تونس إلى عبد الله بن عبد الملك بن مروان كى يساعده فى إنشاء ميناء جديد للمسلمين بدلاً من ميناء قرطاجنة الذى تهدم بسبب الحروب ، فأرسلت مصر ألف بحار مصرى بعائلتهم ، وانشأوا ميناء تونس.

أكبر مساجد مصر

جامع احمد بن طولون بالقاهرة ، وهو يعد واحداً من أكبر مساجد العالم الإسلامى إذ تبلغ مساحته مع الفضاء الذى يحيط به ستة أفدنة ونصف ، ويعتبر جامع احمد بن طولون أول مسجد قائم بمصر حتى الآن منذ إنشائه ، إذ أن مسجدى عمرو بن العاص والعسكر قد عفا عنهما الزمن ، فالأول أحدثت به تغييرات شتى أتت على المسجد الأسمى ، والثانى ضاعت معالمه ضمن ما ضاع من مدينة العسكر ، أما مسجد احمد بن طولون فلا يزال حتى اليوم محتفظاً بتفاصيله المعمارية .

وقد أتم احمد بن طولون بناء جامعہ عام ٨٧٨ م ، وقد بنى على قطعة من الأرض الصخرية عرفت قديماً باسم " جبل يشكر " وقيل إنه أراد أن يبنى بناءً إذا احترقت مصر بقى وإن غرقت بقى ، وقد بناه على نظام بناء جامع سامراء تلك المدينة العراقية التى شب فيها .. وقد بنى بن طولون جامعہ على دعائم بدلاً من الأعمدة ، ويقال أنه طلب ذلك حتى لا يأخذ أعمدة رخامية من الكنائس.

ويتميز هذا المسجد بمنارته الوحيدة من نوعها من مصر ذات السلم الخارجى ، وهى مبنية بالحجر المنحوت نحتاً رائعاً من الخارج ، وهى مكونة

من أربع طبقات الأولى مربعة والثانية مستديرة والثالثة على شكل مئمن ، أما الرابعة فتعلوها طاقيّة تكون معها شكل مبخرة.

العروس الأسطورة

قطر الندى .. واسمها أسماء بنت خمارويه ابن احمد بن طولون .. عاشت بالقطائع بقصر الإمارة الذى بناه جدها احمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية ثم وسعه أبوها خمارويه حين آلت إليه ولاية مصر .. وكان من أروع المباني الإسلامية وكانت جدرانه موشاة بالذهب ومزخرفة بنقوش غائرة ، وكان يقع فى وسط حديقة كبيرة كانت تغرس زهورها فى أصص مزينة على أشكال الحروف والكلمات العربية ، وكان بها أشجاراً نادرة وبيوتاً للطيور وحديقة للحيوان ، وكان أكثر ما يثير بها هو بركة الزئبق التى كانت فى أحد أجزاء القصر يتماوج عليها فراشه ، وقد وضع فوق قرب منقوذة وشد بحبال حريرية إلى أعمدة من الفضة وعلى هذا الفراش كان ينام الملك ليطرد الأرق ، وقد عثر على آثار هذه البركة .

وقد لعم اسم قطر الندى واختارها الخليفة المعتضد العباسى زوجاً له عام ٨٩٤ م وكانت مصر من الولايات التابعة له ، ولذلك غالى خمارويه فى إرضاء الخليفة بتجهيزها ، وساعده على ذلك حالة مصر فى ذلك الوقت فقد كانت تستند إلى بيت مال ثرى للغاية.

ولا تزال قصة هذا الزواج مضرب الأمثال ، فلقد أمهرها الخليفة بمليون

درهم عدا التحف والجواهر الثمينة وغيرها ، وكلف جهازها خمارويه مليون دينار ، وكان من بين جهازها دكة من أربع قطع من الذهب مشبوك فى كل طرف قرط معلق فيه حبة من الجواهر لا تقدر بثمن ، ومائة (هاون) من الذهب يدق فيها العود والطيب.

وأمر خمارويه أن يبني لابنته على رأس كل مرحلة من مراحل المسافة بين القطائع فى مصر وبغداد فى العراق قصر تنزل فيه ، حتى أصبحت هذه القصور وكأنها مدينة واحدة تمتد من شاطئ النيل لشاطئ دجلة ، أعدت فيها المخادع وعلقت الستائر وهيات الموائد والخدم والجوارى حتى تستمتع العروس بكل ما تحتاج إليه من وسائل الراحة وكأنها فى قصر أبيها.

١٩ مدينة فى العالم تحمل اسم القاهرة

يوجد ١٩ مدينة فى مختلف أنحاء العالم تحمل اسم القاهرة منها ١٣ فى الولايات المتحدة الأمريكية ، و ٢ فى كندا ، و ٢ فى إيطاليا ، وواحدة فى فرنسا ، عدا القاهرة الأولى عاصمة مصر .

وتعود قصة القاهرة إلى أكثر من ألف عام مضت ، ففي يوم ٧ شعبان ٣٥٨ هـ - ٦ يوليو ٩٦٩ م ، وبعد أن أتم جوهر الصقلى قائد جيوش الفاطميين فتح مصر شرع فى بناء مدينة جديدة لتكون معسكراً لجنده ، ولتصبح عاصمة الدولة الفاطمية بعد انتقال الخليفة الفاطمى إليها من المهديّة فى تونس .

وترجع تسمية القاهرة بهذا الاسم إلى أن المدينة كلها كانت قد أحيطت بالحبال ، وعلقت عليها أجراس كثيرة ، وطلب جوهر الصقلى من المنجمين أن يستطلعوا نجوم السماء ، وعندما يبزع نجم سعيد تدق جميع الأجراس فى وقت واحد ليوضع أساس المدينة فى هذه اللحظة تفاعلاً بمستقبل سعيد ومرموق لها .. غير أنه حدث ما لم يكن فى الحسبان حيث حط أحد الطيور على الحبال فدقت الأجراس ، ووضع العمال الأساس على الفور ، وطلب القائد من المنجمين معرفة النجم الموجود فى ذلك الوقت فكان أن ظهر الكوكب القاهر (المريخ الآن) ولما رفع الأمر للخليفة المعز عند قدومه إلى مصر وافق على أن تتسب

المدينة لكوكب القاهر ، ومن هنا أطلق اسم القاهرة ، وأضيف اسم المعزية إليها نسبة للمعز لدين الله الفاطمي .

ولكن البعض يشكك في صحة قصة قرع الأجراس ، ويروى أن تلك المدينة الجديدة التي أنشأها جوهر سميت بالمنصورية أول الأمر تيمناً باسم المنصور بالله الخليفة الفاطمي ، وحين قدم المعز لدين الله إلى مصر عام ٩٧٢م سميت القاهرة ، وقيل أن سبب هذه التسمية أن المعز لدين الله خطب في الجيش أثناء تأهبه لفتح مصر حيث قال لجوهر " لتدخلن في خرابات بن طولون وتبنى مدينة تقهر الدنيا " ولهذا السبب عند قدوم المعز إلى مصر أطلق على المدينة الجديدة "القاهرة" .

وتم تخطيط القاهرة بحيث يتوسطها قصر الخليفة ويكون هذا القصر مركزها ، وقد أراد المعز أن يجعل القاهرة مدينة الخاصة ، وأن تبقى الفسطاط مدينة العامة ، فأحيطت القاهرة بسور مستطيل الشكل غير منتظم الأضلاع ، طول الضلع الممتد من الشرق إلى الغرب ١١٠٠ م وطول الضلع الممتد من الشمال إلى الجنوب ١٢٠٠ م وقد بلغت مساحة القاهرة في عهد المعز حوالي ٤٠٠ فدان ، وجعل للسور ثمانية أبواب أهمها باب الفتوح الواقع في منتصف الضلع الشمالي من السور ، وباب زويلة الواقع في منتصف الضلع الجنوبي ، وكان يصل ما بين البابين الطريق الرئيسي الذي أطلق عليه (ما بين القصرين) وهذا الطريق كان يقسم القاهرة إلى قسمين متساويين تقريباً ، ثم قسمت القاهرة إلى حارات كل منها نسب إلى قوم أو قبيلة كانت في صحبة جوهر الصقلي .

وقد بنى الفاطميون في القاهرة قصوراً كثيرة داخل المدينة وخارجها ، وأسوة بجامع عمرو بن العاص في الفسطاط وجامع بن طولون في القطائع أنشأ جوهر الجامع الأزهر في القاهرة ، وانتهى من بنائه عام ٩٧٢ م .

وفى عهد المماليك بلغت القاهرة شأنها كبيراً من الناحيتين العمرانية والأدبية وأصبحت محط أنظار العالم كله ، خاصة بعد أن بنى حولها جميعاً سوراً عظيماً عام ١١٧٦ م .

وقد تعرضت القاهرة لغزوات كثيرة ، وعلى الرغم من ذلك احتفظت بطابعها الشرقى الإسلامى على مر الزمن ، فقد هاجمها الصليبيون فى القرن الثانى عشر ، وحكم فيها المماليك من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر ، ثم أعقبهم الأتراك العثمانيون من ١٥١٧ - ١٧٩٨ م ، ثم الفرنسيون ١٧٩٨ - ١٨٠١ م ، ثم البريطانيون ١٨٨٢ - ١٩٣٦ م حيث اجلوا عنها إلى أن تم جلاؤهم عن مصر كلها فى ١٨ يونيو ١٩٥٦ .

وتعد القاهرة أكبر مدينة فى أفريقيا والعالم العربى ، وإحدى أكبر مدن العالم .

أبواب القاهرة

عندما أقام جوهر الصقلى القاهرة أحاطها بسور يرسم مستطيلاً غير منتظم الأضلاع ، وكان مبنياً من كتل ضخمة ، وكان عرض الجدران يزيد قليلاً عن مترين ، وكان غرض جوهر من إقامة هذا السور حول المدينة حمايتها من هجمات أعداء الفاطميين وخاصة القرامطة وأعوانهم من الأخشيدين .

وقد فتح جوهر الصقلى ثمانية أبواب فى السور وجعل فى كل ضلع من أضلاعه بابين :

ففى الضلع الشمالى يوجد باب الفتوح ، وكان يقع بالقرب من الركن الجنوبى الغربى لمسجد الحاكم ، وباب النصر وكان يقع عند امتداد شارع بين السيارج والتقائه بشارع باب النصر .

وفى الضلع الشرقى كان يوجد باب البرقية ، وكان موقعه تحت تلال البرقية المقابلة لشارع الدراسة ، وينسب إلى جماعة من الجنود أتوا من برقة مع جيش جوهر فى حملته لفتح مصر ، وباب القراطين الذى كان يقع بالقرب من باب المحروق الحالى فى نهاية درب المحروق بقسم الجمالية ، ويقول المقرئى أن الباب المحروق عرف بهذا الاسم لأن المماليك أحرقوه عام ٦٥٢هـ عندما علموا بقتل أميرهم أقطاي ، وكانوا قد حاولوا الخروج منه ليلاً ، وكان مغلقاً كما

هى العادة فى ذلك الوقت فأوقدوا فيه النار حتى سقط من الحريق ، وخرجوا منه ومنذ ذلك الحين عرف باسم الباب المحروق.

وفى الضلع الغربى كان يوجد بابان هما باب سعادة وينسب إلى سعادة بن حيان غلام المعز لدين الله وأحد قواده ، وباب القنطرة وكان يقع على مدخل شارع أمير الجيوش الجوانى ، وقد عرف بهذا الاسم لأن جوهرأ بنى هناك قنطرة فوق الخليج المصرى لكى يمر فوقها الجيش إلى ميناء المقس لرد غارات القرامطة .

وفى الضلع الجنوبى كان يوجد بابا زويلة وهما نسبة إلى قبيلة من البربر بشمال أفريقيا أنضم جنودها إلى جيش جوهر عندما حضر لفتح مصر ، وكان موضع البابين يقع عند مسجد بن البناء وهو الذى يعرف باسم زاوية العقادين بجوار سبيل العقادين بشارع المعز لدين الله ، وسماها العامة زاوية سام بن نوح وقد بنى المسجد المذكور الحاكم بأمر الله ، وقد أزيل بابا زويلة الأصليان وبنى بدر الجمالى بدلاً منهما باب زويلة الكبير القائم إلى اليوم ويسميه العامة بوابة المتولى حيث كان يجلس فى مدخله " حسبة القاهرة " أى متولى تحصيل ضريبة الدخول إلى القاهرة .

وكان أهم الأبواب فى عهد جوهر باب الفتوح فى منتصف الأسوار الشمالية وباب زويلة فى منتصف الأسوار الجنوبية ، وكان يصل بينهما طريق رئيسى يطلق عليه اسم (ما بين القصرين) .

وقد اندثرت بعض أسوار القاهرة وأبوابها ، وبقي منها ثلاثة هى باب زويلة والنصر والفتوح ، وقد أعاد بناؤها بدر الجمالى أمير الجيوش بين عامى ١٠٨٧ م - ١٠٩٢ م ، وكان باب النصر أول باب أقامه بدر الجمالى ، وعليه نقش كتابى منحوت على الحجارة يسجل تلك السنة .

وقد قام صلاح الدين الأيوبي بترميم أسوار القاهرة ، وحاول أن يجعل على القاهرة والفسطاط والقلعة سوراً واحداً ، وزاد بعض القطع فى سور القاهرة ، فزاد القطعة التى من باب القنطرة إلى باب الشعرية ومن باب الشعرية إلى باب البحر ، كما زاد قطعة مما يلى باب النصر إلى باب البرقية والى درب بطوط والى خارج باب الوزير ليتصل بسور القلعة .. وقد توفى صلاح الدين الأيوبي قبل أن يكتمل بناء السور .

وقد أشار كتاب ورحالة أوروبيون من القرنين ١٨ ، ١٩ إلى أن هذه الأبواب لم يروا نظائر لها فى أى مكان إبداعاً وتكاملاً ورسوخاً ، ولا أقدم منها عمراً .

أقدم جامعة دينية فى العالم

عندما أسس جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى مدينة القاهرة عام (٣٥٨ هـ - ٩٦٩ م) بنى الجامع الأزهر ، واستغرق بناؤه حوالى سنتين ، وأقيمت فيه لأول مرة الصلاة فى (٧ رمضان ٣٦١ هـ - ٢٢ يونيو ٩٧٢ م) واكتسب هذا المسجد شهرة واسعة على مر العصور ، وأصبح أشهر مسجد فى العالم الإسلامى ، وأقدم جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية .

وقد اختلف المؤرخون حول السبب فى إطلاق اسم الأزهر على هذا المسجد ، ففريق منهم يقول أن قصوراً زاهرة كانت تحيط بالمسجد عندما أنشئت مدينة القاهرة ومن ثم سُمى بالأزهر ، وذهب فريق ثانٍ إلى أن سبب تسميته هذا الاسم هو التفاؤل بما يكون له من مكانة سامية بازدهار العلوم فيه ، وفريق ثالث يقرر أنه سُمى بالأزهر نسبة إلى فاطمة الزهراء ابنة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إشادة بذكرها لأن الفاطميين ينتسبون إليها ، ويبدو أن هذا الرأى الأخير هو الأصح .

وقد بدأ الأزهر يكتسب الطابع العلمى بعد ثلاثة أعوام ونصف عام من إنشائه فى رمضان ٣٦٥ هـ - أكتوبر ٩٧٥ م ، وفى عهد الخليفة المعز لدين الله جلس قاضى القضاة أبو الحسن على بن النعمان القيروانى بالجامع الأزهر ،

وقرأ كتاباً يعد مصدراً من مصادر الفقه الشيعي هو كتاب "الاختصار" الذي وضعه والده أبو حنيفة النعمان ، وقد ألقى البحث في جمع حافل من العلماء الذين كتبت أسماؤهم احتفالاً بهذه المناسبة ، وكان المحاضر من أقطاب الشيعة وهو أول من لقب بقاضي القضاة في مصر ، وكانت هذه أول حلقة للدرس بالجامع الأزهر ثم توالى حلقات بنى النعمان بالأزهر ، وكانت حلقاته دينية ذات أهداف سياسية.

وفي بداية عهد الخليفة العزيز بالله حتى الأزهر خطوة هامة في الدراسات الجامعية ، إذ جلس يعقوب بن كلس وزير المعز ثم العزيز ، وقرأ كتاباً ألفه في الفقه الشيعي وسماه (الرسالة العزيرية) ، ثم تطورت الدراسة بالأزهر على يد ابن كلس إذ عين سبعة وثلاثين فقيهاً للقراءة والدرس ، ورتبت لهم الدولة مرتبات شهرية ثابتة وأنشأت لهم داراً للسكن بجوار الأزهر .

وكان الأزهر في العصر الفاطمي عنصراً هاماً من عناصر الحياة الفكرية ، وكانت تعقد فيه إلى جانب الحلقات الدراسية مجالس الحكمة للنساء ، وكان له الطابع الرسمي ففيه كان جلوس القاضي في أيام معينة ، وفيه كان مركز المحتسب العام ، وظل الأزهر يؤدي هذا الدور في ظل الدولة الفاطمية قرابة قرنين من الزمان .

وقد أصبح الأزهر منذ أن تهاوت مراكز الثقافة الإسلامية سواء في بغداد أو في الأندلس في أواخر القرن التاسع الهجري مركز الإشعاع الفكري في العالم الإسلامي وأعظم مركز للدراسات الإسلامية والعربية.

وكانت حلقات العلم التي عقدت بالأزهر منذ البداية تتسم بكثير من سمات الحياة الجامعية كالمناقشات العلمية الحرة التي كانت طابع هذه الحلقات ، والإجازات الدراسية والفخرية ونظام المعيدين والأساتذة الزائرين وغيرها من

مظاهر الحياة العلمية التي عرفها الأزهر منذ قرون وكانت أساساً للنظم والتقاليد الجامعية التي عرفت بعد ذلك في الشرق وفي الغرب ، ومن ثم أعتبر الأزهر أقدم جامعة دينية في العالم.

وفي عهد الأيوبيين لم يفقد الأزهر صفته الجامعية برغم تعطيل صفته كمسجد جامع وإبطال صلاة الجمعة فيه حوالي مائة عام ، وإنما سارت الدراسة به على المنهج الذي كانت تسير عليه في عهد الفاطميين وغلبت عليها الصبغة الدينية واللغوية ، وعلى امتداد عصر المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧ م) اتسعت رسالة الأزهر العلمية تجاه العالم الإسلامي ، فقد شهد هذا العصر انكماشين خطيرين على خريطة العالم الإسلامي نتيجة الزحف المغولي في وسط آسيا وتقلص الحكم الإسلامي في الأندلس ، وكان الأزهر هو الموثل الطبيعي لعلماء الأقطار الذين اضطروا إلى ترك أوطانهم ، وبهم استطاع الأزهر أن يتقدم في رسالته العلمية حتى وصل بهذه الصفوة من علماء المسلمين إلى ذروة مجده العلمي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين ١٤ ، ١٥ الميلاديين .

وتجدر الإشارة إلى دور الأزهر في مجال دراسة ونشر العلوم الطبيعية بمختلف فروعها المعروفة ، فقد اتجه بعض العلماء إلى دراسة الطب والرياضة والفلك والهندسة والجغرافيا والتاريخ ، وظلوا يحرصون على هذه العلوم حتى في أشد عهود التدهور والجمود السياسي والفكري.

وفي ظل الدولة العثمانية ذات الطابع الديني في سياستها مضى الأزهر يؤدي رسالته في المجالين الديني والتعليمي ، وكان يتمتع باستقلال مالي عن الحكومة بفضل حصيلة الأوقاف مما أتاح للعلماء حرية مطلقة في اختيار الدراسات والبحوث والكتب التي تستخدم في التعليم بالأزهر ، وبذلك كانت الحرية بأوسع معانيها هي الطابع الذي ميز الأزهر أثناء الحكم العثماني مما

أضفى عليه شخصية مستقلة لها كيانها واحترامها وجعل منه مركزاً إسلامياً عربياً قائداً للفكر الإسلامى ، يجتذب إليه كبار العلماء الذين تصدروا الحلقات الدراسية به كما اجتذب الأزهر كثيراً من طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامى .. ومما هو جدير بالذكر أن العثمانيين لم يعينوا أى عالم عثمانى فى منصب شيخ الأزهر طوال الحكم العثمانى ، بل تركوا هذا المنصب الرفيع يشغله العلماء المصريون.

وعندما تعرضت مصر للغزو الفرنسى ١٧٩٨ م ، نظر بونابرت إليه على أساس أنه أشهر جامعة فى العالم الإسلامى ، وقرر فى مذكراته التى كتبها فى منفاه بجزيرة سانت هيلانة (أن الأزهر يقابل جامعة السربون فى باريس) ونظر إلى علماء الأزهر نظرة إجلال واحترام على أساس أن لهم صفتين الأولى أنهم الصفوة الممتازة من الطبقة المستنيرة فى البلاد والثانية أنهم زعماء الشعب .. وفى اليوم الأول لدخوله القاهرة كون بونابرت ديواناً لحكم العاصمة من تسعة أعضاء جميعهم من كبار شيوخ الأزهر برئاسة الشيخ عبد الله الشرفاوى شيخ الأزهر ، وكان تشكيل الديوان على هذا النحو دليلاً على أهمية الجامع الأزهر ومكانة علمائه واعترافاً بزعامته.

ومع ذلك كان الجامع الأزهر ملتقى المعارضين للاحتلال الفرنسى ومركزاً للثورة ، ولذلك فقد تألفت لجنة من رجاله لتحريكها برئاسة الشيخ محمد السادات .. وعندما اندلعت ثورة القاهرة ضد الفرنسيين رأى شيخ الأزهر وكبار العلماء أن استمرار الدراسة متعذر فى مثل هذا الجو وأن من الأفضل إغلاق الجامع نهائياً .. ولما تم إجلاء الفرنسيين عن مصر بعد احتلال دام ثلاثة أعوام عادت الحياة إلى الأزهر وفتحت أبوابه واستقبل طلابه وعلماءه.

ولما تولى محمد على حكم مصر عام ١٨٠٥ م واتجه إلى إقامة الدولة

الحديثة بدأ اتجاهه الجديد بالاعتماد على الأزهر ، فقد كان أعضاء البعثات العلمية التي أوفدها محمد على إلى أوروبا من رجال الأزهر ، وكان نتيجة ذلك أن قامت النهضة العلمية الحديثة في مصر على يد هذه الطليعة من الأزهريين .

ولما قامت الثورة العرابية كان كثير من زعمائها المفكرين من علماء الأزهر وطلابه ، وكان زعيم الثورة العرابية ممن تلقوا العلم في الأزهر ، وبرز من صفوف الأزهر في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين رجال تزعموا الحياة السياسية والفكرية في مصر مثل محمد عبده والمنفلوطي وسعد زغلول الذي قاد ثورة ١٩١٩ ضد الاحتلال الإنجليزي ، وقد قام أساتذة الأزهر وطلابه بإنكاء روح الثورة ، وكان أبرز ما حدث في هذا الدور اجتماع العلماء المسلمين والقساوسة الأقباط في أروقتة ، وكان المسلمون والأقباط يتناوبون الخطابة من منبر الأزهر .

ومن الجدير بالذكر أن أول قانون نظامي للأزهر صدر عام ١٨٧٢ م لرسم كيفية الحصول على الشهادة العالمية وحدد موادها ، وفي عام ١٩٣٠ صدر القانون الثاني الذي ينظم الدراسة في الأزهر معاهده وكلياته ، وفي ١٩٦١ صدر قانون تطوير الأزهر وبمقتضاه قامت في رحابه جامعة الأزهر .. وقد كان الأزهر هو واضع اللبنة الأولى للإسكان الطلابي في العالم حيث استمر طوال العصور المختلفة معهداً يأتيه الطلاب من كل صوب من أنحاء العالم الإسلامي ، وكان لكل طائفة " رواق " يعرفون به في الجامع الأزهر ، وبمرور الأيام أصبحت لا تفي بالغرض فأنشأت الحكومة المصرية عام ١٩٥٩ مدينة ناصر للبعوث الإسلامية لتستقبل الوافدين من دول آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا .

كما يذكر أن الشيخ محمد عبد الله الخراشي هو أول شيوخ الأزهر ..

وقد ولد بقريّة " أبو خراش " بشبراخيت بمحافظة البحيرة عام ١٦٠١ م ،
وتخرج على يديه علماء كثيرون جاوزوا المائة من أعلام عصره وقد تولى
بعضهم مشيخة الأزهر ، وكان متواضعاً يذهب إلى السوق ويحمل حاجياته
بنفسه ، وكان واسع الثقافة خاصة فيما يتعلق بعلوم التفسير والفقّه على مذهب
الإمام مالك .. وقد توفي عام ١٦٩٠ م .. وقبله لم تكن مشيخة الأزهر منصباً
رسمياً بل كان السلاطين والأمراء يشرفون على الأزهر ويديرون شئونه.

مصر تهدي العالم لعبة التنس

يقول المؤرخ مالكوم وايتمان الإنجليزي أن اسم لعبة التنس مأخوذ من اسم مدينة مصرية اسمها (تنيس) كانت مشهورة بصناعة قماش خاص ، وعندما جاء الصليبيون نزل بعضهم في هذه المدينة ووجدوا أطفالها يلعبون رياضة يستعملون فيها كرة قماشية مصنوعة في مدينة تنيس ، ونقلوا الكرة القماشية إلى أوروبا وسموها تنس بول أى كرة مدينة تنيس كما نقل اسم المضرب من المصريين وسمى (راهات) وهى تعنى بالعربية لحف النخيل .

ويعد الاتحاد المصرى للتنس من أقدم الاتحادات فى العالم حيث تأسس عام ١٩٢٣ ، ورغم ذلك فقد بدأ التنس فى مصر قبل هذا التاريخ بسنوات فبدأت بطولة مصر الدولية عام ١٩٠٧ وهى بذلك تعتبر أقدم البطولات العالمية فى الفردى بعد البطولات الأربع الكبرى وهى ويمبلدون بإنجلترا التى تأسست عام ١٨٧٧ ، وفلاشينج ميدو بأمريكا ١٨٨١ ، ورولان جاروس بفرنسا ١٨٩١ ، وأستراليا ١٩٠٥ .. وعبر تاريخها الطويل لم تتوقف بطولة مصر الدولية سوى ثلاث مرات فقط الأولى فى الفترة من ١٩١٥ إلى ١٩١٨ بسبب الحرب العالمية الأولى ، والثانية من عام ١٩٤٠ إلى ١٩٤٥ بسبب الحرب العالمية الثانية ، والثالثة عام ١٩٨٦ بسبب أحداث الأمن المركزى والتى أدت إلى إلغائها بعد

دورها التمهيدى .. وقد حصل لاعبو مصر على بطولة مصر الدولية أربع مرات عبر تاريخها وحصل عليها عدلى الشافعى ١٩٤٦ وإسماعيل الشافعى أعوام ١٩٦٩ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ .

ويعد إسماعيل الشافعى أبرز لاعبى التنس فى مصر الذى استطاع أن يهزم البطل السويدى الأسطورة بيورن بورج فى بطولة ويمبلدون للناشئين وأن يبقى لفترة طويلة بين أفضل عشرة لاعبين فى العالم .. وهو أول عربى يفوز ببطولة ويمبلدون للناشئين .

أما أول بطولة للفرق فى العالم وهى بطولة كأس ديفيز الذى تأسس عام ١٩٠٠ فقد بدأ اشترك مصر فيها عام ١٩٢٩ وحققت مصر عام ١٩٨٥ أفضل إنجازاتها فى البطولة حيث وصلت إلى الدور قبل النهائى بعد فوزها على المجر .

قلعة الجبل

هى القلعة التى بناها صلاح الدين الأيوبي فى الطرف الشمالى من جبل المقطم لتكون مقراً لحكومته ومعقلاً لجيشه الكبير ، ونقطة دفاعية يصد منها غارات المعتدين على مصر .. ويذكر أنه سبق لملوك مصر فى العصر الفرعونى وفى العصر الرومانى وفى العصر الإسلامى أن أقاموا فوق هذه الصخرة وفوق ما يقابلها من جبل المقطم تحصينات قوية للدفاع عن المنطقة التى تحيط بها.

وقد بدأ فى بناء القلعة عام ١١٧٦ م ، وتوفى صلاح الدين قبل إتمام البناء ، وتمت فى عهد الملك الكامل عام ١٢٠٨م .. وقد عهد صلاح الدين ببناء تلك القلعة إلى وزيره بهاء الدين قراقوش الذى اشتهر بالشدة والصرامة ، ولم يبق من منشآت صلاح الدين بالقلعة سوى بعض أجزاء السور والأبواب نظراً للتعديلات الكثيرة التى أدخلت عليها.

وكان لهذه القلعة سور وأبراج وثلاثة أبواب ، وصارت القلعة منذ أن تم بناؤها مقراً للدواوين السلطانية ودور الحكومة .. وكانت تشتمل على كثير من القصور والمساجد والمدارس والحمامات ، وكان بها دار الوزراء وديوان الإنشاء وديوان الجيش ودار النيابة وبيت المال وخزانة السلطان الخاصة والدور

السلطانية ، والجب والأبراج التى كان يحبس بها الأمراء والمماليك الخارجون على السلطان .

غير أن القلعة لم تظل على وضعها الذى كانت عليه فى عهد الدولة الأيوبية ، فقد أدخلت عليها تغييرات فى عهد المماليك وفى أيام محمد على حتى أخذت شكلها الحالى الذى نراه عليها الآن .. فقد أصلح جانباً كبيراً من سورها وأبراجها وأبوابها وأنشأ جامع محمد على وقصر الجوهرة ودار المحفوظات والمقابل للباب الجديد الذى أنشئ عام ١٨٢٥ م .

وأقيم بالقلعة قصر ضخم يسمى بقصر الحريم ويشرف على جبل المقطم والحطابة ، ويرجع عهده إلى عام ١٨٢٧ م حيث أقيم لتسكنه نساء محمد على ، ويتألف هذا القصر من ثلاثة أجنحة يشغل المتحف الحربى الآن الجناح الأوسط ومعظم الجناح الشرقى .

وقد اتخذت القلعة مقراً للملك وأقام بها ملوك مصر حتى عصر الخديو إسماعيل ، ثم نقل مقر الملك إلى عابدين منذ عام ١٨٧٤ م ، وفى عام ١٨٨٢ م احتل الإنجليز القلعة وأصبحت تقيم بها حامية من جنودهم .

وكان قصر الجوهرة بالقلعة والذى يعتبر تحفة فنية رائعة هو المقر الرسمى للحكومة منذ إنشائه عام ١٨١١ م ومكاناً لاستقبال السفراء الأجانب ، ويعتبر أقدم قصر رسمى لحكام مصر السابقين .

مصر تكسو الكعبة المشرفة

حتى عام ١٩٦٢

حتى عام ١٩٦٢ م كانت كسوة الكعبة المشرفة ومحملها من أهم معالم رحلة الحج المصرية منذ بدء رحلات الحج .. وكانت السلطنة شجر الدر أول ملكة مصرية كست الكعبة المشرفة ، وذلك عندما ذهبت لأداء فريضة الحج عام ١٢٥٠ م وهو العام الذى بدأ فيه الاحتفال بالمحمل السلطاني ، وتولت مصر منذ ذلك الحين الصرف على تكاليف تطريز الكسوة السنوية للكعبة حتى عام ١٩٦٢م حيث أنشأت المملكة العربية السعودية مصنعاً خاصاً لذلك.

وكسوة الكعبة المشرفة كما تؤكد الدراسات التاريخية ، كانت من أهم الأعمال التي قام بها المصريون حتى قبل الإسلام وقبل الفتح الإسلامي لمصر ، نظراً لشهرة مصر فى صناعة النسيج الذى عرف عبر التاريخ بالنسيج (القطبى) أى مصرى ، ويطلق عليه دائماً نسيج (القبطيات) وهو نسيج مشهور ، بل مستمر فى شهرته حتى الآن تحت مسميات أخرى ، وقد يستغريها البعض ، لأن طريقة النسيج المصرية القديمة والمتوارثة عن الفراعنة هى التي اخذها الفرنسيون و نفذوا بها نوعين شهيرين من النسيج هما (الجوبلان) و(الإبيسون).

وقد بدأ تنفيذ كسوة الكعبة بعد محمل شجرة الدر فى قصر السلطان وأشهرهم قصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى القلعة ، ثم انتقلت ورشة

تطريز الكسوة بعد ذلك إلى بيت أيوب جاويش بجوار مسجد السيدة زينب ثم انتقلت إلى حارة المقاصيص ، وكان لها وقف عبارة عن أرضى ثلاث قرى هي بيسوس وسندبس وأبى الغيط للصرف على الكسوة ، حتى جاء محمد على ، وحل الوقف ، وأمر أن تتولى الحكومة الإنفاق على تنفيذ الكسوة ونقل تصنيعها إلى درب الخرنفش بباب الشعرية فى قصر أحد الأمراء من أقاربه ، وأنشأ قاعات القصبجية الذين يقومون بحياكة وتطريز الكسوة ، وورشاً لسحب خيوط الذهب والفضة المستخدمة فى الزينة ، وقد نظم العمل فى دار الكسوة على مدى أحد عشر شهراً تبدأ من عيد الأضحى وتنتهى ببداية احتفالات المحمل.

وفور انتهاء تطريز الكسوة وإتمام استعدادها تخرج فى محمل بهيج ينتظره الناس ، وقيل أن بعض الأعيان كانوا يستأجرون منازل على مساراته لا يدخلونها إلا يوم المحمل لمشاهدته ويتركونها فى باقى العام.

ويدور محمل الكسوة فى القاهرة مرتين الأولى بعد منتصف شهر رجب، ويكون دورانه فى يوم الاثنين أو الخميس ، ويظل المحمل فى ليلة الدوران داخل باب النصر بالقرب من باب جامع الحاكم ، وكان هو الباب الرسمى للدخول والخروج من القاهرة ويحمل فى الصباح ليسيير تحت القلعة ، ثم يتجه إلى الفسطاط فى مصر القديمة ، ثم يعود إلى القلعة مرة أخرى ثم يحمل إلى جامع الحاكم ليبقى هناك حتى شهر شوال .

والدورة الثانية تكون فى نصف شهر شوال ليقوم بنفس الدورة ، ولكنه يعود من القلعة إلى باب النصر دون الذهاب إلى الفسطاط ، ومن باب النصر إلى الريدانية (العباسية) ليأخذ طريق السفر للحجاز .. وقد استبدل فى فترات تاريخية حديثة مسجد الإمام الحسين لبقاء المحمل بدلاً من جامع الحاكم ليعرض خلال هذه الفترة على الناس .

المعركة التي أنقذت العالم من الدمار

فى النصف الأول من القرن الثالث عشر خرجت من قلب القارة الآسيوية جيوش ضخمة من التتار الذين نجح جنكيز خان فى توحيد قبائلهم بعد حرب متواصلة ، ومن ثم انطلقت تلك الموجات البشرية ، المخربة خارج حدودها واكتسحت ببشاعة ما صادف طريقها ، ودمرت وخربت وقتلت مئات الألوف من البشر .. وغزوا تركستان وما وراء النهر وإيران ، وسقطت بغداد فى أيديهم واتخذوا طريقهم إلى حلب واحتلوها عام ١٢٦٠م ، وأسرعت دمشق وغيرها إلى الاستسلام لهولاكو ، وبذلك خضعت سوريا لسيطرة التتار ولم يبق خارجاً عن حكمهم فى الجانب الشرقى العربى إلا مصر والحجاز واليمن .

فى هذه الفترة كانت الدولة الأيوبية قد انتهت ، ودخلت مصر فى حوزة مماليك هذه الدولة الذين سموا بالمماليك البحرية ، وكان أول هؤلاء السلطان عز الدين أيبك التركمانى الذى تولى حكم مصر عام ١٢٥٠م ، وتزوج شجرة الدر ، ولما قتل تولى الملك بعده ابنه على ولقب بالملك المنصور ، وهو صبى لا يزيد عمره عن احدى عشر عاماً فقام بأمر الدولة الأمير سيف الدين قطز ، وقد وقعت فى عام ١٢٥٨م كارثة سقوط بغداد فى يد التتار ، وزالت الخلافة العربية ، فخلع قطز الملك الصغير وتولى هو الملك عام ١٢٥٩م ولقب بالملك المظفر .

وقد واجه قطز منذ بدء حكمه تهديد التتار لمصر ، إذ أنهم بعد أن استولوا على بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم استولوا على سوريا بأسرها ، وتقدموا نحو غزة يخربون وينهبون ويدمرون كل ما يقع في طريقهم.

وأرسل هولالكو رسله إلى قطز يحملون إنذاراً له بالخضوع والتسليم في خطاب شديد اللهجة جاء فيه " يعلم الملك المظفر قطز وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال ، أنا نحن جند الله في أرضه . خلقنا من سخطه ، وسلطنا على من حل به غضبه ، فلکم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم وأسلموا إلينا أمرکم ، قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا ويعود عليكم الخطأ .. فنحن لا نرحم من بكى ولا نرق لمن شكأ ، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد وطهرنا الأرض من الفساد وقتلنا معظم العباد ، فعليكم بالهرب وعلينا الطلب ، فأى أرض تؤويكم وأى طريق تتجيكم وأى بلاد تحميكم .. فما لكم من سيوفنا خلاص ولا من مهابتنا مناص .. سيوفنا صواعق وددنا كالرمال ، فالحصون لدينا لا تمنع والعساكر لقتالنا لا تتفع ودعاؤكم علينا لا يسمع .. فقد أنصفناكم إذ راسلناكم وأيقظناكم إذ حذرناكم " .

وكان رد قطز أن قطع رؤوس رسل هولالكو وعلقها على باب زويلة ، وجمع جيش مصر وزحف إلى العريش ثم بلغ حدود فلسطين قبل أن يجمع التتار قواتهم ، وكان يعسكر معظمها في سهل البقاع بين جبال لبنان ودمشق بقيادة قائدهم الكبير " كتبغا نوين " .

وارتفعت الروح المعنوية عندما تمكن الظاهر بيبرس (وكان في ذلك الوقت أحد قواد قطز) بطليعة الجيش من طرد حامية المغول من غزة .. وزحفت الجيوش المصرية حتى وصلت وعسكرت بالقرب من شرق عكا .

وفي عين جالوت التي تقع بوادي جالوت غرب بحيرة طبرية المطلية

على وادى نهر الأردن النقى جيشا مصر والمغول يوم الجمعة ٣ سبتمبر ١٢٦٠م .. اقبل كتبغا معتمداً على قوته ، وكان قطز قد عبأ الجيش فى كمين ، ثم امتطى جواده وثبت مع نفر قليل من شجعان الفرسان ، وقابل كتبغا مع عدة آلاف من الفرسان ، وقذف التتار سهامهم وحملوا على المصريين فتراجع قطز ، وتعبه التتار ، وعندما بلغوا الكمين انقض المصريون من ثلاث جهات على جنود المغول ، وقاتلوهم قتالاً مستميتاً من الفجر حتى منتصف الليل ، ثم تعذرت المقاومة على جيش المغول ولحقت بهم الهزيمة آخر الأمر ، وظل كتبغا يكافح بشدة إلى أن كبا جواده فأسر وحمل مكبلاً إلى قطز ، وحكم عليه بالموت.

وسرعان ما أخلى التتار دمشق وحلب وغيرهما من المدن السورية ، ولادوا فارين معتمدين بقمم الجبال ، وطاردهم المصريون وأفنوا أعداداً كبيرة منهم ، وهرب من سلم منهم إلى الشرق ، ولم تكن تلك الهزيمة هى الأخيرة للمغول على يد المصريين بل لقد اصطدمت بهم جحافل المماليك فى معارك شتى وهزمتهم .

إن موقعة عين جالوت أنقذت العالم المتحضر كله من الدمار ، إذ كانت أول هزيمة تحل بالمغول لأول مرة فى تاريخهم ، مما كان سبباً فى زوال ذلك الاعتقاد الخاطئ بأن التتار لا يقهرون ، ولم تقم لهم بعد هذه المعركة قائمة .. ولو انتصر التتار فى ذلك اليوم لفعلوا بمصر كما فعلوا فى البلاد الأخرى ، ولتغير التاريخ .

وقد قدم إلى مصر فى أوائل عصر السلطان الظاهر بيبرس طائفة من التتار واعتنقوا الدين الإسلامى ، وازداد عددهم فى عهد السلطان العادل ، واتخذوا حى الحسينية مقراً لهم.

خان الخليلي

يقع إلى جوار المكان الذي كان يشغله القصر الشرقي الكبير الذي أنشأه " جواهر القائد " وهو يشغل المكان الذي أعد فيه جواهر القائد المقبرة التي أنشأها لتضم رفات سلاطين الفاطميين وأسلاف المعز وخلفائه ، وسميت " تربة الزعفران " .

وقد سمي بخان الخليلي نسبة إلى الأمير جهاركس الخليلي ، الذي نبش قبور المقبرة وجمع عظامها وألقاها على التلال خارج القاهرة بدعوى أن الفاطميين كانوا كفاراً لا يستحقون الاحترام .. وبالرغم من هذا الاعتداء على رفات الموتى وعدم احترام ما في القبور ، فإنه وقف الخان وغيره من عقارات وجعل ريعها خبزاً يوزع على فقراء مكة المكرمة ، وفي عام ١٤٠٤ م استبدل الخبز نقوداً .

ومما يذكر أن هذا الأمير قتل بدمشق عام ١٣٨٩ م وتركت جنته عارية في الفضاء تنهشها الوحوش .

وفي عام ١٥١١م هدم السلطان الغوري خان الخليلي ، وأنشأ مكانه محلات ووكالات يتم الوصول إليها من ثلاث بوابات ، إثنان متقابلتان وتنتهيان

من أعلى بمقرنصات وزخارف غاية في الإبداع ، والثالثة في الطرف الغربي المؤدى إلى المشهد الحسينى .

ويتمتع خان الخليلى بشهرة سياحية عالمية ، ويقصده السائحون من جميع أنحاء العالم ، لاقتناء ما يباع فيه من تحف ذهبية ونحاسية وأقمشة شرقية ومصنوعات شرقية من العاج والصدف والرخام.

أول دولة عربية عرفت الصحافة

تعتبر مصر أول بلد عربي عرف الصحافة ، فعندما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨ م أحضرت معها مطبعتين واحدة بحروف لاتينية والثانية بحروف عربية ، وأصدرت صحيفتين فرنسيّتين هما " لوكوربيه دي ليجبت " أي " بريد مصر " وصدر العدد الأول منها في ٢٩ أغسطس ١٧٩٨ ، وكانت هذه الصحيفة شبه رسمية ، تصدر لجنود الحملة الفرنسية وتتضمن مواداً إعلامية تعمل على التخفيف من وحشة اغتصاب الجنود ، ورفع روحهم المعنوية، والثانية صحيفة " لاديكاد ايجيبسين " أي " العشرية المصرية " لأن علماء الحملة كانوا يعتزمون إصدارها كل عشرة أيام ، وقد تخصصت في معالجة المواد العلمية والأدبية والقانونية دون السياسية ، وكان في نيتهم إصدار صحيفة عربية باسم " التنبيه " ولكن تخرج موقفهم في مصر حال دون ذلك .

ولما رحلت الحملة أخذت معها المطابع والحروف ، وظلت مصر دون مطابع حتى عام ١٨١٩ حين أسس محمد علي والي مصر مطبعة بولاق ، وفي عام ١٨٢٧ أصدر محمد علي أمره بإصدار " جرنال الخديو " وقد كان في الواقع يهدف إلى إصدار نشرة خاصة لاطلاعه هو نفسه ونفر من خاصته على شئون البلاد وماليّتها ، ولكنه لم يلبث أن لمس حاجة الشعب إلى الاطلاع على

أعمال الحكومة فأمر بتوسيع نطاق جرنال الخديو .. الذى تحول إلى صحيفة الوقائع المصرية وهى الجريدة الرسمية الأولى فى مصر والبلاد العربية ، وقد صدر العدد الأول منها فى نهاية ١٨٢٨ ، وكانت تصدر بالعربية والتركية فى البداية ثم اقتصرت على العربية بعد ذلك .

وأول صحيفة يصدرها فرد فى مصر كانت صحيفة فرنسية اسمها "لومونيتور إجيبسيان " أى " الرائد المصرى " أصدرها رجل فرنسى " كامى تورل " عام ١٨٣٣ بتشجيع من محمد على الذى جعلها جهازاً من أجهزة الدعاية له .. أما أول صحيفة يصدرها مواطن مصرى فكانت " وادى النيل " وأصدرها عبد الله أبو السعود عام ١٨٦٧ .

وفى عام ١٨٦٥ أصدر د. محمد على البقلى باشا وإبراهيم الدسوقي مجلة " يعسوب " وهى أول مجلة طبية فى الوطن العربى وصدرت فى السنة نفسها " الجريدة العسكرية المصرية " حيث لم تستطع الوقائع المصرية وحدها أن تتفرد بنشر التفاصيل التى تتصل بهذا الجيش .

وتوالى بعد ذلك إصدار الصحف والمجلات وأبرزها "روضة المدارس" عام ١٨٧٠ وكان يديرها رفاعة رافع الطهطاوى ، وكان لروضة المدارس طابعها الثقافى المتميز ، فقد كانت صحيفة ديوان المدارس ، وكانت توزع على التلاميذ مجاناً ، كما كانت محفلاً لكل كتاب العصر وعلمائه .

وفى عام ١٨٧٦ أصدر اللبنانيان سليم وبشارة ت كلا جريدة الأهرام فى الإسكندرية ثم نقلت عام ١٨٩٨ إلى القاهرة حيث بلغت فى فترة قصيرة من الزمن شأناً بعيداً من التقدم والانتشار وكانت أسبوعية ثم أصبحت يومية ، وكانت أول صحيفة عربية تستخدم آلات الجمع السطرى العربى .

وأول صحيفة كاريكاتورية فى العالم العربى هى " أبو نظارة " ليعقوب

صنوع وصدرت عام ١٨٧٧ ، وقد صادرت الحكومة جريدته لظوه فى النقد والتجريح ضد رجال الدولة وللمسياسيين الأجانب وفتته إلى باريس ، وهناك استأنف إصدارها تحت أسماء " أبو زمارة " و " أبو صفارة " و " الحاوى " وذلك لتقلت من الرقابة.

وفى عام ١٨٨١ صدر أول قانون للمطبوعات فى مصر ، وكان أول تشريع يحدد واجباتها ويقيّد حقوقها ، وقد اشتمل على ٢٣ مادة كان أهمها إيداع مبلغ (١٠٠ جنيه) مقابل الحصول على الترخيص ، وكان من حق الحكومة الامتناع عن إعطاء الترخيص أو نزع الترخيص فى أى وقت تشاء كذلك حرمت ورود الصحف من الخارج .

وبدأت الصحافة بعد الاحتلال البريطانى لمصر مرحلة جديدة حيث رأت سلطات الاحتلال ألا تقف دون حرية الصحافة ، فألغت العمل بقانون المطبوعات حيث كان الإنجليز فى أمان بعد النكسة التى أصابت الثورة العربية وإحساس المصريين بالإحباط ، ولما اشتدت الحركة الوطنية مرة أخرى أحييت قانون المطبوعات وحالت دون دخول مجلة العروة الوثقى التى يصدرها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى باريس عام ١٨٨٤ .

وفى عام ١٨٨٦ صدرت فى أسيوط أول صحيفة محلية فى مصر وهى صحيفة " النزهة " وأصدرها جورجى خياط وخليل إبراهيم ويوسف تادرس وهى نبذة نصف شهرية ثم تحولت بعد ذلك إلى أسبوعية .

وظهرت فى هذه الفترة صحف تدافع عن حقوق الباب العالى فى مصر ، وصحف تدافع عن مصالح فرنسا فيها وأخرى تدافع عن الإنجليز ، غير أن الوطنيين لم يلبثوا أن انشأوا صحيفة المؤيد عام ١٨٨٩ م وكان صاحبها الشيخ على يوسف ، وكان لها مراسلون فى عدد من عواصم الشرق والغرب وكانت

أول صحيفة في مصر تستخدم طباعة روتاتيف (دوراة) وذلك عام ١٩٠٦ ..
وفي عام ١٨٩٢ وبعد أن عاد عبد الله النديم إلى مصر أصدر مجلته الأسبوعية
" الأستاذ " فتم نفيه من مصر فنزح إلى يافا ، بعد أن أغلق صحيفته وودع
قراءه .. وفي عام ١٩٠٠ أصدر مصطفى كامل " اللواء " .

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى وتفجرت ثورة ١٩١٩ صدرت
الصحف الحزبية فكان لحزب الاتحاد الموالي للسراى صحيفة الاتحاد ولحزب
الوفد عدة صحف أهمها " البلاغ " و " كوكب الشرق " و " الجهاد " و
" روزاليوسف " و " المصري " ، ولحزب الأحرار الدستوريين " السياسة " وعندما
انشق احمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى عن الوفد وكونا الهيئة السعدية أصدرنا
صحيفة " الدستور " و " الأساس " وأصدر الحزب الوطنى " العلم المصرى "
و "الدفاع الوطنى" وأصدر حزب الشعب صحيفة " الشعب " وجماعة مصر الفتاة
" الصرخة " ولما تحولت إلى حزب أصدرت صحيفة "مصر الفتاة" وأصدر
الأخوان المسلمون جريدة " الأخوان المسلمين " وأصدرت الكتلة الوفدية
" الكتلة " .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية كانت صحف قديمة قد اختفت
وظهرت صحف جديدة كان أبرزها " أخبار اليوم " لمصطفى أمين وعلى أمين
عام ١٩٤٤ ، وبعد ثورة ١٩٥٢ توقفت صحف كثيرة عن الصدور لإلغاء
الأحزاب ، وأصدرت الثورة بعض الصحف والمجلات منها الجمهورية ومجلة
التحرير .. وتمهيداً للقوانين الاشتراكية التى صدرت فى يوليو ١٩٦١ صدر فى
٢٤ مايو ١٩٦٠ قانون تنظيم الصحافة نقلت بمقتضاه ملكية دور صحف
"الأهرام" و " الهلال " و " روزاليوسف " و " أخبار اليوم " إلى الاتحاد القومى
الذى حل محله بعد ذلك الاتحاد الاشتراكى .

ولما صدر قانون الأحزاب عام ١٩٧٣ وقامت الأحزاب التي سمح القانون بقيامها أصدرت صحفاً أسبوعية وكان أهمها " مايو" والتي تحول اسمها بعد ذلك إلى " الوطني اليوم " عن الحزب الوطني الديموقراطي و"الأحرار" عن حزب الأحرار و " الأهالي " عن حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوى و"الشعب" عن حزب العمل الاشتراكي و " الوفد " عن حزب الوفد الجديد ، ثم تتابع إصدار الأحزاب التالية صحفاً لها.

الحجر الذى وضع أساس علم الآثار المصرية

حجر رشيد .. ففى أثناء الحملة الفرنسية على مصر وفى أغسطس ١٧٩٩ م عثر الضابط الفرنسى "بيير فرانسوا بوشارد" بالصدفة على حجر من البازلت فى حائط لقلعة جوليان برشيد عندما كان جنود الحملة يحفرون الخنادق بالقرب من مصب نهر النيل برشيد .. ولذلك عرف بحجر رشيد .. ويبلغ ارتفاعه ١١٣سم وعرضه ٧٥سم وسمكه ٢٧ سم .

وكان الغرض من الحجر أن يكون وثيقة عامة وأثراً يسجل عليه الكهنة المصريون الشكر لبطليموس لأنه عمل على إراحتهم من الضرائب وكان ذلك عام ١٩٦ ق.م ويحتوى الحجر على ثلاث كتابات ، هى الهيروغليفية للكهنة ، والديموطيقية للعامة ، واليونانية لليونانيين الموجودين فى مصر (كان اليونانيون يحكمون مصر فى ذلك الوقت) .. ثم سقط الحجر ودفن بين الأطلال حتى تم اكتشافه.

وترجع أهمية حجر رشيد إلى أنه كان الأداة التى استطاع بها جين شامبليون فى عام ١٨٢٢ أن يحل رموز الكتابة المصرية مما وضع الأساس للعلم المعروف " بعلم الآثار المصرية " وفتح مجالاً واسعاً للبحث فى هذا الميدان ، وكانت الطريقة التى تمكن بها شامبليون من حل رموز الكتابة

المصرية القديمة هي أنه أكتشف أن الاسمين بطليموس وكليوباترا مكتوبان بالأحرف الهيروغليفية والحروف اليونانية على الأثر نفسه ، فاستطاع بذلك تحديد أصوات اثني عشر رمزاً من الرموز المستعملة في كتابة هذين الاسمين ، وأثبت أنها حروف هجائية ، وحينئذ تمكن شامبليون من قراءة عدة أسماء من أسماء الملوك والملكات ، ولم يكن ليستطيع قبل أن يصل إلى هذه المرحلة الاستفادة من حجر رشيد الذي مكنه من زيادة عدد ما يعرفه من الرموز الهيروغليفية ومن معرفة معانى الكلمات ، وقبل أن يموت عام ١٨٣٢ كان قد وضع مؤلفاً صغيراً في قواعد الهيروغليفية وأعد معجماً صغيراً في هذا المجال .. ويوجد حجر رشيد الآن في المتحف البريطاني بمدينة لندن.

محمد على وحلم مصرى الملامح

مهما قيل فى شخص محمد على ومهما قيل فى عصره ، فإن محمد على هو الذى أدخل مصر والبلاد العربية فى العصور الحديثة ، أنشأ دولة وحكومة ثابتة مستقلة شملت معظم الدول العربية ، وأنشأ من ما يشبه العدم جيشاً ضخماً حديث العدة والإعداد ، وبنى أسطولاً قوياً واجه الدول الكبرى وحقق انتصارات باهرة ، وأصلح الإدارة والاقتصاد ، وضاعف الأراضى المزروعة أكثر من مرتين ، وشيد المستشفيات وشق الترع ، وأدخل مصر والعرب فى عصر التصنيع .

تولى محمد على حكم مصر عام ١٨٠٥ م ، ووجد أن إصلاح أمور الدولة يبدأ بإصلاح الجيش ، وجاءت الفرصة عام ١٨٢٠ بعد أن فرق الجيش القديم فى أماكن بعيدة ، وكانت الخطوة الأولى افتتاح المدرسة الحربية فى أسوان التى زودها محمد على بالضباط والمعلمين ممن تشبعوا بالنظام العسكرى الجديد ، وتم إعداد ألف ضابط فى هذه الكلية خلال ثلاث سنوات شكلوا النواة الأولى للجيش المصرى الحديث .

ثم انطلق محمد على فى مشروعه فأنشأ المستشفى العسكرى الأول ثم مدرسة الطب ثم المدرسة الحربية للمشاة ثم مدرسة أركان الحرب بالخانكة ، وقد دعم محمد على تدريب جيشه بإرسال فرقه إلى ميادين القتال المختلفة فى

الجزيرة العربية والسودان وبلاد اليونان ، وفى مطلع ١٨٢٤ كان قد أنشأ معسكراً كبيراً للجيش فى الخانكة كان يضم ما يقرب من ٢٥ ألف من الجنود النظاميين ، وأرسل عدداً من المصريين إلى أوروبا لإكمال دراستهم الحربية ليحلوا محل المدربين الأجانب ، وتوسع فى إنشاء المدارس العسكرية وترجمة الأنظمة العسكرية الفرنسية إلى اللغة العربية ، وكانت كافة تنظيمات الجيش المصرى مماثلة لجيش نابليون تماماً .

ثم أنشأ أول الترسانات العسكرية فى القلعة لتزويد الجيش بالأسلحة ، ثم أنشأ إلى جانبها مصانع أخرى ، مثل مصنع البنادق فى الحوض المرصود ومصنع البارود بجزيرة الروضة ، وفى عام ١٨٣٩ بلغ التعداد العام للجيش المصرى ما يقرب من ربع مليون جندى ، وهو رقم عظيم للغاية بالقياس إلى جيوش الدول العظمى فى ذلك الزمان .

وقد اهتم محمد على بالأسطول البحرى فبدأ فى تشكيل نواته عام ١٨١٠ عندما أنشأ ترسانة بولاق ، وظل يعتمد على شراء بعض السفن الحربية من أوروبا حتى حدثت موقعة نافارين الشهيرة ، وقرر محمد على بعدها تشييد أسطول جديد بأيدٍ مصرية حتى لا يكون أسطوله رهن الإرادة الأوربية ، فبدأ العمل فى إنشاء ترسانة الإسكندرية عام ١٨٢٩ وما هى إلا سنوات حتى كان لمصر أسطول بحرى قوى وكانت ترسانة الإسكندرية واحدة من أعظم المنشآت الحربية .

ورأى محمد على أن بناء الجيش الحديث لا يكون دون اقتصاد قوى فأنشأ عدة مصانع لصب الحديد وغيره من المعادن ، ومصانع لجميع أنواع الأقمشة ، وتطورت فى عهده صناعة الغزل والنسيج تطوراً ملحوظاً ، وبعد أن كانت لوازم المصانع تستورد من الخارج أصبحت تصنع محلياً ، وأدخلت

الآلات البخارية فى المصانع ، وأرسل بعثات من العمال الفنيين للاطلاع على أحوال الصناعة فى أوربا واكتساب المهارات ، ولتطوير صناعة الحرير عنيت الدولة بغرس أشجار التوت وتطوير مصانع الصباغة والألوان .. واهتمت الدولة بتطوير صناعة سبك الحديد وألواح النحاس والمواد الغذائية ، والعناية بزراعة قصب السكر وتصنيعه .

ومع ازدهار الصناعة اتسع نطاق التجارة وازداد حجم الصادرات ولاسيما من القطن ، وقد وفر ذلك الاعتمادات اللازمة لتطوير الصناعة وبناء الدولة، وقد ساعد الأسطول التجارى الذى أنشأته السلطات المصرية إلى جانب الأسطول الحربى فى توسيع رقعة التجارة حتى بلغ مجملها خمسة ملايين جنيه سنوياً ، وقد اقتضى ذلك تطهير البحر الأحمر وجميع خطوط المواصلات البحرية من القراصنة ، كما اقتضى ذلك العناية بالطرق الداخلية ، وكان من نتائج ازدهار الصناعة والتجارة أن قامت الحكومة ببناء القناطر ، وشق الطرق، وتشيد المستشفيات ، وبناء المدارس ، وإنشاء الخطوط التلغرافية ، وتنظيم البريد ، وإنشاء دار المحفوظات لحفظ الوثائق .

وكان محمد على قد بدأ فى السنة التالية لتوليئه السلطة إصلاحاته الزراعية ، فقام بشق العديد من الترع التى أحيت الكثير من الأراضى الزراعية وسهلت المواصلات وزادت مساحة الأراضى المزروعة من مليون فدان عام ١٨٢١ إلى ٣ مليون فدان عام ١٨٣٣ ، وكان القطن المعروف فى مصر من النوع الرديء ، فشجع على زراعة نوع من القطن النادر طويل التيلة فأحدث بذلك إنقلاباً فى ميدان زراعة القطن.

وقد أدرك محمد على أن تأسيس الدولة الحديثة لا يتم إلا عبر التعليم ، وكانت الخطوة الأولى استقدام المدرسين الأجانب وإرسال البعثات إلى الخارج

من أجل إعداد كوادر من المتعلمين تعليماً عالياً ، وقد بدأ محمد على باختيار بعض المتخرجين من الأزهر لإمداد المدارس العالية ، وقد أصبح الكثيرون منهم فى غضون سنوات قليلة أساتذة بارزين ، وانشأ محمد على مدرستين للهندسة فى القلعة وبولاق ، ومدرسة للطب فى أبى زعل حيث يوجد المستشفى العسكرى والحق بها حديقة لزراعة النباتات لاستخراج العقاقير منها ، ثم قسمت الدراسة فيها إلى قسمين لتخريج الأطباء والصيدلة ، ثم انشأ مدرسة القابلات والولادة ، كما انشأ مستشفى خاصاً للنساء .

كما انشأ محمد على مدرسة الترجمة (الألسن فيما بعد) عام ١٨٣٦ وكان لها شأن كبير فى النهضة الفكرية بالعالم العربى ، كما انشأ مدرسة المعادن فى مصر القديمة ، ومدرسة المحاسبة بالسيدة زينب ، ثم مدرسة الفنون إلى جانب مدرسة الزراعة بنبوة أولاً ثم بشبرا بعد ذلك ، ومدرسة الطب البيطرى برشيد، ثم فى أبى زعل ثم فى شبرا ، وانشأ مطبعة بولاق لتمد هذه المدارس بما تحتاجه من كتب ومؤلفات .

لقد أراد محمد على أن يقيم دولة عربية مستقلة تضم كافة الدول العربية وتكون نواتها مصر ، وكاد أن يحقق ما أراد لولا تدخل الدول الأوروبية ، فقد استطاع تحقيق ما عجزت عنه الدولة العثمانية وأخذ الحركة الوهابية ، وبسط نفوذه على سائر أنحاء الجزيرة العربية ، ووصلت الجيوش المصرية إلى اليمن والخليج العربى ثم بدأ تدخل بريطانيا ، كما ضم السودان ، وقاد حملته إلى بلاده المورة فى اليونان لإخماد ثورة اندلعت هناك لولا تدخل الدول الأوروبية التى حطمت الأسطول المصرى عام ١٨٢٧ ، واستطاعت الجيوش المصرية بعد ذلك أن تبسط سيطرتها على الشام واصبح الطريق مفتوحاً إلى الاستانة مما أذهل الدول الأوروبية التى تدخلت كالعادة ، وضغطت بريطانيا وفرنسا عليه لقبول

صلح كوتاهيه ١٨٣٣ وأعطى محمد على بمقتضاه حكم بلاد الشام وابنه إبراهيم حكم (أطنة) على ألا يكون لهما الحق فى توريثهما من بعدهما.

وهكذا قامت بفضل جيش مصر الحديث دولة عربية تمتد من أطنة شمالاً إلى غندكرو بالسودان جنوباً ومن الخليج العربى شرقاً إلى برقة غرباً ، ولم يبق سوى العراق التى حاول محمد على لولا دسائس الإنجليز .. وعندما استأنف السلطان العثمانى الحرب ضد محمد على عام ١٨٣٩ وحلت الهزائم الفادحة بجيوشه وأصبح الأمر لمحمد على لا محالة ، عملت إنجلترا على تأليب الدول ضد مصر وعقد اتفاق فى لندن عام ١٨٤٠ ونص على أن يعرض السلطان على محمد على أن يكون له حكم مصر حكماً وراثياً وولاية عكا طول حياته ، وأن يكون لولاية مصر حقوق فى إدارة البلاد تحت سيادة الدولة العثمانية، فإذا لم يقبل محمد على هذه الشروط فى عشرة أيام يحرم من ولاية عكا ، فإذا لم يقبل فللسلطان الحق فى اتخاذ أى طريق تشير به عليه مصالحه الخاصة ومصالح حلفائه ، وتعهدت الدول الاوربية بمساعدة السلطان فعلياً ضد محمد على .. وكان هذا الاتفاق كارثة على مصر وعادت الدول العربية بعد ١٨٤٠ إلى ما كانت عليه من الانقسام.

أول مطبعة فى مصر

مطبعة بولاق .. ذلك أن الحملة الفرنسية بعد أن رحلت عن مصر عام ١٨٠١ أخذت معها مطابعها ، وظلت مصر بلا مطابع حتى ١٨١٩ حين أسس محمد على والى مصر مطبعة بولاق ، وطبعت فى البداية قاموساً عربياً إيطالياً، وفى عام ١٨٢٨ طبعت جريدة الوقائع المصرية .. وقد تأسس بعدها عدد من المطابع الصغيرة منها مطبعة مدرسة الطب بأبى زعبل ، ومطبعة الطوبجية (المدفعية) بطره ، ومطبعة ديوان الجهادية ومطبعة ديوان الخديوى ومطبعة القلعة وغيرها .

وقد مرت فترة من الركود بمطبعة بولاق ، وفى ٧ أكتوبر ١٨٦٢ أهداها سعيد باشا لعبد الرحمن رشدى بك الذى بدأ تجديدها ، ولما تولى إسماعيل حكم مصر اشتراها من صاحبها لحساب الدائرة السنوية وجلب لها محركاً بخارياً وهو أول محرك بخارى يستخدم فى مطبعة مصرية ، كما أضيفت لها طابعة للطبع بالألوان وقامت فى تلك الفترة بطبع الطوابع الأولى للبريد المصرى ، واستحدثت مطبوعات بولاق الميدالية الفضية فى معرض باريس الذى أقيم عام ١٨٦٧ .. وفى عام ١٨٧٤ تم طبع أول كتاب باللغة الإيطالية بمطبعة بولاق وهو " النخبة الترجمانية فى اللغة التليانية " ، وفى يونيو ١٨٨٠ انتقلت ملكية المطبعة إلى الحكومة المصرية.

ويلاحظ أن الأفراد المصريين لم ينشئوا مطابع قبل ١٨٣٧ عندما بدأوا التعرف على الأهمية التجارية لها ، أما الأجانب فقد انشأوا مطبعة فى الإسكندرية حوالى عام ١٨٢٤ .

وعرفت القاهرة أول مطبعة أجنبية عام ١٨٤٢ وهى مطبعة "ميلونى"، وفى عام ١٨٦٠ أسس " أنطون موريس " بالإسكندرية مطبعة جلب لها أول طابعة أتوماتيكية عرفتها مصر .. وفى عام ١٨٦٧ أسس " بناسون " بالإسكندرية أول مطبعة حجرية فنية أجنبية بمصر .

وفى عام ١٨٦٦ أنشئت أول مطبعة لطبع صحيفة هى مطبعة وادى النيل التى أنشئت أساساً لطبع صحيفة وادى النيل ، وقد طبعت هذه المطبعة إلى جانب ذلك بعض الكتب منها كتاب " القراءة والكتابة للعميان " وهو أول كتاب من نوعه يصدر فى مصر والبلاد العربية .

وفى عام ١٨٧٢ أنشئت مطبعة أركان حرب الجيش المصرى بالقلعة وهى من أوائل المطابع فى الشرق العربى التى طبعت بالألوان ، وفى عام ١٨٩٨ أنشئت مطبعة مصلحة المساحة وهى أول مطبعة فى مصر تقنتى طابعة أوفست ، وقد نالت مطبوعاتها الدبلوم والميدالية الذهبية فى المعرض الدولى الذى أقيم فى مدينة " لياج " ببلجيكا عام ١٩٣٠ .

وكانت مطبعة المعهد الفرنسى للأثار الشرقية التى بدأت نشاطها فى عام ١٨٩٨ هى أول مطبعة فى مصر استخدمت الحروف الهيروغليفية.

وفى عام ١٩٠٦ اشترى الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد لجريدته أول مطبعة دائرية (روتاتيف) فى الشرق العربى .. وكانت مطبعة الهلال أول دار صحفية أدخلت طباعة (الروتغرافور) أى الطباعة الغائرة.

هذا الرجل دون تاريخ مصر

هو عبد الرحمن حسن الجبرتي (١٧٥٤ - ١٨٣٥) .. أرسله والده وهو طفل إلى مدرسة السنانية القريبة من منزلهم بالصنادقية ليحفظ فيها القرآن الكريم ، وأتم حفظه في سن الحادية عشرة ، ثم التحق برواق الشام بالأزهر ليتعلم أصول الدين على مذهب الحنفية ، وتزوج الجبرتي في الرابعة عشرة من عمره ، وبعد موت أبيه ورث عنه ثروة ضخمة مادية وأدبية .

وكان الجبرتي يعمل في ديوان القضايا حين دخل الفرنسيون مصر ، وقد اختاره الجنرال مينو آخر قواد الحملة الفرنسية عضواً في الديوان الثالث الذي أنشأه هذا القائد ، ومن أهم مؤلفات الجبرتي كتابه " عجائب الآثار في التراجم والأخبار " أرخ فيه الأحداث يوماً بيوم ، ولقد وقعت أجل الأحداث في عصره من قبيل دخول الفرنسيين مصر إلى فترة كبيرة من عهد حكم محمد علي، فدون في تاريخه كل ما جد في تلك الفترة حسب ما رآه وما سمعه ، وأعقب كل سنة بتراجم من مات فيها من الأمراء وكبار العلماء والأعيان ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية.

وعند الجبرتي دون المؤرخون جميعاً نشعر أننا نعيش في بيئة مصرية خالصة ، نجد الأسماء والأماكن والعطفات والدروب التي لا تزال نرى الكثير

منها ، وهو يأخذنا دائماً كي نعيش بين هذه الأماكن ونشهد بأعيننا وعواطفنا هذه الوقائع والأحداث ، كما نجد التعبيرات المصرية الخالصة والأمثال المصرية البحتة التي خلفتها البيئة المصرية ، وتفصيل كثير من ثورات شعب مصر في وجه حكام مصر الظالمين ، وهو لم يسجل مواقف المكافحين من سادة القوم وزعمائهم فحسب بل سجل مواقف لأولاد البلد في القاهرة والأقاليم.

وقد نال كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار تقديراً كبيراً من الباحثين والعلماء ، فقد ترجم قسم منه إلى اللغة التركية بأمر من السلطان سليم الثالث وهو القسم الخاص بالحملة الفرنسية ، وقد ترجم الكتاب كله إلى الفرنسية في تسعة أجزاء.

كان الجبرتي يدين بولاء واحد ، هو ولاءه لمصر وحدها وهذا سر ما نجده من مظاهر التناقض في تدوينه لأحداث عصره وتسجيله سير العظماء من رجاله ، فهو تارة يبدو صديقاً مدافعاً عن المماليك يمدحهم ويذكر مآثرهم وأخلاقهم وصفاتهم بإكبار وتعظيم ، وتارة يسخط على أعمالهم وأخلاقهم وصفاتهم ، وهو على كراهيته القوية الواضحة المتأصلة لمحمد على يسجل له بعض ما أقدم عليه من عمل صالح كان يرى فيه الجبرتي منفعة لمصر ، وهو على صدق تدينه وإيمانه يمدح في مناسبات كثيرة الفرنسيين وقائدهم ، ولكن هذا تناقض ظاهر فقط فقد كان الجبرتي يعيش الأحداث والرجال بمقاييس الصدق والحقيقة والخير ، فهو يمدح للمماليك ما يصنعون من خير ويذم لهم ما يقترفون من شر ، وذلك حاله مع الفرنسيين .

وقد أصيب الجبرتي بمحنة قاسية في آخر حياته ، ففي فجر أحد الأيام كان ولده خليل عائداً من قصر محمد على في شبرا - حيث كان يعمل فلكياً - خرج عليه جماعة وأخذوا يضربونه حتى قضوا عليه وخنقوه ثم ربطوه بحمار ،

فلما أصبح الصبح عرفه الناس ووجدوا على صدره دفاتر مكتوبة وأسطرلاباً لرصد النجوم ، وقد قيل أن رجال محمد على هم الذين قتلوه للخلاف الموجود بين محمد على والجبرتي .. ولقد تحطمت حياة الجبرتي بموت ابنه على هذه الصورة ، وكان قد فرغ منذ شهر من تهذيب كتابه الخالد وانشغل بعدها فى تدوين كتاب عن أحداث " الثورة اليونانية " كما وضع كتاب " مظهر التقديس فى ذهاب دولة الفرنسيين " وترجم إلى الفرنسية والتركية .

وترك الجبرتي القراءة والكتابة والتأليف ، وعاش فى حزن وصمت حتى ذهب بصره ثم توفى .

وقد بقى تاريخ الجبرتي بالعربية محجوباً أو ممنوعاً حتى أذن الخديوى توفيق بطبعه ، فطبع لأول مرة بالمطبعة الأميرية عام ١٨٨٠م .

أول خط سكك حديدية فى الشرق

كانت مصر هى أول دولة فى الشرق تمد خطأ لسكة حديد ، وبدئ فى إنشائه عام ١٨٢٥ م ، وتم افتتاحه عام ١٨٥٤ وهو الخط بين القاهرة والإسكندرية ، ثم مد إلى طنطا عام ١٨٥٥ حتى تم توصيله إلى القاهرة فى عام ١٨٥٦ وأشرف على إقامته الإنجليزى روبرت ستيفنسن ابن جورج ستيفنسن مخترع القاطرة البخارية .. وما أن تم مد هذا الخط حتى بدئ فى مد خط جديد من القاهرة إلى ميناء السويس عبر الصحراء وتم افتتاحه لحركة النقل فى نوفمبر ١٨٥٨ ، وبذلك اكتملت الحلقة التى ربطت بين البحر الأحمر والبحر المتوسط ، وسهلت الاتصال بين الشرق والغرب.

أما الوجه القبلى فقد بدئ فى مد شبكة الخطوط الحديدية إليه فى عام ١٨٦٧ م حيث وصلت إلى ملوى فى عام ١٨٧٠ ثم توالى مد باقى الخطوط .. أما خط حلوان فقد أنشئ بين عامى ١٨٧٠ و ١٨٧٢ وقد قامت الحكومة فى عام ١٩٥٦ بكهربة الخط وإنشاء خط إضافى له فى سفح الجبل الشرقى ليخصص لسير قطارات البضائع التى تخدم المصانع المنشأة بالقرب من حلوان.

ومما يذكر أن أول خط حديدى فى العالم قد مد بين مدينتى ستوكتن ودارلنجتن بإنجلترا عام ١٨٢٥ ، وأشرف على إقامته جورج ستيفنسن الذى

أطلق على قاطرته البخارية اسم "الروكت" وكانت سرعتها ٣٥ ميلاً في الساعة وهي محفوظة الآن في متحف لندن لوسائل النقل .

وفي متحف السكك الحديدية بميدان رمسيس بالقاهرة الذي أفتتح عام ١٩٣٣ يوجد نماذج عديدة تبين تطور النقل والسكك الحديدية في مصر والعالم من فجر التاريخ وخاصة عند قدماء المصريين ، فهناك نموذج مجسم يبين كيف كان الفراعنة ينقلون تمثالاً يزن ستين طناً على زحافة بنظام هندسى بديع ، ونماذج تبين وسائل المواصلات والنقل في عهد الإغريق والرومان ، وأقسام أخرى تعرض مجموعة كبيرة من النماذج تشرح تطور القاطرات الأولى في العالم ومصر ، ومن بينها نموذج لأول فكرة للقاطرات التي ظهرت عام ١٧٨٣ ، وأخرى لأول قاطرة سارت بمصر عام ١٨٥٤ ، كما يوجد نماذج وصور للمحطات القديمة والحديثة وأنواع كبارى السكك الحديدية وتطورها وتاريخها .

وفي ١٩٨٧/٩/٢٧ تم افتتاح مترو أنفاق القاهرة وهو أول مترو أنفاق بأفريقيا والعالم العربي ، وأمتد في مرحلته الأولى من حلوان إلى رمسيس ، ثم تتابع إنشاء مرحلتيه الثانية والثالثة في محاولة لربط أطراف القاهرة ببعضها .

أول مجلس نيابى فى مصر

مجلس شورى النواب الذى اجتمع لأول مرة فى ٢٢ أكتوبر ١٨٦٦ فى فترة حكم الخديوى إسماعيل ، ويبدو أن هدف إسماعيل من وراء إنشاء هذا المجلس كان تحقيق المزيد من السيطرة على كبار الأعيان الذين تكون منهم المجلس وكسب تأييدهم السياسى ودعمهم المالى له ، وتحسين صورة عهده أمام المحافل الأوربية والبنوك التى كان يقترض منها .

وتألف المجلس من ٧٥ عضواً ينتخبون لمدة ٣ أعوام ، ويكون الانتخاب حسب تعداد السكان فى كل منطقة ، وتمثل الهيئة الناخبة فى مشايخ البلاد وعمدها فى المديرىات والأعيان فى القاهرة والإسكندرية ودمياط ، ولم يكن يمثل هذه المدن الثلاث الكبرى سوى ستة أعضاء ، وهكذا سيطرت عناصر من كبار ملاك الأرض على المجلس ولم يكن للصناع أو التجار أو المتعلمين وجود يذكر فيه.

واشترط فى النائب أن يكون مصرياً ممن يتصفون بالرشد والكمال ، لا يقل عمره عن ٢٥ سنة ، ولا تكون قد صدرت ضده أحكام جنائية أو طرد من وظائف الحكومة أو حكم عليه بالإفلاس وألا يكون من الفقراء المحتاجين ، أو من موظفى الحكومة والعسكريين ، كما وضع شرط معرفة القراءة والكتابة على

أن يطلق بالنسبة للناخبين بعد ٣٠ سنة مراعاة لظروف انتشار الأمية في البلاد ، ويتمتع أعضاء المجلس بالحصانة الجنائية أثناء دورة انعقاده إلا إذا ارتكب أحدهم جريمة القتل ، ويعقد المجلس دورته لمدة شهرين كل سنة من منتصف ديسمبر إلى منتصف فبراير ، ويكون اختيار رئيس ووكيل المجلس من حق الخديوى .

وكان المجلس لا يناقش سوى المسائل التى تعرضها الحكومة عليه . كذلك فإن سلطة المجلس استشارية وليست قطعية ، ومن ثم فإن ما يصدر عنه هو بمثابة توصيات ليست ملزمة للخديوى وإنما ترفع له وهو يمتلك سلطة إصدار القرار .

وفى ١٧ مايو ١٨٧٩ تقدم محمد شريف باشا بمشروع اللائحة الاساسية التى تعد أول مشروع دستور نيابى برلمانى فى مصر ، وفى ٢ يوليو قدم إلى المجلس مشروع اللائحة الانتخابية.

وحسب مشروع اللائحة الاساسية فقد كان للمجلس الذى يتكون من ١٢٠ عضواً سلطة البرلمانات الحديثة مثل اقرار حق الميزانية والقوانين واعتبار النظارة (الوزارة) مسئولة أمامه ، وحق النواب فى توجيه الأسئلة والاستجابات إلى النظارة (الوزراء) ، كما أعطى المجلس حق انتخاب رئيسه ووكيله وحق الحكم فى صحة انتخاب نوابه دون تدخل أى جهة أخرى.

أما النائب فهو يمثل الأمة بأسرها وليس دائرته الانتخابية فقط ، ومنع الجمع بين النيابة والنظارة والنائب حر فى إبداء رأيه ويتمتع بالحصانة البرلمانية .. وأعطت اللائحة للخديوى الحق فى حل المجلس والدعوة إلى انتخابات جديدة فى حالة الخلاف بين المجلس والنظارة ورفض الأخيرة الاستقالة .

ولكن هذا التطور سرعان ما أوقف نتيجة للتدخل الأوربي وإصدار السلطان فرماناً بخلع الخديوى إسماعيل وتنصيب الأمير توفيق بدلاً منه فى ٢٦ يونيو ١٨٧٩ ، وقام الخديوى بفض مجلس شورى النواب وعطل الحياة النيابية ما يزيد على عامين ، ورفض التصديق على اللائحة الأساسية ، ثم رضخ لذلك فى النهاية بعد تصاعد حركة أحمد عرابى فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ ودعا لانتخاب أعضاء مجلس شورى النواب تبعاً لأحكام اللائحة الأساسية.

وبعد الاحتلال الإنجليزي لمصر أقامت سلطة الاحتلال نظاماً للحكم يضمن مصالحها فصدر القانون النظامى فى أول مايو ١٨٨٣ والذى يعد نكسة فى التطور الدستورى لمصر .. ونص على تعدد المجالس وهى مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، ولا يمكن القول بأن ذلك يعد أخذاً بنظام المجلسين، فهذا يفترض اختلاف طريقة تكوين كل مجلس بينما كان الوضع أن مجلس شورى القوانين يدخل بكامل هيئته فى تكوين المجلس الآخر كما أن رئيس الأول هو رئيس الثانى ، بالإضافة إلى الطبيعة الاستشارية للمجلس فى الغالب.

وفى أول يوليو ١٩١٣ صدر قانون نظامى جديد يسمح بتمثيل متوسطى ملاك الأراضى الزراعية ، وألغى مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، وأنشئت الجمعية التشريعية التى لم تختلف كثيراً عن التنظيمات السابقة من حيث مقوماتها وأسسها وطبيعتها الاستشارية .. وكانت الجمعية تتكون من ٨٣ عضواً تعين الحكومة منهم سبعة عشر لتمثيل الأقليات والمصالح ويكون من بينهم الرئيس وأحد الوكيلين ، وهكذا أدخل القانون تمثيل الطوائف التى قصد بها تمثيل الأقليات الدينية والمصالح الاقتصادية والطائفية مما يكرس الفروق الدينية والاجتماعية ، وعقدت الجمعية التشريعية دورتها الأولى فى ٢٢ يناير ١٩١٤ .

وقد نص دستور ١٩٢٣ على أن الاختصاص التشريعى فى يد البرلمان

- أى مجلس النواب والشيوخ - والملك بحيث لا يصدر قانون إلا إذا أقره البرلمان وصدق عليه الملك .

وتكون البرلمان - حسب المذكرة التفصيلية للدستور - من مجلسين تحوطاً من إمكانية استبدال البرلمان إذا كان مكوناً من مجلس واحد ، وتلافياً للخطأ والتسرع إذ يقوم كل من المجلسين بمراجعة أعمال الآخر وتصحيح الأخطاء ، ولكن المذكرة لم تشر إلى حقيقة أن مجلس الشيوخ كان أقل ديموقراطية فى تكوينه وأكثر تعبيراً عن الطبقات الثرية فى المجتمع ، كما تميز بأن للملك حق تعيين خمسى أعضائه ولذلك يرى البعض أن السبب الأساسى لاتباع نظام المجلسين هو إحداث التوازن بين الاتجاهات الديموقراطية والشعبية للنواب ، والاتجاهات الاستبدادية للقصر والطبقات التى رأت فى الحركة الشعبية خطراً على مصالحها .. وبخصوص العلاقة بين المجلسين فلا يصدر قانون إلا بموافقة المجلسين وفى حالة الخلاف بينهما يسقط القانون باستثناء الميزانية فيعقد اجتماع مشترك للمجلسين فى هيئة مؤتمر ويؤخذ التصويت بالأغلبية المطلقة.

ولكل منهما حق اقتراح القوانين باستثناء حق اقتراح إنشاء الضرائب أو زيادتها فقد قصر على الملك ومجلس النواب ، كذلك فإن مناقشة الميزانية يجب أن تبدأ فى مجلس النواب ، وهو الذى يستطيع سحب الثقة بالوزارة .. ولا يجوز الجمع بين عضوية المجلسين كما لا يجوز الجمع بين عضوية أى منهما وتولى الوظائف العامة ، ولم يحدد الدستور عدد أعضاء المجلسين ولكن ربط بين عدد الأعضاء وعدد سكان البلاد ، فعرض مجلس الشيوخ المنتخب ينوب عن ١٨٠ ألفاً من السكان وعضو مجلس النواب ينوب عن ٦٠ ألفاً.

ولكن تعثر تطبيق دستور ١٩٢٣ من الناحية العملية ، فقد تم حل مجلس النواب أكثر من مرة ، بل أن جميع المجالس التى شكلت فى ظله لم تكمل مدتها الدستورية.

وألغى دستور ١٩٢٣ بصدور دستور ١٩٣٠ إلا أن الأخير أيضاً لم يعمر طويلاً بسبب تزايد الضغط الشعبى ورفض مصر كلها له ، فألغى عام ١٩٣٤ وتم حل مجلسى البرلمان اللذين قاما فى ظلّه وتم إعادة العمل بدستور ١٩٢٣ .

ورغم ذلك نجد أن مجالس النواب التى جاءت فى ظل دستور ١٩٢٣ قد تعرضت للحل أكثر من مرة .. وظل الحال على هذا المنوال حتى تم حل البرلمان فى يناير عام ١٩٥٢ عقب حريق القاهرة وظلت مصر بدون برلمان حتى قيام ثورة يوليو فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وأعلن مجلس قيادة الثورة من ديسمبر ١٩٥٢ سقوط دستور ١٩٢٣ .

فى ١٦/١/١٩٥٦ أعلن دستور ١٩٥٦ الجديد .. وعلى أساس هذا الدستور شكل أول مجلس نيابى فى ظل ثورة ٢٣ يوليو وبدأ جلساته فى ٢٢ يوليو ١٩٥٧ .. وقد أطلق عليه اسم " مجلس الأمة " ، واستمر هذا المجلس حتى ١٠/٢/١٩٥٨ .

وعقب قيام الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ صدر دستور مارس المؤقت وشكل مجلس أمة مشترك ، واستمر حتى ٢٢/٦/١٩٦١ .

وفى مارس ١٩٦٤ صدر دستور مؤقت وفى ظلّه تم قيام مجلس أمة منتخب مكون من ٣٥٠ عضواً بالإضافة إلى عشرة أعضاء يعينهم رئيس الجمهورية .

وفى ١١/٩/١٩٧١ تم وضع الدستور الدائم ، وفى ظلّه جرت انتخابات مجلس الشعب الذى عقد أولى جلساته فى ١١/١١/١٩٧١ وهو أول مجلس يستكمل مدته الدستورية وهى خمس سنوات كاملة .

وفى عام ١٩٧٦ تم إجراء انتخابات جديدة فى ظل نظام المنابر السياسية

التي تحولت فيما بعد إلى أحزاب سياسية بموجب قانون نظام الأحزاب السياسية
في مصر الذي صدر عام ١٩٧٧.

وفي ١٩٧٩/٤/٩ وافق الشعب في استفتاء عام على إنشاء مجلس
الشورى ، الذي عقد أول اجتماعاته في ١٩٨٠/١١/١.

عندما مات مائة ألف مصري من أجل قناة السويس

إن فكرة شق قناة تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر فكرة قديمة .. وكانت تعود إلى الحياة بين الصين والحين ، ولكن اتساع التجارة بين أوروبا والهند والشرق الأقصى حفز الناس على التفكير في طريق أقصر ، حيث كانت السفن المتجهة من أوروبا إلى الهند تدور حول أفريقيا ، وكان من الطبيعي أن يكون الإنجليز هم أول من يفكرون في حفر قناة السويس بسبب اتساع تجارتهم ، ولكن الفرنسيين هم الذين سبقوا إلى العمل رغبة في ترسيخ أقدامهم في الشرق . فعندما غزا نابليون مصر عام ١٧٩٨ م قام بإجراء مسح للمنطقة إلا أنه صرف النظر عندما اكتشف وجود فرق قدره ١٠ أمتار في المنسوب بين البحر المتوسط والبحر الأحمر ، مما جعل الأمر يبدو مستحيلاً ولكن تبين بعد ذلك أن هذا الاكتشاف كان خاطئاً .

وفي ٧ نوفمبر ١٨٥٤ استطاع الفرنسي فرديناند ديلبس - الذي كان يعمل قنصلاً مساعداً لحكومته في الإسكندرية - أن يتقرب من محمد سعيد باشا الذي تولى عرش مصر ، فاتصل به وعرض عليه مشروع حفر قناة السويس التي تمتد من ميناء بور سعيد في البحر المتوسط إلى ميناء السويس في خليج السويس المؤدى إلى البحر الأحمر .. وتمكن في ٣٠ ديسمبر ١٨٥٤ من أن يحصل على امتياز حفر القناة .

وفى ١٨٥٦ تكونت الشركة العالمية لقناة السويس البحرية وساهمت فيها مصر وتركيا وفرنسا وأخذت مصر ٤٤% من الأسهم ، ووقع الاختيار بين عديد من التصميمات على التصميم الذى أعده مهندس إيطالى لامع يسمى "لويجى نيجريللى" .

وقد تعهدت الحكومة للشركة بتقديم العمال بالسخرة .. وفى ٢٥ إبريل ١٨٥٩ بدأ العمال المصريون يحفرون القناة دون أن يتقاضوا أجراً ، وكان يرسل منهم لهذا العمل ستون ألف كل شهر ، وفى وقت لم يكن يزيد مجموع سكان مصر كلها على أربعة ملايين نسمة ، ومات من هؤلاء العمال تحت الانهيارات الرملية ما يزيد على المائة ألف دون دفع أى تعويض عنهم ، ووضعت البلاد تحت تصرف الشركة جميع وسائل النقل البرى والنهرى تستخدمها دون أن تدفع أجراً ، وقامت الجهود المصرية فى كل من ترسانة القاهرة والإسكندرية بإعداد المشروعات اللازمة لإكمال حفر القناة .

ولمصر يعود الفضل الأول فى تمويل عمليات حفر القناة ، فقد بدأت الشركة برأس مال لا يتجاوز ١,٥ مليوناً من الجنيهات ، ولكن تكاليف حفر القناة وصلت إلى ما يزيد على ١٦ مليون جنيه ، فتحملت مصر الفرق كاملاً ، ثم لم تستطع الشركة الحصول على تمويل خارجى ببيع أسهمها فى الأسواق الدولية ، فاشترت الحكومة المصرية هذه الأسهم ، ثم تدخلت مرة أخرى لمساعدة الشركة حين توقف العمل بها قبل افتتاحها بستة أشهر عندما دفعت مصر ١,٥ مليون جنيه ، ولم تكتف الشركة بذلك بل تحت ستار بعض المحاولات من جانب حكام مصر لتعديل جانب من الشروط المهيئة فى عقد الالتزام تقاضت الشركة من مصر حوالى ٣,٥ مليون جنيه مقابل إلغاء السخرة واسترداد بعض الأراضى الصحراوية الزائدة عن حاجة القناة .. ولولا هذه الجهود المصرية ما أمكن لمشروع قناة السويس أن يشق طريقه.

وفى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ أقيم احتفال أسطوري بمناسبة انتهاء أعمال حفر قناة السويس ، حيث غادر ميناء بورسعيد أسطول مؤلف من ٢٠ سفينة يتقدمه اليخت الإمبراطورى الفرنسى " إيجل " الذى اقل فرديناند ديلسيس والإمبراطورة أوجينى زوجة نابليون الثالث ، وقد سار الأسطول يتهدى فى القناة حتى نهايتها حيث وصل إلى السويس ثم أقيمت الحفلات أثر هذا الافتتاح.

وبعد أن رفضت بريطانيا فى البداية المساهمة فى شركة قناة السويس ، إلا أنها تراجعت بعد أن وضحت أهميتها بل أن الملكة فيكتوريا كرمت ديلسيس ومنحته وسام " نجمة الهند " وأخذت تتحين الفرصة حتى وانتهى بعد وقوع مصر فى الديون ، واشترت حصة مصر فى الشركة عام ١٨٧٥ بـ ٤ مليون جنيه ، وأصبحت تملك أغلبية الأسهم ، ومنحت الشركة حق أداره القناة ٩٩ سنة ثم احتلت بريطانيا مصر .

وفى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ تم تأميم شركة قناة السويس بعد أن انسحبت الولايات المتحدة وبريطانيا من مشروع تمويل السد العالى ورفض البنك الدولى تمويله ، وفى ذلك الوقت كان دخل مصر من القناة مليون جنيه فى حين كان مجموع دخل القناة ٣٥ مليون جنيه .. وعلى الرغم من إعلان مصر بأنها ستمنح الدول المالكة التعويض المناسب ، إلا أن إنجلترا وفرنسا وإسرائيل قامت بشن العدوان الثلاثى على مصر فى ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ فى محاولة لاستعادة الصفة الدولية السابقة للقناة ولكنهم لم يلبثوا أن أذعنوا للأمر الواقع .. وفى عام ١٩٦٧ نتيجة للعدوان الإسرائيلى على مصر أقفلت قناة السويس وظلت كذلك حتى افتتاحها للملاحة فى ٥ يونيو ١٩٧٥ بعد انتصار مصر فى حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .. لتعود أقرب شريان ملاحى يربط الشرق بالغرب.

أول من نادى بتعليم المرأة

رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣).. ولد فى طهطا فى صعيد مصر ، وتنقل بين مدن الصعيد ، وحفظ شيئاً من القرآن الكريم ، وبعد وفاة والده أرسلته والدته إلى القاهرة حيث ألتحق بالأزهر وتلقى العلم من شيوخه ، وظل فى الأزهر ثمانية أعوام ، ولما تخرج فيه اشتغل بالتدريس فى الجامع . وكان فى هذه الفترة يسافر إلى بلده حيث يلقى بعض الدروس على الطلاب .

وفى عام ١٨٢٤ م عين رفاعة الطهطاوى إماماً وواعظاً فى الجيش . وفى عام ١٨٢٦ اختير إماماً لتلاميذ البعثة المصرية المسافرة إلى باريس . فاشتغل بتعلم اللغة الفرنسية وآدابها ، وانصرف إلى الترجمة فنقل عدداً من الكتب الأدبية والتاريخية والجغرافية والرياضية والعسكرية ، وسجل رحلته فى كتاب " تخلص الابريز فى تخلص باريز " وفيها رسم صوراً من حياته فى باريس والحياة الاجتماعية فى فرنسا فى القرن التاسع عشر .

وقد أصيب رفاعة بضعف فى عينه اليسرى أثناء إقامته فى باريس للمذاكرة والتحصيل ، حتى نصحه الطبيب بعدم القراءة ليلاً ، ولكنه لم يمتثل لأوامره حتى لا يعوق ذلك تقدمه .

وعاد رفاعة الطهطاوى إلى مصر عام ١٨٣١ ، وعين مترجماً فى

مدرسة الطب بأبى زعل ، وكان يرأسها كلوت بك ، وبعد عامين نقل إلى مدرسة التوجيه مترجماً ، وعندما أنشئت مدرسة الألسن عين مديراً لها وأستاذاً بها ، ثم ألحق بالمدرسة قلم الترجمة ، وقد بلغ عدد الكتب التي ترجمها خريجوا المدرسة حوالى ألفى كتاب ، وكان لحركة الترجمة هذه أبعاد الأثر فى النهضة الفكرية فى القرن التاسع عشر .

ولما تولى عباس الأول الحكم كان الطهطاوى قد أقدم على ترجمة "دستور فرنسا" ونشره مفسراً ما جاء فيه من بنود عن " حقوق العوام " ، وبوشاية من بعض المشايخ المتعصبين أوغروا صدر عباس على رفاة الطهطاوى ، وكان دليلهم هذا الكتاب ، وهدفهم إبعاده عن التعليم خوفاً على طرق تدريسهم التقليدية من المدرسة التربوية الحديثة التي كان يبشر بها فى مدرسة الألسن التي ما لبث أن أغلقها عباس هي الأخرى فيما أغلق من مؤسسات كثيرة ، وإذا بعباس ينتزعه من مدرسة الألسن ويختار له نظارة أول مدرسة ابتدائية مصرية فى الخرطوم .

وبعد وفاة عباس الأول وتولى سعيد بسبعة أيام فقط صدر أمر بإعادة رفاة الطهطاوى إلى مصر ، وعين وكيلاً للمدرسة الحربية ثم ناظراً لها فمديراً لمدرسة الهندسة ومدرسة العمارة مع الاحتفاظ بقلم الترجمة ، ولكن هذه المدارس جميعاً لم تلبث أن ألغيت فظل رفاة الطهطاوى بلا منصب حتى عهد إسماعيل ، حين تم إعادة قلم الترجمة من جديد فعين عضواً فى " قومسيون المدارس " وهو المجلس الأعلى الذى كان يشرف على التعليم والحركة التربوية .

وقد قام رفاة الطهطاوى بجهود كثيرة فى ميدان الصحافة ، فعمل على تنظيم جريدة الوقائع المصرية ، وهى أول صحيفة عربية فى مصر والعالم العربى ، كما قام بالإشراف على مجلة " روضة المدارس " وبأشر تحريرها ابنه على بك فهمى .

ولاحظ رفاة الطهطاوى أن كتب النحو المستخدمة فى المدارس جارية على الأسلوب العتيق ولا تصلح للعصر الحديث ، فوضع كتاباً جديداً أسماه "التحفة المكتبية فى القواعد والأحكام والأصول النحوية بطريقة مرضية" وحاول فى هذا الكتاب أن يبسط القواعد النحوية ويخلصها من الشوائب والتعقيدات وعرضها فى شكل جداول حتى يتمكن الطلبة من حفظها.

كما ألف رفاة كتاباً فى تعليم المرأة أطلق عليه " المرشد الأمين للبنات والبنين " ، وقد يكون ظهور مثل هذا الكتاب اليوم حدثاً عادياً ، أما ظهوره عام ١٨٧٢ فقد كان حدثاً غير عادى ، إذ تناول فكرة تعليم المرأة بالتحليل والتفصيل وضرب الأمثلة من التاريخ فى وضوح وجلاء ، وروى أخبار كثير من النساء الشهيرات ، وكتب فصلاً بعنوان " تشريك البنات مع الصبيان فى التعلم والتعليم وكسب العرفان جاء فيه " ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معاً لحسن معايشة الأزواج ، فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك .. فإن هذا مما يزدهن أدباً وعقلاً ويجعلهن بالمعارف أهلاً فيعظمن فى قلوبهم، ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش " .

بهذه الروح كان رفاة الطهطاوى أول من دعا إلى تعليم المرأة ، والتحرر من قيود الجهل والخروج إلى نور المعرفة.

المرأة المصرية ... ومسيرة تحضر

تمتعت المرأة المصرية بمكانة عالية طوال التاريخ ، ففي العصر الفرعوني نالت حقوقها المختلفة ، وتبوأت المراكز والسلطة ، ومثلت كياناً له وجوده الراسخ فى المجتمع ، فقد شهدت الحضارة المصرية القديمة ملكات تمتعن بمكانة مرموقة وكان من نسلهن أولئك الذين أشادوا أول حضارة ، وأول حرب لتحرير البلاد من الاستعمار ، وأول إمبراطورية عرفها التاريخ القديم ، مثل حتب - حرس زوجة الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة أم الملك خوفو باني الهرم الأكبر، ولها آثار قيمة عثر عليها فى مقبرتها بالجيزة ، والملكة حنت كاوس والتي يرجح أنها كانت من بنات الملك منقرع وقد تكون هى بعينها نيتوكريس التى تردد اسمها فى كتب التاريخ وقد أطلقت على نفسها لقب "ملك الوجهين القبلى والبحرى" ، والملكة سبك نفرو رع التى تولت الحكم عقب وفاة أخيها الملك امنمحات الرابع ، واياح حتب أم الملك أحمس الأول ، والملكة حتشبسوت صاحبة معبد الدير البحرى ، والملكة تى زوجة الملك امنحتب الثالث وشريكته فى توجيه سياسته والتي كانت من بنات الشعب ، والملكة نفرتي تى زوجة اخناتون ، والملكة تويا أم الملك رمسيس الثانى .

وفى العصر الحديث شهدت مصر دعوات متكررة لإعادة المرأة المصرية إلى مكانتها اللائقة ، وكانت أولى هذه الدعوات دعوة رفاعة

الطهطاوى لتعليم المرأة ورفع سن الزواج حتى تتمكن من التعليم ، والتي جاءت في كتابه " المرشد الأمين للبنات والبنين " عام ١٨٧٢ ، والذي جاء مواكباً لافتتاح أول مدرسة للبنات في مصر والتي أنشأتها زوجة الخديو إسماعيل جشمت هانم أفندى وهي المدرسة السيوفية ١٨٧٣ - السنية فيما بعد سنة ١٨٨٩ - ودعوات جمال الدين الأفغانى الذى طالب بإعطائها مكانتها ، ومحمد عبده الذى نادى بضرورة تربية البنات وتعليمهن ، ودعوة قاسم أمين فى كتابيه "تحرير المرأة ١٨٩٩" و " المرأة الجديدة ١٩٠١ " واللذان كانا بمثابة الثورة على أوضاع المرأة .

وتدعمت حركة إيقاظ المرأة المصرية بالصحافة النسائية التى انطلقت منذ عام ١٨٩٢ على يد هند نوفل صاحبة مجلة " الفتاة " بالإسكندرية ، ولويس حبالين صاحبة مجلة الفردوس النسائية ١٨٩٨ ، ولبيبة ماضى وملكة سعد فى مجلة الجنس اللطيف (١٩٠٨ - ١٩٢١) ، ولبيبة هاشم صاحبة مجلة فتاة الشرق (١٩٠٦ - ١٩٣٩) .

وظهرت بوادى تحرير المرأة على يد المتفقات فتتشد عائشة التيمورية أشعارها ، وتكون ملك حفنى ناصف أول من نالت شهادة الابتدائية عام ١٩٠٠ ودبلوم المعلمات فى مصر ١٩٠٣ ، وأتقنت اللغات ونظمت الشعر ، ومارست نشاطها الأدبى ، وكانت صاحبة أول صوت نسائى يدوى مطالباً بحقوق المرأة كاملة فى المؤتمر الإسلامى بهليوبوليس عام ١٩١١ ، ونشرت كتابها "النسائيات" الذى جمع أفكارها .

وشاركت النساء الأرسقراطيات فى المجال الثقافى ، واعتبر صالون الأميرة نازلى فاضل المحور الذى تجمع فيه مؤيدو وأنصار تحرير المرأة ، وأصبحت المؤسسة الثقافية التى شكلت الأفكار الحديثة ، كما مثل صالون مى زيادة نفس الاتجاه .

وأسهمت الجامعة المصرية الأهلية فى هذه النهضة منذ نشأتها ، فقد فتحت أبوابها فى أيام معينة للمرأة محاضرة ومستمعة ، وكان من المحاضرات ملك حفنى ناصف ولببية هاشم ومى زيادة ونبويه موسى وهى أول مصرية تحصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٠٧ وأول امرأة تعمل معلمة للغة العربية وأول ناظرة مصرية ، وبلغ عدد المترددات على المحاضرات الصباحية بكلية الآداب ٣٥ سيدة فى العام الجامعى ١٩٠٩ - ١٩١٠ .

ومنذ بداية القرن العشرين كان للفتيات نصيب فى البعثات التعليمية وانعكست هذه الأوضاع على حالة التعليم ، حيث أنشئت العديد من المدارس الابتدائية للبنات ، وأنشئت مدرستان للمعلمات بالقاهرة والإسكندرية ، وخففت المصروفات لإتاحة الفرصة للراغبات .

وبدأت النواة الأولى للمشاركة الاجتماعية للمرأة وذلك بتكوين الجمعيات، فأنشئت " جمعية الاتحاد النسائى التهذيبى " ، وانصبت مهمتها على تلك المحاضرات التى أقيمت فى الجامعة ، وسعت هدى شعراوى - وهى سيدة أرسنقراطية من صعيد مصر ابنة محمد سلطان رئيس المجلس النيابى فى عهد الثورة العربية وزوجة على شعراوى أحد زعماء ثورة ١٩١٩ - إلى تأسيس جمعية " الرقى الأدبى للسيدات المصريات " .

كانت ثورة ١٩١٩ بداية انطلاق المرأة المصرية وتغيير أوضاعها ، وكان أول عمل تقوم به تنظيم مظاهرة فى ١٦ مارس ١٩١٩ اشترك فيها ٥٣٠ سيدة وفتاة وعلى رأسهن زوجات زعماء الثورة ومنتظارات جئن من الأقاليم وطالبات المدارس ، وقد تم الإعداد لهذه المظاهرة ببيت هدى شعراوى ، وفى ٢١ مارس ١٩١٩ تكررت المظاهرة ، وفى ١٢ ديسمبر ١٩١٩ عقد إجتماع نسائى بزعامه هدى شعراوى فى الكنيسة المرقسية بالقاهرة والتى اختيرت عن

فهم وذكاء لتبرهن على الوحدة الوطنية حيث أعلن سخطهن على وزارة يوسف وهبة ولجنة ملنر ، وفى ١٦ يناير ١٩٢٠ سارت مظاهرة نسائية من باب الحديد إلى عابدين هاتفة ضد الاستعمار متصدية للجنود الإنجليز ... وصاحب تأليف الوفد المصرى تشكيل لجنة الوفد المركزية للسيدات ، ثم أسست هدى شعراوى الاتحاد النسائى المصرى عام ١٩٢٣ .

وكما سبق الإشارة فإن الجامعة الأهلية فتحت أبوابها للمرأة المصرية كمستمة فى البداية ، وبدأت فى قبولها كطالبة اعتباراً من عام ١٩٢٩ حين التحق بها ١٧ طالبة فى كليات العلوم والآداب والطب والحقوق ، فى عام ١٩٣٢ التحقت بطب الأسنان ، وفى عام ١٩٣٥ بالتجارة ، وفى عام ١٩٣٦ بالصيدلة ، وفى عام ١٩٤٥ بالهندسة والزراعة والطب البيطرى ، وبلغ عدد الطالبات فى الجامعة ٣١٢ طالبة عام ١٩٣٥ ، وفى عام ١٩٤٣ بلغ عددهن ٣٠٠٠ طالبة فى كلية الآداب وحدها .

وجاءت نتائج الدفعة الأولى مشرفة للمرأة المصرية فجاءت سهير القلماوى فى المركز الأول فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، وفاطمة فهمى الأولى فى قسم الاجتماع ، وزهيرة عبد العزيز الثانية ، وحصلت عفيفة اسكندر على دبلوم الآثار فكانت ثالث امرأة فى العالم فى هذا المجال .

وكانت الدكتورة سهير القلماوى أول امرأة مصرية تحصل على درجة الدكتوراه ، حيث نالت درجتها العلمية من السوربون عام ١٩٤١ ، وكانت فيما بعد أول رئيسة لقسم اللغة العربية بكلية الآداب .

وقد شهدت هذه الفترة خروج المرأة المصرية للحياة العامة فقد شهدت الكابتن لطيفة النادى أول مصرية تطير بطائرة وكان ذلك عام ١٩٣٣ فى سباق الطيران الدولى بين القاهرة والإسكندرية ، وشهدت عائشة مراد أول سباحة مصرية للمسافات الطويلة بين دمياط وراس البر عام ١٩٣٩ .

وفى عام ١٩٤٨ أسست د. درية شفيق أول حزب سياسى نسائى وهو حزب " بنت النيل " وكانت قد حصلت على درجة الدكتوراه من السوربون فى الفلسفة ، وطالبت بتعيين المرأة وطالبت بتعيين المرأة فى النيابة ، وتعديل قانون التجنيد الإجبارى حتى يمكن تجنيد المرأة ، وأسست مجلة بنت النيل .

ومنذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ أدت المرأة المصرية دوراً بارزاً فى الحياة السياسية والاجتماعية ، فقد شهد عام ١٩٥٤ تعيين عزيزة حسين لتكون أول امرأة مصرية وعربية تعين عضواً فى وفد مصر بالجمعية العامة للأمم المتحدة، ثم رأت لجنة دراسة أوضاع المرأة التابعة للأمم المتحدة عام ١٩٦١ .. وتحل عزيزة حسين منذ ذلك اليوم مكانة راقية عالمياً بين الرائدات .. ومؤخراً تم اختيارها لتكون ضمن أهم (٢٧) سيدة على مستوى العالم كان لهن دوراً مهماً فى إحداث تغييرات سياسية واجتماعية فى مجال التنمية .

وكان أهم ما تضمنه دستور ١٩٥٦ منح المرأة المصرية حقوقها السياسية والقيادية الكاملة لأول مرة ، وكانت راوية عطية أول نائبة فى مجلس الأمة عام ١٩٥٧ ، وكانت د. حكمت أبو زيد الحاصلة على درجة الدكتوراه من جامعة لندن أول وزيرة مصرية وعربية حين تقلدت منصب وزيرة الشؤون الاجتماعية عام ١٩٦٢ .

كما كانت صفية المهندس أول رئيسة للإذاعة المصرية من ١٩٧٥ – ١٩٨٢ ، وتماضر توفيق أول رئيسة للتلفزيون المصرى من ١٩٧٧ – ١٩٨٠ ، وأختيرت د. عائشة راتب كأول سفيرة لمصر فى الدنمارك عام ١٩٧٩ ، ثم فى ألمانيا بين عامى ١٩٨١ – ١٩٨٤ ، وانتخبت د. آمال عثمان كأول وكيلة لمجلس الشعب عام ١٩٩٧ .

أول سلام وطنى مصرى

اهتم المؤرخون للدولة المصرية القديمة بالحديث عن الموسيقى فى قصور الملوك الفرعنة ، ولكنهم لم يتحدثوا عن الموسيقى الرسمية أو اللحن الذى يعزف عند قدوم الملك لإحدى الاحتفالات الرسمية وربما كان ذلك لعدم وجود لغة تكتب بها الموسيقى فى ذلك الوقت .

وكان أول سلام وطنى مصرى حفظت لنا ألحانه المتميزة هو السلام الوطنى الذى بدأ عزفه فى عهد الخديو إسماعيل وظل هو السلام الوطنى حتى ١٩٦٠ .. ولم تحفظ كتب التاريخ الموسيقى الطريقة التى أصبحت بها هذه الموسيقى سلاماً وطنياً ، ويقول البعض أن الموسيقى الإيطالى " فيردى " كتب ألحان هذا السلام ، وعزف للمرة الأولى عام ١٨٧٢ ، ويقول البعض الآخر أن ألحان هذا السلام ليست إلا المقدمة الموسيقية (الكانتاتا) التى قدمت لأول مرة فى افتتاح دار الأوبرا وعزفت للمرة الأولى عام ١٨٦٩ .

وفى سنة ١٩٦٠ صدر قرار جمهورى بإتخاذ سلام وطنى جديد وهو المؤسس على لحن كمال الطويل لنشيد " والله زمان يا سلاحي " للسيدة أم كلثوم ، ولم يكن هناك كلمات مصاحبة للحن لذا كان يطلق عليه السلام الجمهورى .. وفى عام ١٩٧٤ صدر قرار جمهورى بالاكْتفاء بعزف الجزء الأول منه فقط ،

إلا أنه أجرى تعديل آخر عام ١٩٧٥ بالعودة لعزفه بالكامل كما كان.

وفى عام ١٩٧٩ صدر قرار جمهورى بتعديل السلام الجمهورى لجمهورية مصر العربية إلى اللحن الخالد لفنان الشعب سيد درويش " بلادى بلادى " والذى أعاد توزيعه الموسيقار محمد عبد الوهاب ، ثم صدر فى ديسمبر ١٩٨٢ قرار جمهورى بمراعاة أن تصاحب كلمات المقطع الأول من نشيد "بلادى بلادى" النوتة الموسيقية فى جميع الاحتفالات الشعبية والوطنية ، وأن يقتصر السلام الوطنى على عزف النوتة بغير نشيد فى حالة استقبال الرؤساء والوفود الأجنبية ، وفى غير ذلك من الأحوال التى تقتضى عزفه مع السلام الوطنى لدولة أجنبية.

قصر عابدين

كان فى الأصل قصرأ صغيرأ تملكه "حسن شاه خاتون " أرملة محمد بك عابدين أحد أمراء المماليك ، وقد أوقفته واشتراه الخديو إسماعيل من أصحاب الاستحقاق فى الوقف مقابل ١٨٠ فدانأ بعزبة برحكيم بالدقهلية ، وكتبت بذلك حجة شرعية باسم الخديو شخصياً ، وقد بناه الخديو بمبالغ وصلت فى ذلك الوقت إلى حوالى ٧٠٠ ألف جنيه بخلاف نفقات تأثيثه بأفخر الأثاث والتحف بما لا يقدر بثمن .

وقد بدأ العمل فى بناء قصر عابدين عام ١٨٦٣ م وافتتح عام ١٨٧٤ م وظل منذ ذلك الحين المقر الرسمى للدولة بدلاً من قصر الجوهرة بالقلعة .. وأقيم على مساحة قدرها ٢٤ فدانأ تشغل الحديقة منها ١٩ فدانأ ، وتبلغ مساحة القصر نفسه خمسة أفدنة .

وقد أقام الخديو إسماعيل فى أحد جوانب القصر ثكنات الحرس الخديوى، ثم فتح شارع عابدين وشارع عبد العزيز وجعلهما من الطرق المؤدية إلى القصر وخطط منطقة عابدين كلها وردم ما كان حولها من برك مثل بركة الناصرية وبركة السقايين وبركة الفوالة ، ثم أدخلت تعديلات بعد ذلك حيث هدم

حى الفوالة الذى يقع خلف بنك مصر ، وأنشئ حى أرض شريف مكان سراى محمد شريف باشا رئيس نظار مصر الأسبق .

وكان الحى الرئيسى فى عابدين حينذاك هو شارع البلاسة وما يحيط به ويتفرع عنه من حارات ، وكان حى الشيخ عبد الله فى ذلك الوقت جبانة أزيلت ولم يبق من معالمها غير مسجد الشيخ عبد الله وضريح الشيخ ريحان ومدفن عماد الدين صاحب الشارع الشهير المجاور لضريحه ، وقد كان عماد الدين هو الخادم الخاص لصلاح الدين الأيوبى .

أول وزارة في مصر

نظارة نوبار باشا التي تشكلت في ١٨٧٨/٨/٢٨ م .. ويذكر أنه كان مسموحاً فقط للسلطان العثماني في تركيا بإطلاق اسم الوزارة في تركيا ، أما في البلاد التابعة فهي مجرد نظارة .. ويرجع سبب تشكيل هذه النظارة إلى أنه نظراً لتدهور الأوضاع الاقتصادية في عهد إسماعيل واستمرار الضغط الأوربي لضمان الانتظام في سداد الديون ، أوصت لجنة التحقيق العليا وهي لجنة أوربية في يناير ١٨٧٨ ببحث أسباب العجز في الإيرادات واقتراح أوجه العلاج ، بتغيير نظام الحكم وبضرورة نزول الخديو عن سلطته المطلقة ، وكان مبعث هذا الاقتراح رغبة إنجلترا في زيادة قبضتها وسيطرتها على مصر .. وبالفعل تكونت نظارة نوبار باشا وقد شكلها من رياض باشا للداخلية وراتب باشا للجهادية وعلى باشا مبارك للأوقاف والمعارف العمومية ، واحتفظ لنفسه بنظارتين هما الخارجية والحقانية (العدل) ، وبعد مرور شهر أصدر الخديو مرسوماً بتعيين مستر ريفرس ويلسون الإنجليزي ناظراً للمالية ومسيو دي بليز الفرنسي ناظراً للأشغال العمومية ، وهنا يتضح أن إنشاء نظام الوزارة في مصر لم يكن دعماً للحركة الدستورية بل تكريساً للنفوذ الأجنبي بمعنى أنه حد من سلطة الخديوي من أجل مصلحة القوى الأجنبية.

وكان من القرارات التي اتخذتها هذه النظارة تسريح ٢٦٠٠ ضابط مما أشعل المعارضة لها في خارج وداخل مجلس شورى النواب ، وقام الضباط بمظاهرة في ١٨ فبراير ١٨٧٩ مما أدى إلى إعفاء النظارة في ١٨٧٩/٢/٢٣ .

ومن الجدير بالذكر أن نوبار باشا لم يكن مصرياً ، بل كان أرمنياً ولد في أزمير عام ١٨٢٤ ، وتعلم في فرنسا وسويسرا ، ثم جاء إلى مصر وعمل في الترجمة ، ثم سكرتيراً خاصاً لإبراهيم باشا ، ثم سكرتيراً لعباس باشا ، ثم مديراً للسكة الحديد في عهد سعيد ، ثم رسولاً لإسماعيل في أوروبا لحل المشكلات (الممثل الشخصي) وكان صاحب فكرة المحاكم المختلطة ، وعندما تقرر إنشاء الحكومات تم اختياره أول رئيس للحكومة المصرية.

وفي ١٨٧٩/٤/٧ كلف محمد شريف باشا بتأليف أول نظارة مصرية خالصة تكون مسؤولة أمام مجلس شورى النواب تحت ضغط من جميع القوى السياسية في مصر ، وهو الضغط الذي تبلور في لائحة وطنية في نفس الشهر وطالب بتشكيل نظارة مصرية بلا أجنب.

ويرجع أصل الوزارة إلى مجموعة الدواوين التي أنشأها محمد علي ، وعدل في تكوينها عدة مرات ، وكانت تتكون أساساً من مجموعة من الموظفين، وفي البداية أنشأ محمد علي الديوان العالي والذي سمي أحياناً بالديوان الخديوي أو ديوان الوالي أو ديوان المعاونة ومقره القلعة ، وتكون من عدد من كبار الموظفين ورأسه نائب الوالي ليقوم بالتداول في شئون الحكم قبل التنفيذ ، كما أوجد الوالي لكل مجال من مجالات الحكم ديواناً مثل ديوان الجهادية وديوان البحرية وديوان الأشغال وديوان المدارس وديوان التجارة وكانت بمثابة فروع من الديوان العالي .

وفي عام ١٨٣٤ أنشئ المجلس العالي ويتكون من نظام الدواوين وعدد

من كبار الموظفين واثنين من العلماء يختارهم شيخ الجامع الأزهر واثنين من التجار يختارهم كبير تجار العاصمة ، واثنين من ذوى المعرفة بالحسابات ، كما يضم اثنين من الأعيان عن كل مديرية ، ومدة عضوية المجلس سنة ، وأكد محمد على ضرورة استماع رئيس المجلس إلى الآراء المختلفة وألا يتحدث قبل الأعضاء حتى لا يتأثروا برأيه وأن تكون المناقشة جادة وفى إطار حر .

وفى عام ١٨٣٧ أصدر محمد على القانون الأساسى (السياساتمة) وأشار فيه إلى أن النظام الأمثل لمصر يتطلب تركيز السلطات فى يد الحاكم ، وأن تكون جميع المصالح المتعلقة بالأمر الداخلى مرجعها إلى ديوان واحد ، وحدد اختصاصات الحكم فى سبعة دواوين عرفت باسم دواوين العموم ، وفى عام ١٨٤٧ استكمل البناء الحكومى بإنشاء ثلاثة مجالس أخرى .

وكانت الدواوين أجهزة فنية معاونة ذات صفة استشارية ، ولم يكن لها سلطة اتخاذ القرار التى ركزت فى يد الوالى ، واستمر هذا الوضع أساساً فى الفترة التى تلت محمد على باستثناء بعض التعديلات التنظيمية ، فقام عباس باشا بإعادة تكوين المجلس الخصوصى ، كما أعاد سعيد باشا تنظيم الدواوين فى أربعة فقط .

وأول وزارة تألفت فى ظل الاحتلال الإنجليزى كانت تحت رئاسة محمد شريف باشا (أغسطس ١٨٨٢ - يناير ١٨٨٤) وكانت هى النظارة التى تلقت التبليغ الإنجليزى الشهير ومؤداه أن على النظارة والمديرين المصريين ضرورة اتباع نصائح ممثلى حكومة جلالة الملكة أو التخلّى عن مناصبهم ، حتى قدمت النظارة استقالته نتيجة الخلاف مع الإنجليز حول موضوع إخلاء السودان .

ومع إعلان الحماية الإنجليزية على مصر عام ١٩١٤ تغير اسم النظارة إلى الوزارة دون أن يترتب على ذلك تغير فى الاختصاصات .. ولم يكن تغيير

الاسم مسألة شكلية بل حمل معنى قطع العلاقة مع الدولة العثمانية ، فقد كان سبب عدم لجوء مصر إلى تسمية الوزارة راجعاً إلى شيوع تسمية الوزارة العثمانية ولم يكن من المقبول أن يستخدم التابع والمتبوع نفس الاسم .

وأول وزارة سياسية في تاريخ مصر هي وزارة عدلى يكن باشا (مارس ١٩٢١ - ديسمبر ١٩٢١) فالوزارة خلال فترتي الاحتلال والحماية لم يكن لها وجود سياسى أو إرادة سياسية مستقلة ، وإنما ارتبطت دائماً بالخدويو أو سلطة الاحتلال ، ولكن نتيجة تصاعد الحركة الوطنية واعتراف إنجلترا بمبدأ القبول بإنهاء الحماية تغيرت طبيعة الوزارة لأن هدفها أصبح إجراء المفاوضات مع الإنجليز لتحديد شكل العلاقة بين البلدين .

وأطول وزارة في التاريخ المصرى هي وزارة مصطفى فهمى باشا (نوفمبر ١٨٩٥ - نوفمبر ١٩٠٨) وكانت أطول الوزارات عمراً وأكثرها إذعاناً لرغبات الإنجليز وأشدّها ممالاة لهم ، ومع بداية عهد الوفاق بين الخديوى وسلطة الاحتلال ١٩٠٧ - ١٩١١ استقال مصطفى فهمى ، واختار الخديوى بطرس باشا غالى رئيساً للحكومة فى نوفمبر ١٩٠٨ .. وأقصر الوزارات عمراً فى تاريخ مصر هي وزارة أحمد نجيب الهللى الثانية (٢٢ يوليو ١٩٥٢ - ٢٤ يوليو ١٩٥٢) وهي آخر وزارات مصر قبل الثورة.

كان يوماً

" حامى حمى الديار المصرية "

أحمد عرابى .. ولد فى ٣١ مارس ١٨٤١ بقرية " هرية رزنة " على مقربة من الزقازيق بمديرية الشرقية ، كان أبوه شيخ البلد ، تعلم احمد عرابى مبادئ القراءة والكتابة فى كتاب القرية ، وتدرّب على الكتابة والأعمال الحسابية على يد صراف البلدة نحو خمس سنوات ، ثم أرسله أبوه إلى الجامع الأزهر عام ١٨٤٩ ومكث فيه أربع سنوات ، ورجع إلى بلدته قبل أن يتم دراسته.

وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمره انتظم فى سلك الجنديّة وتدرج فى الجيش حتى وصل إلى رتبة القائمقام عام ١٨٦٠ وكان أول مصرى يصل إلى هذه الرتبة .. ثم فصل احمد عرابى فى عملية لتقليص عدد الجيش ثم عاد مرة أخرى إليه .. وفى عهد الخديو إسماعيل شهد احمد عرابى ظلم رؤساء الجيش الشراكسة والأتراك ومحاباة صغار الضباط الشراكسة لأنهم من مماليك أو أبناء مماليك العائلة الخديوية ، ومنذ ذلك الحين بدأ يبيت فى نفوس الضباط الوطنيين فكرة الاتحاد والمطالبة بحقوقهم ، وفى يونيو ١٨٧٩ رقى عرابى إلى رتبة أميرالاي وعين على آلاى المشاة الرابع الذى كان مركزه القاهرة ، ويعرف بآلاى العباسية وظل يشغل هذا المنصب حتى شبت الثورة العرابية - التى نسبت إليه - عام ١٨٨١.

وكانت أول بادرة للثورة العرابية الشكوى التى قدمها احمد عرابى

وعبدالعال حلمى وعلى فهمى باسم الضباط المصريين إلى رياض باشا للمطالبة بعزل عثمان رفقى الشركسى ناظر الحربية والذى كان يتحيز للضباط الشركسة والأتراك ، وبدلاً من فحص الشكوى قرر مجلس النظار فى ٣١ يناير ١٨٨١ محاكمة الضباط الثلاثة أمام مجلس عسكرى وأصدر ناظر الحربية أمراً بالقبض عليهم وسجنهم فى ثكنات قصر النيل ، ولم يكذب يتم القبض حتى هجم الآلاى الأول (وكان مقره بقشلاق عابدين) واقتحم الجنود الديوان وأطلق سراح الضباط الثلاثة ، وسار الجميع إلى قشلاق الآلاى الأول بعابدين ، وهناك انضم إليهم آلاى طره ، وكان من نتيجة احتشاد الجنود بأسلحتهم على هذا الوجه أن أذعن الخديو لمطالب عرابى فعزل عثمان رفقى وأسندت نظارة الحربية إلى محمود سامى البارودى عضو الحزب الوطنى ، وصديق الضباط (الفلاحين) وأكبر شعراء القرن التاسع عشر فى العالم العربى .

ولكن الخديو ما لبث أن غضب على البارودى فقدم استقالته ، وشددت الحكومة قبضتها على الضباط وحرمت عليهم الاجتماعات ، وكان لحادثة قصر النيل فى أول فبراير ١٨٨١ أثرها البالغ فى الأمة التى وجدت فى عرابى ضالتها المنشودة ، ووجدت رجلاً تكمن قوته فى إخلاصه وجرأته وبلاغته الخطابية وتدينه وتعبيره عن آمال الأمة وآلامها ، وأخذ عرابى يجمع التوقيعات لعريضة شاملة تهدف إلى زيادة عدد الجيش ، وإعادة الحياة النيابية وإسقاط نظارة رياض .

وفى ٩ سبتمبر ١٨٨١ توجه عرابى على رأس الجيش فى مظاهرة عسكرية انضمت إليها جموع الشعب التى وفدت من الأقاليم لمناصرة عرابى ، وذلك لعرض مطالب الجيش على الخديو ، وقال عرابى كلمته المشهورة وهو ممطياً صهوة جواده " لقد خلقنا الله أحراراً ، ولم يخلقنا تراثاً وعقاراً ، فو الله الذى لا إله إلا هو لن نورث ولن نستعبد بعد اليوم " وأمام الضغط أذعن

الخدوي، وسقطت نظارة رياض ، وعهدت النظارة إلى محمد شريف باشا وتم إجراء انتخابات عامة وأطلقت الحريات وأعيد المنفيون إلى البلاد ، وحين بلغ المد الثوري غايته تنكر الخديوي للحكم الدستوري ، وكان أن سقطت نظارة شريف ، وأجبر الخديوي على اختيار البارودي رئيساً للنظارة التي عرفت فيما بعد بنظارة الثورة وتولى فيها عرابي نظارة الحربية في ٤ يناير ١٨٨٢ .

وحيثذاك تدخل الاستعمار ممثلاً في إنجلترا وفرنسا للقضاء على هذا النصر السياسي للأمة مما دفع الدولتان إلى الاتفاق على التدخل المسلح في شؤون البلاد بدعوى إنقاذ عرش الخديوي ، وقامت الدولتان في ١٩ مايو ١٨٨٢ بمظاهرة بحرية في ميناء الإسكندرية وفي ١١ يونيو ١٨٨٢ حدثت مذبحة الإسكندرية عقب أن قتل رجل مالطي من رعايا بريطانيا أحد المصريين ، وقد أدت هذه المذبحة إلى ازدياد التقاف الشعب حول عرابي .

، وعمل عرابي على تفوية الاستحكامات في الإسكندرية والقاهرة ومصطفة قناة السويس ، وفي ١١ يوليو ١٨٨٢ ضرب الأسطول البريطاني الإسكندرية بمدفعه التي أخذت تشيع الدمار وتحصد الأرواح وأصابت العديد من المنازل ، وقد دافعت الحاميات دفاع المستميت وتقاتل الأهالي في الدفاع عن المدينة رغم أن الحرب كانت حرب مدافع وسفن ، وقد أدرك الثوار بقيادة عرابي أن الإنجليز لا بد محتلون الإسكندرية بعد أن دكوا حصونها فقرر الانسحاب منها للمقاومة في الداخل .. وفي هذا الوقت دبر أعوان الخديوي مؤامرة إحراق الإسكندرية ، وحاولوا إلصاق الجريمة بعرابي بينما كان الرجل يتراجع بجيوشه إلى كفر الدوار ليحتمي البلاد من تقدم جيوش الغزو .

وعسكر عرابي في كنج عثمان بالقرب من كفر الدوار ، وفي ٢٠ يوليو ١٨٨٢ أصدر الخديوي أمراً بعزل عرابي من نظارة الحربية ، واحتل الإنجليز

مدينة السويس فى ٢ أغسطس ، وفى ٥ أغسطس ١٨٨٢ حدثت موقعة الرمل ، وفى ٧ أغسطس حدثت موقعة عزبة خورشيد ، وانتصر المصريون فى الموقعتين ، وفى ٢٠ أغسطس ١٨٨٢ احتل الإنجليز بورسعيد والقنطرة والإسماعيلية وتم للإنجليز احتلال القناة بعد خيانة ديلسيبس الذى سمح للإنجليز باستخدامها بعد أن تعهد لعرابى بالأى يفعل ذلك ، وكان عرابى بناء على هذا التعهد قد رفض أن يردم القناة .

وفى ٢٣ أغسطس ١٨٨٢ احتل الإنجليز نفيشة وكان الثوار يرابطون بها ، وفى ٢٥ أغسطس استولوا على " المسخوطة " ثم " المحسمة " فانقل عرابى بجيشه إلى معسكر التل الكبير ، ثم حدثت موقعة القصاصين الأولى فى ٢٨ أغسطس والثانية ٩ سبتمبر ١٨٨٢ وهى التى هزم فيها الجيش المصرى نتيجة لخيانة الأميرالاي على يوسف خنفس ، وفى ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ حدثت موقعة التل الكبير واستنسل الجيش المصرى وكاد ينتصر لولا عوامل الخيانة ، وفى ظهر هذا اليوم رجع عرابى إلى القاهرة ، ثم احتلت جيوش المعتدين مدينة بلبيس فى ١٣ سبتمبر ، واحتلت القاهرة فى ١٤ سبتمبر ، وتمت هزيمة الثورة العرابية بدخول الخديوى توفيق إلى القاهرة فى حماية جيوش الاحتلال .

واعقل أحمد عرابى وزعماء الثورة العرابية ، وحوكموا أمام محكمة عسكرية بتهمة عصيان الخديوى ، وكانت محاكمة عرابى فى ٣ ديسمبر ١٨٨٢ ، وصدر الحكم بإعدامه ثم تلاه صدور الحكم بإبدال الإعدام بالنفى المؤبد ، ثم حوكم زملاء عرابى الستة وهم محمود سامى البارودى ومحمود فهمى ويعقوب سامى وعبد العال حلمى وعلى فهمى والديب وطلبة عصمت ، وحكم عليهم جميعاً بالإعدام ثم عدل الحكم إلى النفى المؤبد ، وأصدر الخديوى أمراً فى ١٤ ديسمبر بمصادرة أملاك الزعماء السبعة المحكوم عليهم ورحلوا

عن أرض الوطن في ٢٨ ديسمبر ١٨٨٢ حيث أقلتهم الباخرة إلى سيلان ،
ووصلوا إلى ميناء كولمبو في ٩ يناير ١٨٨٣ وقاسوا آلام النفي والاعتراب.

وبعد تسعة عشر عاماً من النفي أصدر الخديوى عباس حلمى الثانى
عفوهُ عن أحمد عرابى فرجع فى أول أكتوبر ١٩٠١ ، وأودع أحمد عرابى فى
بيته العتيق بالمنيرة لا يغادره ، وفى مساء ٢١ سبتمبر ١٩١١ لفظ عرابى آخر
أنفاسه ولم يكن بمنزله ما يكفى لتجهيزه ودفنه .. وخرجت جنازته فى صمت
ومن خلفها أولاده وأهله لأنه لم يكن مسموحاً لأحد بأن يسير فى جنازته ، ولكن
مصر كلها كانت تتن لوفاة من كان يوماً " حامى حمى الديار المصرية " .

محمد عبده

يؤسس أول صحيفة عربية في أوروبا

عاش في الفترة بين (١٨٤٩ - ١٩٠٥) ، ولد بقرية " محلة نصر " بالغربية من أبوين متوسطي الحال ، وتعلم القراءة والكتابة بمنزل والديه دون أن يذهب إلى كتاب القرية ، وبعد أن جاوز العاشرة من عمره وأتم حفظ القرآن الكريم ، ذهب إلى الجامع الأحمدي في طنطا ليتم تجويد القرآن ودراسة قواعد اللغة العربية ، غير أن منهج التعليم بالجامع الأحمدي كان عراً وشاقاً حتى كاد الصبي أن يصاب باليأس ويشغل بالزراعة لولا أن التقى بأحد أخوال أبيه (الشيخ درويش) فاستطاع أن يوجهه توجيهاً سليماً .

ثم التحق بالأزهر عام ١٨٦٦ حيث قضى حوالى ثلاث سنوات ولم يجن فائدة تذكر من الدروس ، وما لبث أن انصرف عن العلوم الأزهرية وتطلعت نفسه إلى علوم جديدة .

وكان من حسن حظه أن التقى بجمال الدين الأفغانى ، واستطاع بفضل معاونته أن يقبل على الحياة العامة ، وأخذ يبذل جهده للتحرر من سلطان العرف السائد والتقاليد الموروثة ، وأخذ يقرأ ما ينقل إلى العربية من ثمرات الثقافة الغربية .

وفى عام ١٨٧٧ تقدم لامتحان العالمية فى الأزهر وظفر بالشهادة رغم

الشكوك التي حامت حول اسمه لاتصاله بجمال الدين الأفغانى ، ولكتابتته
الفصول التى يدعو فيها إلى التجديد وترك الجمود والتقليد ، وأصبح من حق
محمد عبده أن يقوم بالتعليم فى الأزهر ، فأخذ يلقى فيه دروساً فى التوحيد
والمنطق والأخلاق ، ثم عين مدرساً للتاريخ فى دار العلوم ومدرساً للغة العربية
فى مدرسة الألسن ، واستمر حتى تولى الخديو توفيق ، فأمر بنفى جمال الدين
الأفغانى من مصر وعزل محمد عبده من دار العلوم.

ولكن رياض باشا أراد إصلاح جريدة الوقائع المصرية وكانت لسان
الحكومة الرسمى ، فعين محمد عبده محرراً بها ثم رئيساً لتحريرها وكان يرى
أن غايته رفع مستوى الأمة فى تدرج وأناة وتطور ، وكان يرى أن ذلك يتم إذا
سلك قاداتها سبيل التنقيف والتربية ونشر التعليم لا سبيل لتقليد الغرب من غير
فهم ولا إدراك عميق أو التمسك بظواهر المدنية المادية مع الغفلة عن صميم
المدنية الروحية الصحيحة.

وفى أثناء ثورة احمد عرابى اشترك فيها محمد عبده حتى صار أحد
القيادات المدبرة لثئون الحكومة الوطنية ، وبعد فشل الثورة أتهم محمد عبده
بالتآمر مع رجال الثورة فحكم عليه بالسجن ثم بالنفى ثلاث سنوات فاختار
سوريا منفى له ورحل إليها فى عام ١٨٨٣ ، ولكن إقامته لم تطل فيها إذ دعاه
الافغانى إلى اللحاق به فى باريس ، ووصل إليها عام ١٨٨٤ وهناك عمل مـ
أستاذه على تأسيس جمعية وصحيفة باسم " العروة الوثقى " التى كانت أول
صحيفة عربية ظهرت فى أوروبا ، وكانت تدعو لتقوية أواصر الجامعة العربية
ودفع عدوان الغرب عن الشرق بوجه عام ومكافحة التسلط الأجنبى والطفغان
الداخلى وإنقاذ مصر من الاحتلال البريطانى بوجه خاص ، وحال الإنجليز دون
توزيع هذه الصحيفة فى البلاد العربية واضطر إلى مغادرة باريس عام ١٨٨٥
إلى بيروت حيث عهد إليه بالتدريس فألقى فيها دروسه المشهورة فى "علم

الكلام" التي كانت أصلاً لرسالته عن الله وصفاته وأعماله وهى " رسالة التوحيد"، كما ألف جمعية دينية سرية كان من أهدافها التقريب بين الأديان الكبرى وأنضم إليها القس " اسحاق تيلر " راعى الكنيسة الإنجليزية الذى نشر فى لندن عدة مقالات عن الإسلام ، ويبدو أن نشاط محمد عبده فى هذه الجمعية فسر فى تركيا تفسيراً سياسياً يناقض مصالح الخلافة العثمانية مما دفع السلطان عبد الحميد إلى السعى لدى الحكومة البريطانية لإصدار العفو عنه ودعوته إلى مغادرة سوريا.

وعاد إلى مصر عام ١٨٨٨ فعين قاضياً بالمحاكم الشرعية ثم مستشاراً فى محكمة الاستئناف ثم عين عضواً بمجلس إدارة الأزهر ، ووضع مشروعه الإصلاحى المشهور لإصلاح الأزهر ، ولكنه لم يستطع تنفيذه لكثرة ما وضع فى طريقه من عقبات .

وما لبث أن عين مفتياً للديار المصرية عام ١٨٩٩ وأشهر الفتاوى التى أصدرها ثلاث ، الأولى تبيح للمسلمين ادخار أموالهم واخذ الفوائد والأرباح عليها ، والثانية تبيح لهم أن يأكلوا من ذبائح غير المسلمين عند الضرورة ، والثالثة تبيح لهم أن يلبسوا زى غير زيهم التقليدى تيسيراً لهم فى أمور معاشهم، وقد سببت هذه الفتاوى كثيراً من المجادلات ، وجلبت عليه ضروباً من التشهير لم تكن الدوافع إليها دينية خالصة فى أكثر الأحيان.

علاق الأدب العربي

" ما أجدر هذا أن يكون كاتباً بعد " .. قالها الإمام محمد عبده عندما زار المدرسة التي التحق بها عباس محمود العقاد تلميذاً صغيراً ، وكان من عادة أستاذ الإنشاء بالمدرسة أن يعرض كراسات موضوعات الإنشاء للعقاد على كبار الزوار ، وأثنى الأستاذ الإمام على التلميذ الصغير ، وصدقت نبوءته.

ولد الشاعر الأديب عباس محمود العقاد في أول يوليو ١٨٨٩ بأسوان ، ولم ينل إلا الشهادة الابتدائية التي مكنته من العمل في إحدى الوظائف الصغيرة بالدولة ، غير أنه ضاق بالوظيفة الرتيبة فاستقال واشتغل بالتدريس مدة ما ، ثم بدأ يكتب في جريدة الدستور ثم في غيرها من الصحف حتى أصبح عميداً لكتاب حزب الوفد الذي أنشأه سعد زغلول ، بل أصبح عميداً لكتاب الصحف بمقالاته الدقيقة الفذة وأسلوبه اللاذع .

وفد تميزت كتب العقاد - وهي نحو مائة كتاب وديوان شعر - بالعمق والدراسة الأصيلة ، وقد تأثر تأثراً شديداً بفلسفة القرن التاسع عشر ، وعرفهم عن طريق قراءات في اللغة الإنجليزية التي أتقنها إتقاناً تاماً .. ومن أهم المزايا التي حققت هذه المكانة للعقاد تمسكه بكرامته وبرأيه وإحساسه بأن الحاجة إلى لقمة العيش لا تعنى أن يدوس هذه الكرامة ، ولهذا عاش متواضعاً يسير على

قدميه ، ويركب المترو من ضاحية مصر الجديدة إما إلى مقر عمله في إحدى الصحف أو إلى واحدة من مكاتب القاهرة يجمع منها أحدث ما وصل إليها من الكتب.

وكان معتداً بنفسه جريئاً في الحق الأمر الذى أدى به إلى السجن فى عهد الملك فؤاد حين أعلن فى مجلس النواب أن الشعب على استعداد لتحطيم أكبر رأس تقف دون الأمنى واستقلال وحرية البلاد.

وكان له فى صباح يوم الجمعة من كل أسبوع ندوة فى منزله بمصر الجديدة يجلس إليه فيها مجموعات من الشباب والشيوخ يستمعون إليه ويناقشونه فى الآراء المختلفة ، ولم يكن يتردد مطلقاً فى أن يعلن رأيه صراحة لأنه كان يرى أنه صاحب رسالة.

وفى عام ١٩١٦ ظهر الجزء الأول من ديوان العقاد الذى اسماه فى الطبعات التالية " يقظة الصباح " وقد امتازت قصائد هذا الديوان بما يسمى بالوحدة العضوية ، فكانت القصيدة تقوم على موضوع واحد تتناوله من شتى نواحيه فى وحدة سلسلة وترابط منطقي.

وفى عام ١٩٢١ ظهر الجزء الأول والثانى من كتاب " الديوان " واشترك معه فى تحريره المازنى ، وهاجم العقاد فى كتاب الديوان شعر شوقى هجوماً عنيفاً ، ونقده نقداً مريراً رداً على هجوم شوقى عليه .. وكان العقاد مولعاً بالتجديد والإبداع ، وقد دفعه هذا الولع إلى الإسهام فى خلق مدرسة شعرية جديدة هى مدرسة شعراء الديوان التى تعد أساساً للأدب الرومانسى فى الأدب العربى .. وقد هاجم العقاد طيلة حياته الشعر الحر وثار على الابتذال والعامية والسوقية.

وقد صدر للعقاد فى حياته عدة دواوين منها الجزء الأول من ديوانه حى

الأربعين ، هدية الكروان ، عابر سبيل ، أعاصير مغرب ، بعد الأعاصير ، كما
خلف العقاد ثروة كبيرة من المؤلفات فى الأدب والنقد والدفاع عن الإسلام
وتحليل عبقرياته ومن كتبه " ابن الرومى " و "مراجعات" و "مطالعات "
و"الفصول" و " ساعات بين الكتب " و " شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل
الماضى " و " النازية والأديان " و " فى بيتى " .

توفى فى مارس ١٩٦٤ ودفن فى أسوان مسقط رأسه .. ومن شعره :-

وقولى ما صنعت وما صنعتُ

سلينى كيف كنت وكيف صرت

وهأنذا كأنى ما قدرتُ

قدرت على الحوادث بعد لآى

سيد درويش

" احفظوا اسم هذا الشاب ، واذكروا أنى فخور به ، معتر بفنه ، ولتعلمن نبأه بعد حين " .. كلمات قالها سلامة حجازى وهو يقدم سيد درويش على مسرح (عباس) لأول مرة .

بالموسيقار الكبير سيد درويش يبدأ عهد جديد لتاريخنا الفنى الغنائى والمسرحى ، فقد نهض سيد درويش بالموسيقى ، وبعد أن تركها عبده الحامولى عربية خالصة ، جاء سيد درويش وجعلها عربية واقعية مما يجعلك تحس بنبضات من يلقبها .

ولد سيد درويش بكوم الدكة بالإسكندرية فى ١٧ مارس ١٨٩٢ لأب يعمل نجاراً ويملك حانوتاً صغيراً للتجارة البسيطة ، وينتمى بكل كيانه ومشاعره إلى طائفة النجارين ، ونشأ سيد درويش موسيقياً بطبيعته منذ أن بدأ يحفظ القرآن الكريم سواء فى مدرسة (شمس المدارس) بكوم الدكة أو بالمعهد الدينى بالإسكندرية .

وعندما توفى أبوه وهو فى السابعة استطاع سيد درويش أن يقوم بأعباء أسرته عن طريق هذا الصوت وذلك الذوق الفنى بتلاوة القرآن الكريم والسيرة النبوية فى البيوت ، أو الغناء فى المحلات العامة كقهوة (أبو راضى) بحى

الجنينة باللبن ، وقهوة (أمينة المنصورية) باللبن أيضاً ، وبالقهوة (العالية) وقهوة (السلام) بالمنشية الصغرى .

واضطر سيد درويش حيناً إلى اعتزال الغناء إثر أزمة اقتصادية ألمت بالبلاد ، وابتعد الناس خلالها عن الغناء ، واشتغل مناوياً عند أحد المقاولين يحمل الطوب والأحجار إلى البناء ويصعد الأدوار العليا ثم يهبط إلى الأرض ، فصور له ذلك شأن الدنيا من إقبال وأدبار ، وعكس ذلك كله في أغانيه .. وفي تلك الفترة سمعه مصادفة (سليم عطا) أحد أصحاب الفرق الغنائية وأحبه بفرقته التي سافرت خارج البلاد عام ١٩٠٩ ولم تلق هذه الرحلة نجاحاً ، فسافر مرة أخرى عام ١٩١٣ واجتمع في سوريا بأقطاب الموسيقى والغناء مثل (عثمان الموصلى) مما كان له أكبر الأثر في دراسته الموسيقية.

وفي عام ١٩١٧ كان سلامة حجازى مصاباً بالشلل عندما دعاه جورج أبيض لتلحين أول أوبريت ستقدمه فرقته الجديدة ، وهو أوبريت " فيروز شاه " فاعتذر الشيخ بمرضه ، واقترح على جورج أبيض اسماً جديداً وهو سيد درويش ، وسرعان ما استدعاه جورج ومنحه مرتباً لا يحلم به وهو ثمانية عشر جنيهاً في الشهر.

وتصاعد نجم سيد درويش وتبلورت عبقريته ، وبلغت قدرته الموسيقية أنه كان في وسعه أن يلحن خمس روايات في شهر واحد .. وفي عام ١٩٢١ أنشأ فرقته الخاصة التي أخرج لها روايات (شهرزاد - البروكة - العشرة الطيبة) .

وتمتاز ألحان سيد درويش المسرحية بشعبيتها وسهولتها ، وقد كان في ألحانه زاهداً عن التخت وسيطرته ، كما أدخل الهارموني والكونترابنت في الآلات .. وقد لحن في ست سنوات بين عامي ١٩١٧ - ١٩٢٣ ما يقرب من

عشرين مسرحية تزيد ألقانها على المائتى لحن ، وكان أشهر هذه المسرحيات (فشر - قولوا له - أش - رن - العشرة الطيبة) لفرقة نجيب الريحانى ، و(مرحب - الهلال - أم ٤٤ - راحت عليك - البربرى فى الجيش - الانتخابات) لفرقة على الكسار ، (كلها يومين - كليوباترا) لفرقة منيرة المهديّة.

أما بالنسبة للأدوار والتواشيح والتي تعتبر معجزة فنية إلى يومنا هذا ، فنذكر منها دور " أنا هويت وانتهيت " و " فى شرع مين " و " أنا عشقت " ، كما لحن مجموعة من الطقاتيق أهمها " زورونى كل سنة مرة " .

إن الميزة الأولى لألحان سيد درويش هو بساطتها وسرعة انتشارها بين الناس لأنهم وجدوا فيها أنفسهم ، وقدرتها على التصوير والتعبير فى زمن لم تكن تعرف فيه موسيقانا ولا أغانينا إلا التطريب ، وقد حاول سيد درويش الانطلاق بالموسيقى العربية إلى العالمية ، ففى رواية البروكة وهى تعريب لأوبريت (لاماسكوت) الفرنسية ، حاول سيد درويش وضع موسيقى عالمية يمكن أن يفهمها كل إنسان فى أى بلد من البلاد ، وفى كليوباترا ومارك انطونيو حاول تجربة أسلوب الأوبرا ، ولكنه توقف عن العمل فجأة لأنه لم يرض عن نفسه ، وقرر السفر إلى إيطاليا لدراسة هذا الفن .

وفى يوم ١٥ سبتمبر ١٩٢٣ ، وعندما كان فى زيارة للإسكندرية تمهيداً للسفر إلى إيطاليا مات سيد درويش فجأة فى بيت شقيقته بحى محرم بك ، وفى مدافن المنارة بالإسكندرية رقد الشاب الذى استطاع خلال حقبة قصيرة للغاية أن يصنع تاريخاً مجيداً .. ولم يخلف من حطام الدنيا سوى بيتاً صغيراً بجزيرة بدران وخاتماً من الماس ، وجهازاً لتسجيل الاسطوانات .. وعوداً.

أول دولة عربية وأفريقية عرفت السينما

شاهد الجمهور أول عرض سينمائي في العالم في ١٨٩٥/١٢/٢٨ في باريس ، وفي العام التالي شهدت مصر أول عرض سينمائي وكان فيلماً مصنوعاً في فرنسا ، ونتيجة للنجاح الذي تحقّق من هذا العرض انتشرت صالات السينما في القاهرة والإسكندرية وغيرها ، إلا أن الجمهور المصرى بدأ يمل مشاهدة المناظر الأجنبية التى ليس بينه وبينها أى رابط ، فما كان من أحد الأجانب المقيمين بالإسكندرية إلا أن أرسل فى طلب كاميرا وفنى من فرنسا ، وهكذا عرض فى عام ١٩١٢ " ميدان الأوبرا بالقاهرة " و " السائحون على ظهور الجمال عند أهرامات الجيزة " و " عودة الخديوى من الإسكندرية " و " حركة المسافرين فى محطة سيدى جابر " .

وبعد ذلك بقليل فكر بعض الأجانب فى الإسكندرية فى إنتاج أفلام روائية قد تحقّق لهم الربح ، وكان أن كون مصور فوتوغرافى إيطالى شركة مصرية إيطالية قام بتمويلها أحد المصارف الإيطالية ، وأنتجت هذه الشركة "شرف البدوى" و " الزهور القاتلة " و " نحو الهاوية " ، وقد عرضت هذه الأفلام فى إحدى دور السينما بالإسكندرية عام ١٩١٨ وقد فضلت هذه الأفلام فشلاً ذريعاً بسبب ضعف مواضيعها وعدم وجود أى رابط بين المناظر المختلفة

إضافة إلى أن الممثلين كانوا من الأجانب ، وتوالت بعد ذلك الأفلام القصيرة وقد نجح بعضها وفشل البعض الآخر .

ثم بدأت محاولات محمد بيومي والذي يعد الرائد الأول بحق لصناعة السينما في مصر ، فقد كان أول مصري سافر إلى ألمانيا في ١٩١٩ لدراسة الفن السينما والتصوير السينمائي ، وأول مصري يؤسس استديو سينمائي ١٩٢٢ ، وأول مصري وقف خلف الكاميرا ، وأنتج أول جريدة سينمائية هي " جريدة آمون " ١٩٢٣ ، وأول مصري صور واخرج фильماً روائياً قصيراً " الباشكاتب " ١٩٢٤ ، وأول مصور سينمائي بشركة مصر للتمثيل والسينما إحدى شركات بنك مصر ١٩٢٥ ، وأول مصري يفتح معهداً لدراسة الجانب الصناعي لفن السينما ١٩٣٣ وجعل الدراسة فيه بالمجان .

ويمكن أن يقال أن صناعة السينما في مصر لم ترسخ إلا في عام ١٩٢٧ عندما أسست عزيزة أمير ممثلة المسرح مع وداد عرفى أول شركة سينما فوتوغرافية ، وكان باكورة إنتاج هذه الشركة فيلم " ليلي " والذي اعتبر أول فيلم روائي مصري أخرج بأيدٍ مصرية وأموال مصرية ، وقام بالتمثيل عزيزة أمير ووداد عرفى واستيفان روستى واحمد جلال والراقصة المشهورة في ذلك الوقت بمبة كشر وتكلف الفيلم حوالي ثلاثة آلاف جنيه ، وبدأ سيل الأفلام المصرية يتدفق بعد ذلك ، وكان آخر الأفلام المصرية الصامتة فيلم " زينب " عن قصة الدكتور محمد حسين هيكل ، وعرض هذا الفيلم عام ١٩٣٠ وحقق نجاحاً كبيراً .

أما أول فيلم مصري ناطق فهو فيلم " أنشودة الفؤاد " الذي أنتجته " أفلام بهنا " وقد جمع هذا الفيلم نخبة من نجوم التمثيل في مصر منهم المطربة نادرة والملحن زكريا احمد وجورج أبيض ودولت أبيض وعبد الرحمن رشدي ، وألف

أغانى الفيلم عباس محمود العقاد ، وتم تصويره فى باريس وعرض بالقاهرة عام ١٩٣٢ ، ولكن نجاحه كان متوسطاً ، وكان أن ترك إخوان بهنا الإنتاج وألفوا أول شركة للتوزيع فى العالم العربى .

أما أول ستديو مصرى كامل المعدات فكان " ستديو مصرى " الذى افتتح فى أول أكتوبر عام ١٩٣٥ ، ثم تتابع إنشاء الاستديوهات فى القاهرة والإسكندرية ، ثم ظهرت الأفلام الملونة فى مصر بعد الحرب العالمية الثانية . وكانت فى البداية ترسل إلى الخارج لتحض ولكن المعامل ما لبثت أن جهزت بكل أدوات تحميص الفيلم الملون .

رائد أدب الأطفال فى العالم العربى

كان له خال كفيف يحكى له الحكايات أثناء الليل ، كما كان يعمل لديهم حوذى (عربجى) كان يحكى له الكثير من الحكايات المتعلقة بالسحر والخرافات ، وكان هناك شاعر شعبى من شعراء الربابة ينشد أقاصيص البطولة مثل أبو زيد الهللى ، فكان يذهب إليه كل ليلة فى ميدان القلعة ، كما كانت تعمل لديهم مربية يونانية كانت تقص له أساطير اليونان ، فكان لسماعه كل هذا وامتلاء أذنه بها منذ الصغر أكبر الأثر فى اتجاهه إلى القصة .

إنه كامل الكيلانى (١٨٩٧ - ١٩٥٩) صاحب أول مكتبة عربية للأطفال .. ولد بحى القلعة بالقاهرة ، وتلقى علومه الأولى فى الكتاب ، والتحق بمدرسة أم عباس عام ١٩٠٧ ، وانتقل منها إلى مدرسة القاهرة الثانوية التى حصل منها على شهادة البكالوريا ، وعكف بعد ذلك على دراسة الشعر والأدبين الإنجليزى والفرنسى ، والتحق بالأزهر بعد انتسابه للجامعة المصرية، واشتغل بالتدريس فى المدرسة التحضيرية ليعلم الإنجليزية والفرنسية ، ثم نقل مدرساً فى مدرسة الأقباط الثانوية بدمنهوور عام ١٩٢٠ ، ثم عمل فى وزارة الأوقاف عام ١٩٢٢ ، وكان آخر منصب تولاه هو سكرتير مجلس الأوقاف الأعلى ، كما عمل بالصحافة فاشتغل رئيساً لتحرير جريدة الرخاء عام ١٩٢٢ ، ورئيساً لنادى

التمثيل الحديث عام ١٩١٨ ، وسكرتيراً لرابطة الأدب العربى من ١٩٢٩ - ١٩٣٢ .

بدأ كامل الكيلانى حياته بأربعة أعمال كبرى فى النقد الأدبى وتأديب التاريخ والترجمة وتحقيق الأعمال الأدبية الكبرى ، فألف " ملوك الطوائف " و "مصارع الخلفاء" و " مصارع الأعيان " و " نظرات فى تاريخ الإسلام " ، وحقق " رسالة الغفران " وترجم الأدب الأندلسى ، وشرح ابن الرومى وابن زيدون ، وترجم روائع القصص الغربى .

ثم وجه كامل الكيلانى اهتمامه إلى فن " أدب الطفل " فكان رائد قصة الطفل ، واخذ يعمل دائماً على تحقيق فكرة إنشاء مكتبة الأطفال حتى أنشأها فعلاً عام ١٩٢٩ ، وما زال يعمل حتى أكتمل له منها ألف قصة ، ولم يطبع فى حياته سوى مائتى قصة .

وقد بدأ كامل الكيلانى حياته شغوفاً بالمطالعة ، وكان يرى أن الكتب العربية مليئة بالعظة والإرشاد وبعيدة عن فهمنا ، فى حين كانت الكتب الأجنبية جميلة ومزينة بالصور ، وموضوعاتها ميسرة .

وهكذا اتجهت نيته إلى أن يحبب القراءة للأطفال بكل الوسائل من صور وحكايات مشوقة لتجنيبهم الخطأ اللفظى والخطأ المعنوى ، وحاول إعطاء الطفل كلمات عربية تقرب من العامية حتى تمتزج الكلمات الصحيحة بنفس الطفل ، وتتألف له ملكة عربية لا تكلف فيها ولا صعوبة ، ومتى أصبح قادراً على التعبير الصحيح بلا عناء أحب لغته كما يحب الأجانب لغتهم .

وكان هدف الكيلانى من خلال قصصه أن يسرد مفردات الأدب العربى كله ، وبذلك تصبح عادية عند الطفل ، حتى إذا انتهى منها يستطع أن يقرأ ابن الرومى وأبو العلاء والمنتبى بسهولة ، وإذا كانت قصص الكيلانى جسراً إلى

اللغة الفصحى فهي أيضاً جسر إلى اللغات الأجنبية فقد نشر عدداً منها بشكل ثنائي ، اللغة العربية مع الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الأسبانية ، فعلت النشء كيف يقرأ باللغات الأجنبية ، كما عرفت النشء في البلاد الأجنبية بآدابنا ولغتنا ، كما قام الكيلاني بتعريف النشء بنماذج من الآداب الأجنبية كما في سلسلة شكسبير أو القصص الهندي أو الأمريكي.

كما نقل بعض الأغاني العالمية ، ووضع ٦٥ أغنية ، وترجم فصولاً من أوبرا لاترافياتا وكارمن .

عميد المسرح العربي

يوسف وهبى .. ولد فى ١٤ يوليو ١٨٩٨ على بحر يوسف بالفيوم ، ولهذا السبب أطلقوا عليه اسم (يوسف) ، وهو أصغر أشقائه جميعاً ، وكان والده عبد الله باشا وهبى من أشهر رجال الرى فى مصر ، وهو الذى حقق مشروع ترعة الفيوم التى حولت الصحراء إلى أرض زراعية .

حصل يوسف وهبى على الابتدائية من مدرسة الناصرية والتحق بالمدرسة السعيدية ، ولكن الشكاوى تعددت من مشاغباته فألحقه والده بمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية التى كان رئيساً لها ، وذلك لكى يكون تحت رقابته فى هذه المدارس .. وبعد حصوله على الكفاءة عام ١٩١٤ ذاع صيته فى إلقاء المونولوجات التى كان يلقيها فى حفلات النادى الأهلى ثم انضم لجمعية أنصار التمثيل ، وصمم والده على إبعاده عن القاهرة فألحقه بمدرسة مشتهر الزراعية .

لم يستسلم يوسف وهبى لمعارضه والده للتمثيل وقرر أن يسافر إلى إيطاليا ليدرس التمثيل والمسرح والتحق بمعهد " فيلودراماتيكا ايتاليانا " وبرز بين زملائه وكان ترتيبه الأول دائماً مما جعل أستاذه " كيانتونى " سيد المسرح الإيطالى يأخذ بيده ويجعله مقرباً إليه.

ولما عاد لم يجد له عملاً فقرر إنشاء فرقة مسرحية خاصة به ، وكانت

العقبة الأولى هي مواجهة الفرق المسرحية الاستعراضية والفكاهية ، فأعد ترتيبات خاصة ودعاية كبيرة وأتفق مع عزيز عيد أن يكون مخرج الفرقة، وشيد مسرح رمسيس ومكانه الآن مسرح الريحاني ، وعمل يوسف وهبي على هذا المسرح خمس وعشرون عاماً ، وعلى هذا المسرح دوت شهرته ووصل بفرقته إلى مركز الصدارة بين جميع مسارح القاهرة.

وفى ١٠ مارس ١٩٢٣ افتتح يوسف وهبي مسرح رمسيس بمسرحيته "المجنون" وكانت من تأليفه واستوحى فكرتها من زيارته لأكثر من مستشفى من مستشفيات الأمراض العقلية في الخارج .. ولم يتأثر يوسف وهبي في تمثيله بأحد حتى أستاذه الإيطالي ولكنه خلق لنفسه طابعاً خاصاً فأخذ عن المسرح الإيطالي حرارته وتحاشى كثرة إشاراته ، وعن المسرح الفرنسي جمال الإلقاء وتحاشى طريقة التنغيم ، وعن المسرح الإنجليزي قلة الإشارات ودراستها مع استغلال تعبير الوجه أكثر من الأيدي ، ولم يكذب ينزل الستار بعد تقديم العرض في الليلة الأولى لافتتاح مسرح رمسيس حتى انفجرت عاصفة من التصفيق استمرت عدة دقائق معلنة مولد نجم جديد.

وتوالى بعد ذلك نجاح فرقة رمسيس ، وبعد المجنون قدم (عادة الكاميليا) ثم أصبح يقدم رواية جديدة كل أسبوع ومعظمها مترجمات عالمية تاريخية وعصرية من جميع اللغات فشملت روائع شكسبير وموليير وأبسن وأمون رويستان وبرنشتين وسابانيني .

وكان للفرقة لجنة ترجمة ، ثم بدأ يوسف وهبي في العمل على استقلال المسرح العربي وتشجيع المسرحية المصرية واستعان بالعديد من المؤلفين ، كما ألف العديد من مسرحياته ، وقد عالجت هذه المسرحيات قضايا ومشاكل مختلفة ومنها " انتقام المهرجا " و " الاستعباد " و " الصحراء " و " أولاد الذوات " و " أولاد الفقراء " .

وفى أول ١٩٣٠ أنشأ يوسف (مدينة رمسيس) ومكانها الآن " مدينة الأوقاف ومسرح البالون بالعجوزة " وقد كانت هذه المدينة ميداناً لسباق الكلاب شيدته شركة إنجليزية ، واضطرت بعد خسائر فادحة إلى إغلاقه ، وكان يوسف وهبى يتطلع فى ذلك الوقت إلى تقديم مسرحياته فى الهواء الطلق ، فشىد فى هذه المدينة مسرحاً ، ثم استديو صامت تحول بعد ذلك إلى ناطق بمناسبة إتمام فيلم (أولاد الذوات) كما أسس أول دار سينما فى الهواء الطلق ، ونقل إليها محطة إذاعة مصر الملكية ، واتسعت رقعة مدينة رمسيس فاصبح فيها لوناىبارك ومدينة رياضية ومسرح آخر مثلت على خشبته منيرة المهديّة وفرقتها حتى حل محلها نجيب الريحانى وفرقته عندما أصيب بأزمة مالية ، وأخيراً بنى فيها ملهى استعراضياً كبيراً.

وقد قدم يوسف وهبى (١٧٨) مسرحية منها (٥٨) مسرحية من تأليفه ، كما قدم (٣٥) فيلماً سينمائياً ، وكان فيلم " ليلة ممطرة " أول أفلامه السينمائية ، وحصل على العديد من الجوائز والألقاب الدولية منها الجائزة الأولى فى التمثيل المسرحى عام ١٩٦٠ ، وميدالية " الباب الذهبية " عن دوره فى مسرحية "الكاردينال" ، وسام الاستحقاق الأكبر من المغرب ، والميدالية الذهبية من لندن ، وألقاب " كومندا " من موسييلينى و " جراند اوميسيه " من باى تونس كما حصل على جائزة الدولة التقديرية فى الفنون عام ١٩٧٠ ، وحصل على الدكتوراه الفخرية من الرئيس السادات .. وتوفى فى ١٧ أكتوبر ١٩٨٢ .

أعظم متحف للآثار المصرية فى العالم

يعتبر المتحف المصرى بالقاهرة أهم وأغنى متحف للآثار المصرية فى العالم ، فمتاحف اللوفر والمتحف البريطانى وتورين وبرلين ومتربوليتان وشيكاغو على أهميتها لا تقاس بمجموعاتها بمجموعات المتحف المصرى.

وترجع فكرة إقامة متحف يضم الآثار المصرية إلى عهد محمد على ، فقد كان الأوربيون والمغامرون يأتون إلى مصر ويجمعون ما يجدونه من آثار لينقلوها إلى بلادهم دون أن يتعرض لهم أحد ، فقد كانت هذه الكنوز متاحة للجميع دون أن يعرف قيمتها أحد سوى هؤلاء المغامرين ، ثم جاءت الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ م ووضع علماءها مجلداتهم الضخمة فى وصف مصر .. والغريب أنه أصبح مسموحاً بعد ذلك لقناصل الدول الأجنبية وممثليهم فى مصر الحفر لاستخراج الآثار بتصريح من السلطان نفسه ، ومن خلال هذه الفرمانات تكونت لدى هؤلاء القناصل مجموعات كبيرة من الآثار أصبحت بعد ذلك نواة لمجموعات المتاحف الأوربية التى تضم آثاراً مصرية مثل اللوفر والمتحف البريطانى ومتحف برلين .

ولكن فى عهد محمد على اتخذت بعض الإجراءات للحد من تسرب الآثار المصرية إلى الخارج ، وذلك بعد أن نصحه شامبليون بضرورة الحفاظ على آثارنا .. وبدأ محمد على فى إنشاء متحف لحفظ الآثار فى مبنى ملحق

بالمدرسة المدنية بالأزبكية .. وأشرف على هذه المجموعة " لينان بك " الفرنسية الجنسية ويوسف ضياء أفندى ، وبعد ذلك نقلت المجموعة بعد أن زادت إلى إحدى صالات وزارة المعارف بالقلعة إلا أن عباس باشا أهدى كل ما كانت تملكه الدولة من آثار إلى الارشيدوق مكسميليان النمساوى الذى زار مصر عام ١٨٥٥م.

وبعد سنتين أعلن لويس نابليون عن رغبته فى زيارة مصر فقرر سعيد أن يقدم له هدية أكبر من تلك التى قدمت للارشيدوق ، وكان ديليسبس وراء هذا القرار ووقع اختيار ديليسبس على عالم آثار شاب كان يعمل فى متحف اللوفر وهو " اوجست مارييت " الذى شرع على الفور فى عمليات تنقيب واسعة وشاء القدر ألا يحضر لويس نابليون إلى القاهرة الأمر الذى أدى إلى إنشاء مكان خاص بمجموعة الآثار المكتشفة فى هذه الأماكن .

وفى أول يوليو ١٨٥٨ صرح لمارييت ببناء متحف للآثار المصرية فى بولاق مكان المكتب القديم لشركة الملاحة النهرية التى أغلقت أبوابها بعد عمل خط سكة حديد من القاهرة والإسكندرية ، وبدأ المتحف بـ ٤ صالات .. وفى عام ١٨٩٠ نقلت هذه الآثار من بولاق إلى القصر القديم الخاص بالخدوى إسماعيل ، وكان يقع مكان حديقة الحيوان والاورمان حالياً والذى عرف بعد ذلك باسم متحف الجيزة .. إلا أن التفكير فى بناء متحف للآثار المصرية ظل مستمراً حتى عام ١٨٩٧ عندما فاز المهندس الفرنسى (دورنون) بمسابقة لبناء المتحف الحالى الذى أنشئ عام ١٩٠٠ وبدأ العرض بـ ٣٠ ألف قطعة أثرية ، ثم استمر تطوره ليصبح أعظم متحف للآثار المصرية فى العالم على الإطلاق.

أم كلثوم ... أسطورة تمشى على قدمين

" ما هفوت فى حق أم كلثوم إلا مرة واحدة حين قلت أن حنجرتها مسروقة من الحمايم الموصلية وكان رأى أن أقول أن حمايم الموصل سرقت رخامة الصوت من الحنجرة الكلثومية " .. قال هذه العبارة د. ذكى مبارك عن أم كلثوم عام ١٩٤٠ ، هذه المرأة الوحيدة التى استطاعت أن تجمع العرب فى لحظة واحدة فى الخميس الأول من كل شهر حتى قيل أنه لو ركبت سيارة وانطلقت بها على امتداد الوطن العربى فإنك تستطيع أن تستمع إلى صوت أم كلثوم دون أن تحتاج إلى مذياع فى السيارة.

ولدت فى طماى الزهايرة بالمنصورة عام ١٩٠٠ م ، وذهبت إلى كتاب القرية ، وكان والدها إبراهيم البلتاغى ينشد القصائد الدينية والتواشيح ويصحبها معه وشيئاً فشيئاً قلدت أباهما .. وذاع أمر الصوت الجميل حتى دعى والدها يوماً لأحياء ليلة فى بيت شيخ البلد وزميلة الكتاب عائشة ، وخافت أم كلثوم ، فلوح لها الأب بطبق " المهلبية " بعد أن تغنى فلم يعد هناك مجال للتردد ، وغنت بنت الثامنة والنصف وأطربت ، وكان الحفل الثانى فى بيت بعزبة مجاورة ، وتناضت أول أجر عشرة قروش ارتفعت إلى ٢٥ قرشاً عندما غنت بعد ذلك فى بيت تاجر غلال فى مركز السنبلالوين ثم قفز إلى جنبه كامل فى حفل أحيته فى بلدة أبو الشقوق.

وبدأت أم كلثوم تغنى وهى ترتدى العباءة والعقال .. وبدأت الرحلة من السفح وانتقل صيتها من القرية إلى المركز إلى المديرية إلى المديرية المجاورة وطافت مصر طويلاً وعرضاً .

ووسط المشقة التقت بالشيخ أبو العلا محمد على رصيف محطة السنبلاوين ، واستمع إليها وبهرته ونصحها بالسفر إلى القاهرة ، وبعد عامين جاءت إلى القاهرة لتحي فرح كريمة جزار فى حى كوم الشيخ سلامة قرى... العتبة الخضراء ، ثم جاءت فرصتها الكبيرة حيث دعيت للغناء فى سراى عز الدين يكن باشا فى حلوان ، ولكن منظرها لم يرق الباشا فأمر خدمه باستضافتها فى البدروم بعيداً عن أنظار المدعويين ، وظلت به حتى استسلمت للنعاس ، وأراد المدعوون أن يضحكوا على القروية التى جاءت من أعماق الريف فأيقظوها من نومها ، وغنت وإذا بها تسيطر على القلوب والأسماع .

وبعد ذلك استأجر الشيخ إبراهيم غرفة فى فناء عمارة الدرى بشوارع قولة بعبدين ولازمها الشيخ أبو العلا محمد ، وعن طريقه تعرفت على أحمد رامى الذى غنت له أكثر من ٢٥٠ أغنية .. وظلت أم كلثوم تغنى فى الحفلات الخاصة حتى عام ١٩٢٣ حينما أحييت أول حفل على المسرح وهى لا تزال ترتدى العباءة والعقال الذى لم تخلعه إلا عام ١٩٢٧ ونجح الحفل نجاحاً كبيراً ، وشنت منيرة المهدي عليها حملة شعواء ولكن ذهبت محاولاتها أدراج الرياح أمام الإعصار القادم .

وكان صوت أم كلثوم أول لحن تفتتح به الإذاعة المصرية حفلاتها الخارجية .. وأصبحت مطربة مصر الأولى ، وكوكب الشرق وسيدة الغناء العربى.

وكانت السينما بانتظارها ، وفى عام ١٩٣٦ مثلت أول أفلامها " وداد "

وهو الفيلم الذى تقاضت عنه خمسة آلاف جنيه ، وهو رقم مذهل بمقياس ذلك الوقت ، ثم مثلت " نشيد الأمل " ١٩٣٧ ، " دنانير " ١٩٤٠ ، " عايذة " ١٩٤٣ ، " سلامة " ١٩٤٥ ، ثم " فاطمة " ١٩٤٧ .

وجاءت الأربعينات لتحمل الحزن إلى أم كلثوم .. مرض أصاب عينيها بسبب بكائها المتكرر على أمها ، وسافرت إلى الولايات المتحدة واكتشفوا أنها مصابة بالغدة الدرقية وكان لابد من إجراء جراحة فى مكان قريب من الحنجرة .. ونجحت العملية ، ثم قامت الثورة وغنت أم كلثوم عدداً كبيراً من الأغاني الوطنية حتى أصبح نشيدها " والله زمان يا سلاحي " النشيد الوطنى لمصر .

وعندما وقعت هزيمة ١٩٦٧ قامت بجولة فى أنحاء العالم وخصصت دخلها للمجهود الحربى ، وكان الحفل الأول فى العاصمة الفرنسية باريس ، وغنت على خشبة مسرح أولمبيا أكبر مسارح باريس ، وتصدرت صفحات الصحف الفرنسية التى قارنتها بالمطربة الإيطالية " ماريا كالاس " ، وغنت الأطلال التى أعادت بعض مقاطعها أكثر من عشر مرات .. ثم بدأت رحلتها مرة أخرى إلى السودان ثم فاس والرباط فى المغرب ثم الكويت ومنها إلى تونس واستمرت رحلتها قرابة عام جمعت خلاله مليونى دولار ، ومنحتها السلطات المصرية جواز سفر دبلوماسى وحصلت على لقب سفيرة .

وظلت أم كلثوم تحى موسمها الغنائى حتى مساء الخميس ٧ ديسمبر ١٩٧٢ حيث كان اللقاء العاشر بينها وبين الموسيقار محمد عبد الوهاب فى أغنية ليلة حب .

تركت أم كلثوم ٧٠٠ أغنية لمعظم شعراء مصر والعالم العربى عبرت فيها عن صورة متكاملة من الحب ، ثروة شارك فيها أبو العلا محمد ، والشيخ

زكريا احمد ، رياض السنباطى ، محمد القصبجى ، داود حسنى فضلاً على
ألحان عبد الوهاب والموجى وكمال الطويل وبلينغ حمدي وسيد مكاوى .. ولم
يكن غريباً أن تطلق مصر اسم أم كلثوم على واحدة من أشهر إذاعاتها.

لم تكن أم كلثوم مجرد مطربة وإنما كانت طرازاً فنياً فريداً فلا عجب
أن قلدت قلادة النيل ووسام الاستحقاق وقلادة الجمهورية وجائزة الدولة التقديرية
ولقب فنانة الشعب ، كما منحت وسام الأرز من لبنان ، ووسام الاستحقاق من
سوريا ، ووسام الجمهورية الأكبر من تونس ، ووسام نجمة الامتياز من
باكستان .. ولا عجب فى أن تضعها صحيفة هيرالد تريبيون العالمية فى المجلد
الخاص بمناسبة مرور ١٠٠ عام على صدورها ضمن مشاهير العالم والقمم فى
الفن .

وفى ٢٢ يناير ١٩٧٥ بدأت حالتها الصحية تتدهور ، وبعد أسبوع
فاجأها نزيف فى المخ ، وصارع قلبها الموت ١٠٠ ساعة حتى توقف تماماً بعد
ظهر الإثنين ٣ فبراير ١٩٧٥ .. ليتوقف عصر طويل للطرب دام خمسين عاماً
بعد أن نحتت نهراً من المشاعر يتدفق ويفيض داخل كل منا.

أول بلد عربى وأفريقى عرف كرة القدم

منذ أن اخترع المصريون القدماء شيئاً مستديراً يلهون به سارت كرة القدم مشواراً حتى نظم الإنجليز أول بطولة لها عام ١٨٧٢ .. وكانت مصر هى أول بلد عربى وأفريقى يعرف كرة القدم ، ومارسها فى البداية الإنجليز الموجودون بمصر منذ ١٨٨٢ .. وفى عام ١٨٩٥ شكل محمد أفندى ناشد أول فريق يلعب باسم مصر ، والتقى هذا الفريق مع بعض المنتخبات الإنجليزية وهزمهم رغم حداثة عهده بالكرة.

وفى عام ١٩٠٣ تأسس نادى السكة الحديد (فى بولاق) وهو أقدم الأندية المصرية إلا أن أول نادى مصرى يمارس كرة القدم ممارسة واسعة كان النادى الأهلى الذى تأسس عام ١٩٠٧ ومن بعده نادى المختلط عام ١٩١١ (الزمالك حالياً) .. وفى عام ١٩١٣ بدأت أولى مسابقات الكرة فى مصر وشاركت فيها الفرق الأجنبية إلى جانب الفرق المحلية وفاز بها نادى (السكة) .. وفى عام ١٩١٦ تكون منتخب مصر من فرق الأندية والمدارس والتقى مع منتخب من الإنجليز وفازت مصر ٢/٤ .. وفى ١١ سبتمبر ١٩١٦ أقيمت أول مسابقة على الكأس المهداة من السلطان حسين وبدأ بعض المصريين فى ذلك الوقت جهودهم من أجل تمصير لعبة كرة القدم وعزل الأجانب عنها.

وفى عام ١٩٢٠ شاركت مصر لأول مرة بفريق لكرة القدم فى الدورة

الأولمبية التى أقيمت بانفرس ببلجيكا ، وكانت مصر هى أول بلد عربى وأفريقى يشترك بفريق كرة القدم فى الأولمبياد ، وقد خرجت مصر من الدور الأول للبطولة حيث خسرت أمام المجر ١/٢ ، وكان نظام المسابقة يقضى بخروج المغلوب ، وقد فازت بلجيكا بالبطولة لانسحاب التشيك أمامها بسبب طرد أحد اللاعبين ، وغضب ملك بلجيكا لعدم إقامة مباراة نهائية تليق بالأولمبياد ، وتم اختيار منتخب مصر ليلعب مباراة ودية مع بلجيكا فى نهاية الدورة ، وحقق منتخب مصر المفاجأة وفازت على بلجيكا وسط دهشة العالم كله.

وفى ٣ ديسمبر ١٩٢١ تأسس الاتحاد المصرى لكرة القدم وكان أول اتحاد مصرى خالص ، وفى العام التالى تأسست أول لجنة حكام ، وفى عام ١٩٢٢ بدأت مسابقة كأس مصر التى أطلق عليها فى ذلك الوقت كأس الأمير فاروق ، وقد فاز نادى المختلط (الزمالك) بأول مسابقة للكأس ، وفى عام ١٩٢٣ تم اعتماد الاتحاد المصرى لكرة القدم عضوا بالاتحاد الدولى (الفيفا).

وفى عام ١٩٣٤ كان لمصر الشرف فى أن تكون أول دولة من خارج أوروبا وأمريكا تشترك فى كأس العالم بإيطاليا ، ومضت ستة وثلاثون عاماً حتى ظهر ثانى منتخب عربى فى نهائيات كأس العالم وهو الفريق المغربى عام ١٩٧٠ بالمكسيك ، وشاركت مصر للمرة الثانية فى كأس العالم بإيطاليا ١٩٩٠.

وفى عام ١٩٤٨ قرر الاتحاد المصرى إقامة أول مسابقة للدورى العام بمشاركة (١١) نادياً هى : الأهلى وفاروق (الزمالك) والترسانة والإسماعيلى والمصرى والاتحاد والأوليمبى والسكة الحديد واليونان والترام وبور فؤاد ، وفاز النادى الأهلى بها.

وقد شاركت مصر بفريق كرة القدم فى الدورات الأولمبية ١٠ مرات :
فى دورة انفرس ١٩٢٠ - باريس ١٩٢٤ - امستردام ١٩٢٨ - برلين ١٩٣٦

- لندن ١٩٤٨ - هلسنكى ١٩٥٢ - روما ١٩٦٠ - طوكيو ١٩٦٤ - لوس انجلوس ١٩٨٤ - برشلونة ١٩٩٢ .. وقد اعتذرت مصر عن دورة موسكو احتجاجاً على عدوان الاتحاد السوفيتى على أفغانستان .. وقد فاز الفريق المصرى لكرة القدم بالمركز الرابع فى دورتى امستردام ١٩٢٨ وطوكيو ١٩٦٤ .

وتعد مصر أكثر دولة أفريقية شاركت فى نهائيات كأس الأمم الأفريقية (١٩) مرة ، وحقق المنتخب المصرى رقماً قياسياً فى عدد مرات الفوز بكأس البطولة فقد فاز به خمس مرات أعوام : ١٩٥٧ بالسودان ، ١٩٥٩ بمصر ، ١٩٨٦ بمصر ، ١٩٩٨ ببوركينا فاسو ، ٢٠٠٦ بمصر ، وكان أول أهداف بطولة الأمم الأفريقية للاعب المصرى رائف عطيه أمام السودان فى الدقيقة (٢١) من أولى مباريات بطولة ١٩٥٧ .

وقد فاز عدة لاعبين مصريين بلقب هداف البطولة : الديبه (٥) أهداف بطولة ١٩٥٧ - الجوهري (٣) أهداف بطولة ١٩٥٩ - بدوى عبد الفتاح (٣) أهداف بطولة ١٩٦٢ - الشاذلى (٦) أهداف بطولة ١٩٦٣ - طاهر أبو زيد (٤) أهداف بطولة ١٩٨٤ - جمال عبد الحميد (هدفان) بطولة ١٩٨٨ - حسام حسن (٧) أهداف بطولة ١٩٩٨ .

كما فاز منتخب مصر لكرة القدم بالميدالية الذهبية فى دورة الألعاب الأفريقية بنىروبي بكينيا عام ١٩٨٧ .

وكان محمود الخطيب نجم النادى الأهلى والمنتخب الوطنى أول لاعب مصرى يحصل على جائزة الكرة الذهبية التى تقدمها مجلة (فرانس فوتبول) الأسبوعية الفرنسية لأحسن لاعب أفريقى سنوياً ، وكان ذلك عام ١٩٨٣ .. وفى عام ٢٠٠٠ اختار الاتحاد الدولى للتأريخ وإحصاءات كرة القدم الخطيب كأحسن

لاعب مصرى فى القرن العشرين ، وفى عام ٢٠٠٧ جاء الخطيب فى المركز الثانى ضمن احسن ثلاثين لاعب فى أفريقيا ضمن تصنيف الاتحاد الأفريقى لكرة القدم (الكاف).

وكان على قنديل أول حكم مصرى يشترك فى إدارة مباريات نهائيات كأس العالم لكرة القدم وذلك عامى ١٩٦٦ ، ١٩٧٠ .. تلاه الحكم المصرى مصطفى كامل عام ١٩٧٤ ، ثم جمال الغندور عامى ١٩٩٨ ، و٢٠٠٢ ، ثم عصام عبد الفتاح عام ٢٠٠٦ ، وكان الحكم العربى الوحيد فى هذه البطولة.

وعلى مستوى الأندية حققت الأندية المصرية أرقاماً قياسية فى عدد البطولات الأفريقية التى فازت بها ، فقد فازت ببطولة الأندية الأفريقية لأبطال الدورى (١١) مرة فقد فاز بها الإسماعيلى ١٩٦٩ .. وفاز بها نادى الزمالك خمس مرات أعوام : ١٩٨٤ - ١٩٨٦ - ١٩٩٣ - ١٩٩٦ - ٢٠٠٢ .. وفاز بها النادى الأهلى خمس مرات أعوام : ١٩٨٢ - ١٩٨٧ - ٢٠٠١ - ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ .

بينما فازت الأندية المصرية ببطولة الأندية أبطال الكأس (٨) مرات ، فقد فاز بها نادى المقاولون العرب ثلاث مرات أعوام : ١٩٨٢ - ١٩٨٣ - ١٩٩٦ ، وفاز بها النادى الأهلى أربع مرات أعوام : ١٩٨٤ - ١٩٨٥ - ١٩٨٦ - ١٩٩٣ ، وفاز بها نادى الزمالك مرة واحدة عام ٢٠٠٠ .

كما فازت الأندية المصرية ببطولة السوبر الأفريقى ست مرات فقد فاز بها الزمالك أعوام : ١٩٩٤ - ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ ، وفاز بها الأهلى أعوام : ٢٠٠٢ - ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ .. وفازت الأندية المصرية ببطولة الكأس الأفروآسيوية ثلاث مرات حيث فاز الزمالك ببطولتى ١٩٨٨ - ١٩٩٧ ، وفاز بها الأهلى عام ١٩٨٩ .

كما فاز المنتخب العسكري لكرة القدم ببطولة كأس العالم خمس مرات

أعوام : ١٩٩٣ - ١٩٩٩ - ٢٠٠٣ - ٢٠٠٥ - ٢٠٠٧.

الرجل الذى قاد تمصير الطب

على باشا إبراهيم (١٨٨٠ - ١٩٤٦) ولد فى الإسكندرية ، وكان والده رجلاً عصامياً يرجع أصله إلى قرية مطويس بكفر الشيخ .. تلقى على إبراهيم تعليمه الإبتدائى فى مدرسة رأس التين الأميرية ، وحصل على المركز الأول فى الشهادة الابتدائية ١٨٩٢ ، ثم التحق بالقسم الداخلى من المدرسة الخديوية بالقاهرة ، وحصل على المركز الثانى فى البكالوريا ، ثم التحق بمدرسة الطب وتخرج عام ١٩٠١ وكان الأول على دفعته ، وتدرّب على يد الدكتور سيمرس أستاذ علمى الأمراض والميكروبات .

وفى عام ١٩٠٣ أجرى عملية حصوة فى المثانة بطريقة التفتيت ، ليبدأ نجمه بعدها فى الصعيد فى بنى سويف ومصر الوسطى ، وفى عام ١٩٠٤ انتدبته مصلحة الصحة لبحث وباء انتشر فى قرية " صيفا " وتوصل إلى أنه الحمى الفحمية وأنها انتقلت إلى الفلاحات عن طريق أفراس الروث الجاف ، ونشر نتائج أول أبحاثه فى مجلة الجيش الملكى .

ثم أثبت إمكان انتقال العدوى إلى جروح العمليات بواسطة الهواء ، وكانت نتيجة غريبة فى مثل هذا الوقت ، ونشر هذا البحث فى بعض المجلات الطبية الإنجليزية ، وترتب عليه إنشاء غرف مغلقة للعمليات الجراحية فى جميع

المستشفيات ، وفي أسيوط استحدث نظام الممرضات .. وقام بإجراء عملية استئصال الطحال المتضخم عام ١٩٠٧ وتزداد قيمة هذه العملية إذا علمنا أن أول عملية من مثل هذا النوع أجريت بنجاح في قصر العيني عام ١٩١١ وقام بها أحد الأطباء الأجانب ، وفي عام ١٩١٣ منح رتبة البكوية.

وفي الحرب العالمية الأولى تولى أمر مستشفى جراحى أسسته جمعية الهلال الأحمر ، ثم بدأ معركته في سبيل استقلال الطب ، وحاول إنشاء نقابة للأطباء ولكن عدم تعاون الأطباء الأجانب مع الأطباء المصريين حال دون ذلك حيث كان لهم جمعية خاصة بهم.

وفي عام ١٩١٧ أصدر بالاشتراك مع زملائه المصريين المجلة الطبية المصرية ، ونشرت له أول بحوثه الطبية في اللغة العربية ، وكان بحثاً عن "بلهارسيا الحالب" أجراه بالاشتراك مع د. أنيس انسى.

وفي عام ١٩٢٠ شارك في إنشاء الجمعية الطبية المصرية ، وتولى رئاستها عام ١٩٢٥ وحتى وفاته .. ثم أنشأ مبنى لها هو " دار الحكمة " بشارع قصر العيني ووضع حجر الأساس عام ١٩٣٦ ، وتولى المهندس مصطفى بك فهمى الإشراف على البناء حتى خرجت آية من آيات العمارة الإسلامية ، واختير لها هذا الاسم تيمناً باسم المعهد الطبى الذى أنشأه الخليفة المأمون فى بغداد والفاطميون فى مصر فى عصور الإسلام المزدهرة ، وقد أصبحت مقر نقابة الأطباء فيما بعد.

وفي عام ١٩١٨ تولى على إبراهيم إدارة قصر العيني ، ولما انتهت الحرب أنعم عليه بوسام الإمبراطورية البريطانية لبراعة أدائه .. وقد كافح على إبراهيم من أجل تمصير التعليم الطبى حتى استطاع أن ينتزع للمصريين ست وظائف رئيسية فى أقسام المستشفى ، وفى عام ١٩٢٤ اختير لشغل وظيفة أستاذ

الجراحة وكان أول مصري يشغل هذا المنصب .. ثم اختير عام ١٩٢٦ وكيلاً لكلية الطب عقب قيام الجامعة المصرية ، وفي عام ١٩٢٩ تولى عمادة الكلية ليكون أول مصري يشغل هذا المنصب ، وقد شغل هذا المنصب حتى عام ١٩٤٠ ، وكان أبرز إنجازاته خلال هذه الفترة تمصير هيئة التدريس بكلية الطب.

ولا نزاع في أن كلية طب قصر العينى كلها من إنشاء على إبراهيم ذلك الرجل الذى وضع لإحيائها برنامجاً محكماً ونظاماً دقيقاً ، وكان أول ما عنى به أن ينشئ مستشفى حديثاً يتسع لألفى سرير ، وقد وضع الملك فؤاد حجر الأساس فى عام ١٩٢٨ فى الاحتفال بالعيد المئوى لمدرسة طب قصر العينى ، وتولى على إبراهيم أمر المستشفى الذى كان ينقصه كل شئ المال والرجال والمعدات ، ولكن طبيعته ساعدته على تحقيق هدفه وأنشأ ذلك الصرح التعليمى الضخم .. ثم جهز معامل الكلية ومتاحفها ، وأنشأ مستوى رفيع للدراسات العليا ، ولم يترك على إبراهيم عمادة الكلية إلا بعد أن نهض بها إلى مكانة مرموقة على المستوى الدولى ، وأصبحت كلمة " قصر العينى " مفتاحاً سحرياً لكثير من الأبواب الطبية العالمية.

وفى هذه الأثناء لم يأل على إبراهيم جهداً فى النهوض بكلية طب الأسنان والصيدلة ، كما شارك بفاعلية فى مشروع القرش عام ١٩٣١ ، ومشروع القرى الذى كان هدفه إنتشال القرية المصرية من يؤسها بنشر التعليم والتعاليم الصحية والاجتماعية والزراعية والاقتصادية ، وقد استطاع هذا المشروع أن يمحو فى عامه الأول فقط أمية أربعين ألفاً من أهل الريف.

وفى عام ١٩٣٠ حصل على رتبة الباشوية ، واختير رئيساً للمجمع المصرى للثقافة العلمية ، وفى عام ١٩٣٦ أختير رئيساً لجمعية الهلال الأحمر

واستطاع أن ينشئ مستشفى جراحة العظام التابع لها فى شارع رمسيس والذى احتل مكانة مرموقة بين المستشفيات التخصصية فى العالم.

كما أشرف على بناء مستشفى العجوزة وتجهيزه حتى صار على تلك الصورة من الشموخ على نيل القاهرة ، وفى ١٩٣٣ استطاع أن يحصل على موافقة الملك فؤاد على إنشاء الاتحاد الملكى للجمعيات الطبية ، وكان أهم أغراضه إنشاء رابطة تضامن علمية وأدبية بين الجمعيات الطبية المصرية ، وتولى رئاسة هذا الاتحاد الذى كان الخطوة الأولى من أجل إنشاء نقابة الأطباء، التى أنشأها فيما بعد وانتخب أول نقيب لها .. وفى عام ١٩٤٠ حين أنشئ اتحاد المهن الطبية انتخب على إبراهيم أول رئيس لهذا الاتحاد الذى ضم الأطباء البشريين والأطباء البيطريين وأطباء الأسنان والصيدالة.

وفى ١٩٤٠/٦/٢٧ عين وزيراً للصحة ، واستمر بهذا المنصب ١٣ شهراً ، ولكن فى هذه الفترة الوجيزة نظم الوزارة وقسمها إلى مصالح متكاملة .. وفى عهده صدر الدستور المصرى للأدوية ، ودفع بمشروع إنشاء شركة مصر للمستحضرات الطبية حتى خرج إلى حيز التنفيذ.

وقد حرصت كثير من الجمعيات الدولية أن تضم على باشا إبراهيم عضواً بها اعترافاً بمكانته ، فقد كان عضواً بارزاً فى المجمع العلمى المصرى، والجمعية الطبية البريطانية ، وجمعية طب المناطق الحارة وصحتها بلندن ، والمعهد الملكى للصحة العامة بلندن ، ولجنة التأليف الألمانية للجراحة ببرلين ، وكان مراسلاً لأكاديمية الجراحة بباريس.

وقد اختير فى مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٠ ، واهتم فيه بتعريب المصطلحات الطبية ، وفى عام ١٩٤١ اختير مديراً لجامعة القاهرة التى قضى أحد عشر عاماً من عمره يجمع بين وكالتها وعمادة الطب بها .. ولم يكد يتولى

على إبراهيم رئاسة الجامعة حتى عمل على أن ينشئ من خلالها جامعة الإسكندرية.

وقد حظى على باشا إبراهيم بتقدير الشرق والغرب ، ففي عام ١٩٣٩ منحته بريطانيا أعظم ما يمنح لأجنبي وهو نيشان الإمبراطورية البريطانية لقب فارس (سير) ومنحته كلية الجراحين الملكية زمالتها الشرفية وهي الدرجة التي لا تمنح إلا لعدد محدوداً جداً من أُمير أعضائها وخريجها ، وفي عام ١٩٨٠ منح الرئيس السادات اسم الجراح الكبير قلادة الجمهورية.

أول حزب فى مصر

الحزب الوطنى الذى أنشئ فى اجتماع شعبى بمسرح زيزينيا بالإسكندرية مساء الثلاثاء ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ برئاسة مصطفى كامل ثم خلفه محمد فريد عام ١٩٠٨ ، وقاد الحزب التيار الرئيسى للحركة الوطنية حتى بداية الحرب العالمية الأولى .. ويعد أول تنظيم حزبي حقيقى فى مصر .

ويتحفظ البعض فى إطلاق كلمة حزب بالمعنى العلمى - بمعنى أنه أداة الوصول إلى الحكم والاحتفاظ بالسلطة السياسية بناء على برنامج سياسى معين - على الحزب الوطنى الذى تأسس عام ١٨٧٩ بزعامة أحمد عرابى ، والذى يشار إليه عادة على أنه أول حزب فى مصر حيث أنه كان فى حقيقة الأمر أقرب ما يكون إلى جبهة وطنية ذات أهداف عامة ، وافتقدت التنظيم اللازم للاستمرار الحزبى ، كما أن حزبه الأمة والإصلاح على المبادئ الدستورية اللذان تأسسا عام ١٩٠٧ لم يتوفر لهما شروط الحزب ، فالأول تكون حول مجموعة محدودة من المنقذين وكبار ملاك الأرض ، ولم يكن له وجود تنظيمى أو ثقل جماهيرى ، والثانى ارتبط بشخص مؤسسه الشيخ على يوسف وانتهى بوفاته دون أن يكون له وجود حقيقى سياسى أو تنظيمى .

وهناك خلاف حول السبب الذى دفع مصطفى كامل إلى إعلان الحزب ،

فهناك من يرى أن ذلك يرجع إلى شعوره بإعتلال صحته ودنو أجله ، ويرى آخرون أن السبب هو تكوين حزب الأمة فى سبتمبر وإبراهه خطورة الأحزاب التى لا تمثل الشعب وإنما تدور فى ركاب الإحتلال والسراى ، ويرى البعض أن السبب يكمن فى بلوغ الحركة الوطنية درجة من النضج والتبلور استوعبت قيام الحزب كتنظيم علنى.

وجدير بالذكر أن مصطفى كامل كان متردداً فى إنشاء الحزب خوفاً من تفتيت وحدة الشعب ، فكان يرى أن مصر لم تكن تحتاج إلى تنظيمات حزبية وتبدو حاجتها إلى الوحدة وإيقاظ الوعى الوطنى.

وقد انطلق فكر مصطفى كامل ومجموعة الحزب الوطنى من ضرورة جلاء الإنجليز عن مصر ، ومن ثم فإن الاستقلال هو هدف مصر الأول ، وضرورة إيجاد حكومة دستورية فى البلاد بحيث تكون الهيئة الحاكمة مسؤولة أمام مجلس نيابى تام السلطة كمجالس النواب فى أوربا.

وقد اتسم الحزب بديمقراطية تنظيمية واضحة فكان هناك هيكل حزبى على أساس ديموقراطى ، ورفض مصطفى كامل أن يقوم بتعيين اللجنة الإدارية للحزب ، وترك ذلك للجمعية العمومية ، وقد اعتمد على أساليب الإعلام والصحافة وعرض قضية مصر على الرأى العام الدولى ، وتهيئة وإنعاش الرأى العام الداخلى ، واصدر صحفاً باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية ، وقام مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد بزيارات مستمرة للدول الأوربية لتأليب الرأى العام الأوربى ضد إنجلترا ، وقد اهتم برنامج الحزب بالمشكلة الاجتماعية فنص على ضرورة نشر التعليم حتى يعم الطبقات الفقيرة ، وحث الأغنياء على تأسيس الجامعات وإرسال البعثات إلى أوربا ، وإنشاء دراسات ليلية للعمال وتنمية الزراعة والصناعة والتجارة حتى تحصل البلاد على استقلالها

الاقتصادي .. واهتم الحزب بتنظيم العمال بالذات تحت تأثير محمد فريد الذى كان مطلعاً على الفكر النقابى الأوروبى وعلى معرفة بالنشاطات النقابية فى العالم، فأنشأ نقابة الصنائع اليدوية ، وأنشئت نقابات أخرى فى الإسكندرية والمنصورة وطنطا ، كما أنشأ مدارس الشعب لتعليم العمال.

وقاد الحزب الكفاح الوطنى حتى ثورة ١٩١٩ رافعاً شعارات الاستقلال التام لمصر ، ووحدة مصر والسودان ولا مفاوضات مع إنجلترا قبل الجلاء ، ولكن نفوذه بدأ فى التضاؤل ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب من أهمها ظهور الوفد كبديل ، كما قدم سعد زغلول طريقاً أكثر واقعية ، وأقنع المصريين بعدم جدوى شعار لا مفاوضات إلا بعد الجلاء ، وبينما اعتمد الحزب الوطنى على المتعلمين فى القاهرة والإسكندرية ، انتشر الوفد بين كل فئات الشعب وفى الأقاليم .

بالإضافة إلى الشخصية التاريخية لسعد زغلول فى الوقت الذى أفتقد فيه الحزب الوطنى شخصياته القيادية بوفاة مصطفى كامل ، ووجود محمد فريد فى الخارج ، واتبعت السلطات الإنجليزية سياسة اضطهاد وقمع تجاه قادته مما أدى إلى استقالة عدد كبير منهم من الحزب أو الابتعاد عن النشاط السياسى ، وتدهورت أوضاعه المالية حتى أن أمتعة نادى الحزب بيعت بالمزاد العلنى فى مايو ١٩١٣ وفاءً للديون المطلوبة عن إيجار المبنى ، كذلك فإن فترة الحرب العالمية الأولى وإعلان حالة الطوارئ التى كانت فاصلاً حجب الحزب عن الرأى العام، وتغير الظروف الدولية التى نشأ وتطور الحزب الوطنى فى ظلها ففرنسا أصبحت حليفة لبريطانيا ، والدولة العثمانية هزمت فى الحرب ، ونتيجة لكل هذه العوامل تضاعف نفوذ الحزب ليحل محله حزب الوفد.

النبيل الثائر

ولد محمد فريد فى ١٨٦٨/١/٩ فى أحد قصور السيدة زينب ، وكان أبوه احمد فريد باشا ناظر الدائرة السنية عام ١٨٨٦ ، وما أن بلغ الطفل السابعة من عمره حتى أدخله أبوه مدرسة خليل أغا ليتعلم القراءة والكتابة ، ثم نقل إلى مدرسة الفرير ليدرس اللغة الفرنسية ، ثم التحق بالمدرسة التجهيزية ثم دخل مدرسة الألسن ثم مدرسة الحقوق ونال شهادتها عام ١٨٨٧ .

وعين بقلم قضايا الدائرة السنية ، وتدرج فى وظائف القضاء حتى أصبح وكيل نيابة محكمة الاستئناف الأهلية ، وابتداء من عام ١٨٨٧ بدأ يكتب المقالات، وكان يوقع بالحرفين الأولين من اسمه لأن والده أبى عليه الاشتغال بالصحافة خوفاً من أن يعرضه لغضب السلطة فى ذلك الوقت.

وعندما قدم الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد للمحاكمة فى إحدى القضايا ، كان محمد فريد وكليلاً للنيابة ، وصدرت منه أثناء الجلسة عبارات عدتها الحكومة ماسة بها ، فأمرت بنقله إلى الصعيد ، إلا أنه أثر الاستقالة عام ١٨٩٧ ، واشتغل بالمحاماة مع محمود أبو النصر ، وأصدر بالاشتراك محمد احمد حافظ عوض ومحمود أبو النصر مجلة علمية نصف شهرية اسمها "الموسوعات" عام ١٨٩٨ .

وكان محمد فريد قد اتصل بمصطفى كامل منذ عام ١٨٩٣ ، وصار
سنده الأكبر فى بعث الحركة الوطنية ، واختاره مصطفى كامل وكيلاً للحزب
الوطنى فى أول جمعية عمومية له عام ١٩٠٧ ، ولما توفى مصطفى كامل فى
فبراير ١٩٠٨ تولى محمد فريد زعامة الحزب الوطنى ، وفى هذه الفترة كان
الوهن قد بدأ يدب فى جريدتى الحزب الوطنى الفرنسية والإنجليزية ، ذلك أن
الأسلوب العنيف الذى كانتا تخاطبان به الإنجليز أدى إلى أن فر منهما القراء
الأجانب ، كما أن الشركات - وكان معظمها أجنبياً - امتنعت عن إمدادهما
بالإعلانات فهبط الدخل والتوزيع وتم إغلاقهما عام ١٩٠٩ .. ولم يبق للحزب
سوى صحيفة اللواء التى سرعان ما نشبت الخلافات حولها مع بعض ورثة
مصطفى كامل على ملكيتها ، مما دفع محمد فريد إلى إنشاء جريدة العلم عام
١٩١٠ ، وحقق نجاحاً كبيراً مما دفع الحكومة إلى إصدار قرار بعد ثلاثة عشر
يوماً من صدورها بتعطيلها شهرين لأنها خرجت عن حد الاعتدال ، ودفع ذلك
محمد فريد إلى إصدار جرائد " الاعتدال " و " الشعب " و " العدل " حتى انتهت
مدة التعتيل.

ومن الجدير بالذكر أن الإنجليز حاولوا عام ١٩٠٩ التقدم بمشروع
لمحاولة مد امتياز شركة قناة السويس ٤٠ عاماً من ١٩٦٩ إلى ٢٠٠٩ ولكن
محمد فريد أثار الرأى العام ضده حتى تم إحباطه.

وفى ١٦/٦/١٩١٠ أصدرت الحكومة قانوناً ينص على إحالة جرائم
النشر إلى محاكم الجنايات بدلاً من محاكم الجنح وكان الغرض ردع الصحفيين
وأصحاب الآراء الحرة ، وبمقتضى هذا القانون الجديد قدم محمد فريد إلى
المحاكمة فى قضية ديوان " وطنيتى " للشيخ على القاياتى وحوكم عام ١٩١١
لكتابته مقدمة الديوان وحكم عليه بالحبس ستة أشهر قضاها فى سجن الاستئناف
بباب الخلق.

وقد رأى محمد فريد ضرورة إسناد الحزب الوطنى إلى قاعدة عريضة ومنظمة من أكثر الفئات الاجتماعية ثورية وهى العمال والفلاحين والمنقون فعمل على تنظيم هذه الفئات وربطها بالحزب الوطنى ، فأنشأ للعمال أول نقابة وهى " نقابة الصنائع اليدوية " بببلاق ، والتى تعد أكبر تنظيم عمال فى مصر فى الفترة السابقة على الحرب العالمية الأولى ، وبلغ حجم عضويتها عام ١٩١٢ نحو أربعة آلاف عضواً وكان لها فروع فى الأقاليم، وكان نادى النقابة بالسبئية من أنشط مراكز النشاط العمالى ، وأنشأ للفلاحين النقابات الزراعية (التعاونيات) وللمتقنين أنشأ نادى المدارس العليا للطلبة والخريجين ، ومدارس الشعب لتعليم العمال ، وبدأت هذه المدارس نشاطها فى أواخر عام ١٩٠٨ ، وكان أولها مدرسة الشعب بببلاق (نوفمبر ١٩٠٨) ثم انتشرت فى أحياء ومدن أخرى ، وكان برنامج هذه المدارس يتناول مواد القراءة والكتابة والدين والصحة وتربية الطفل وقوانين الشئون الاجتماعية والحساب وتاريخ مصر وجغرافيتها والتاريخ الإسلامى والأخلاق والآداب ، ولكن عوامل عديدة وقفت أمام هذا الحلم ، وعندما جاءت الحرب العالمية الأولى قررت بريطانيا إغلاق نقابة الصنائع اليدوية ومدارس الشعب.

وفى عام ١٩١٢ شعر محمد فريد باشتداد وطأة اضطهاد الحكومة له ، وفى ٢٢ مارس من هذا العام ألقى خطبة نادى فيها بمتابعة السير فى مشروع إنشاء جامعة مصرية ، وضرورة تشكيل النقابات العمالية ومطالبة الحكومة بشد أزر حركة التعاون ، وأن عدم التفات الحكومة إلى ترقية شأن العامل والفلاح مرجعه الاحتلال الذى يريد أن تبقى هذه الطبقات كقطيع الغنم ، وختم خطابه بالمطالبة بالدستور ، ولم يكد يمضى يومان حتى استدعى للنيابة بتهمة التحريض على كراهية ومحاولة قلب نظام الحكم.

كانت نية الاحتلال قد توجهت إلى شل حركته نهائياً ، ولم يعد أمامه من

سبيل إلا الهجرة من وطنه ، فغادر مصر إلى الأستانة ثم إلى فرنسا فإنجلترا فسويسرا ، وصدر عليه حكم غيابى بالحبس سنة مع الشغل .. وواصل كفاحه على صفحات الصحف الأجنبية وعقد المؤتمرات لشرح القضية المصرية.

وكان قد عقد مؤتمر الشبيبة المصرية فى جنيف عام ١٩٠٩ ، ودعا إلى حضوره أغلب الزعماء البارزين فى الحركة الاشتراكية الأوربية ، وبحث المؤتمر المشكلات المصرية ، وفى العام الثانى حاول أن يعقد مؤتمراً آخر فى باريس ليكشف للعالم حقيقة السياسة البريطانية فى مصر ، ولكن الحكومة الفرنسية مجاملة منها لإنجلترا منعت عقد المؤتمر فعقده فى بروكسل وكان من أعظم المؤتمرات التى عقدها الوطنيون بالخارج ، وفى عام ١٩١٠ حضر جلسات المؤتمر الثامن عشر لأنصار السلام فى استكهولم ونجح فى جعل المسألة المصرية من المسائل الأساسية فى جدول أعمال المؤتمر للسنة التالية ، وفى عام ١٩١٢ حضر مؤتمر السلام بجنيف حيث قرر الأعضاء اعتبار احتلال الإنجليز لمصر عملاً غير مشروع.

وفى المنفى أسس محمد فريد فى جنيف جمعية " ترقى الإسلام " واصر لها مجلة باللغة الفرنسية عام ١٩١٣ ، كما حاول أن ينشئ جريدة أسبوعية فرنسية تحمل اسم " ايكو دى ليجبى " أى " صدى مصر " ولكن بعد صدور العددين الأول والثانى أوقفتهما الحكومة السويسرية بدعوى أنها تعكر صفو الحياد الذى تقفه سويسرا.

ومرت سنوات النفى ، وبدأ يعانى من ضيق ذات اليد وعرفت الأزمات المالية طريقها إليه بعد أن باع كل أملاكه وأراضيه وأنفق ثمنها فى سبيل قضية بلاده حتى نفذت نقوده ، وبعدها بدأت قسوة الحياة وجوع المنفى واعتلت صحته وهو فى برلين حيث عاش أيامه الأخيرة ، وفى حجرة عارية محرومة من

وسائل التدفئة ، وكان يقف في طابور المترددين على " مطاعم الشعب " شبيه المجانية ، وقد أثارت هذه المعلومات شماتة الخديوى عندما سمعها ، ولم يكن يعرف أنه سيشرب من نفس الكأس وينفى بأمر الإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى.

ولم يتحمل محمد فريد هذه الحياة القاسية التى لا تتناسب مع سنه فاشتد عليه المرض ، ونصح طبيبه بالعدول عن سياسته ، وبالاتفاق مع الإنجليز على أساس الحماية حتى يتمكن من العودة إلى مصر لأنه كان فى حاجة إلى دفء مناخها لكى يشفى ، ولكن محمد فريد رفض ، وفى ١٥ نوفمبر ١٩١٩ فاضت روحه فى برلين ، ولم ينقل رفاته إلى أرض الوطن إلا فى ٩ يونيو ١٩٢٠ ، على نفقة أحد المصريين هو الحاج خليل عفيفى.

مصر صاحبة فكرة أهم البطولات الأفريقية والعربية

كانت مصر هي أول دولة عربية وأفريقية تتقدم لعضوية اللجنة الأولمبية عام ١٩١٠ ، وأول دولة من خارج أوروبا وأمريكا تشارك في الدورات الأولمبية منذ عام ١٩١٢ ، ثم أنها كانت الدولة الرائدة في الدعوة لإنشاء دورة ألعاب دول البحر الأبيض المتوسط عام ١٩٤٩ وأقامت أول دورة في مدينة الإسكندرية عام ١٩٥١ ، كما أن مصر كانت هي الدولة الرائدة في الدعوة لإنشاء دورة ألعاب الدول الأفريقية ، وأول دورة ألعاب للدول العربية في الإسكندرية عام ١٩٥٣ ، وأول بطولة لكأس الأمم الأفريقية في كرة القدم بالخرطوم عام ١٩٥٧ .

وقد تشكلت أول لجنة أولمبية مصرية عام ١٩١٠ برئاسة الأمير عمر طوسون وبادرت في الاشتراك باللجنة الأولمبية الدولية لتكون الدولة رقم ١٤ في قائمة الدول المشتركة وأول دولة عربية وأفريقية ، وقد عينت مصر سكرتيراً عاماً للجنة الأولمبية المصرية وهو (أنجلو بولاناكي) وهو شاب رياضي يوناني الجنسية لكنه مصري المولد والإقامة وكان رياضياً متفوقاً أحرز عدة بطولات في مسابقات العدو وظل يشغل هذا المنصب طوال ٢٤ عاماً حتى عام ١٩٣٤ .

وفي عام ١٩٣٤ حدث تطور كبير في مسيرة الرياضة المصرية بإنشاء

اللجنة الأهلية للرياضة البدنية لتنظيم الرياضة في مصر تبعاً للأنظمة الحديثة ، وكذلك حدث تطور كبير بأن طالبت مصر بتنظيم اللجنة الأولمبية المصرية واستجابت اللجنة الأولمبية الدولية واختارت محمد طاهر باشا ليكون ممثلاً لها في مصر .

وكانت فكرة إقامة دورة ألعاب البحر المتوسط مصرية ، وكان صاحبها محمد طاهر باشا عضو اللجنة الأولمبية الدولية وممثلها في مصر ، وقت عرضت فكرته على اللجنة الأولمبية في مؤتمرها الذي عقد في مدينة روما ، وصدرت الموافقة بأن تتولى مصر تنظيم أول دورة رياضية للدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط في مدينة الإسكندرية في شهر أغسطس ١٩٥١ ، وقد وجهت اللجنة دعواتها واستجابت لها عشر دول هي :

أسبانيا / مالطة / إيطاليا / تركيا / اليونان / يوغوسلافيا / لبنان / سوريا / موناكو / فرنسا ، وذلك إلى جانب مصر الدولة المنظمة.

وقد أقيمت أول دولة في الإسكندرية من ٥ إلى ٢٠ أكتوبر ١٩٥١ وتضمنت ١٣ لعبة رياضية هي :

ألعاب القوى / كرة القدم / كرة السلة / السلاح / الهوكي / التجديف / الجمباز / السباحة / الملاكمة / المصارعة / الرماية / الفروسية / رفع الأثقال .

وكانت شارة دورة البحر الأبيض المتوسط تشمل منظرًا لمنارة الإسكندرية تعلوها علامة الألعاب الأولمبية وتقرر إقامتها كل ٤ سنوات.

كما كانت مصر هي صاحبة الدعوة إلى إقامة دورة الألعاب الأفريقية ، وقد وافقت اللجنة الأولمبية الدولية على هذه المبادرة من جانب مصر وقررت في اجتماعها عام ١٩٢٧ إقامة أول دورة أفريقية في مدينة الإسكندرية ، وكان هذا دافعاً لإنشاء إستاند الإسكندرية عام ١٩٢٩ ، ولكن لم يتحقق تنفيذ دورات

رياضية أفريقية إلا بعد ٣٥ عاماً عندما قرر المجلس الأعلى للرياضة فى أفريقيا إقامة أول دورة أفريقية فى مدينة برازفيل عاصمة الكونغو عام ١٩٦٥، وقد حصلت مصر على المركز الأول فى ست دورات أعوام ١٩٦٥ برازفيل - ١٩٧٣ لاجوس - ١٩٨٧ نيروبي - ١٩٩١ القاهرة - ٢٠٠٣ أبوجا - ٢٠٠٧ الجزائر.

وقد صممت ميدالية الألعاب الأفريقية لتحمل صورة المصارع المصرى العظيم بطل العالم إبراهيم مصطفى باعتباره أول مصرى وأفريقى يحصل على أول ميدالية ذهبية فى المصارعة فى الألعاب الأولمبية التى أقيمت فى امستردام عاصمة هولندا عام ١٩٢٨.

وكانت مصر أيضاً هى صاحبة الدعوة لإقامة دورة رياضية للدول العربية حين طرح الفكرة لأول مرة المصرى عبد الرحمن باشا عزام الأمين العام لجامعة الدول العربية الأسبق عام ١٩٤٧، ثم جدد الدعوة المصرى احمد الدمرداش تونى عام ١٩٥٣ وقد فازت مصر بهذه البطولة ست مرات أعوام : ١٩٥٣ الإسكندرية - ١٩٦١ كازابلانكا - ١٩٦٥ القاهرة - ١٩٩٧ بيروت - ١٩٩٩ عمان - ٢٠٠٧ القاهرة.

كما كانت مصر هى صاحبة الدعوة لإقامة مسابقة كأس الأمم الأفريقية فى كرة القدم التى أقيمت أولى مسابقاتها فى الخرطوم فى فبراير ١٩٥٧ واشتركت فيها ثلاث دول هى مصر والسودان وأثيوبيا وفازت بها مصر خمس مرات محققة رقماً قياسياً وذلك أعوام ١٩٥٧، ١٩٥٩، ١٩٨٦، ١٩٩٨، ٢٠٠٦.

أول رواية عربية

تعتبر رواية " زينب " التي كتبها المصري الدكتور محمد حسين هيكل أول رواية طويلة يكتبها أديب عربي ، وقد نشرها في الصحف المصرية عام ١٩١١ بامضاء " فلاح مصري " ، وكانت من أولى الروايات التي تم إخراجها للسينما وعرضت على الشاشة عام ١٩٢٧ .. وقد كتبها في باريس أثناء إعداده رسالة الدكتوراه في القانون .

وتصور رواية " زينب " شاباً متعلماً من الريف من أسرة ثرية أحب ابنة عم له ، غير أنه لم يستطع التعبير عن هذا الحب بسبب العادات والتقاليد ، وفي أحد الأيام فوجئ بزواجها من شخص آخر ، وحطمته المفاجأة ودفعته لأن يحب فتاة ريفية ساذجة تسمى " زينب " غير أنها كانت في منزلة متواضعة لا ترتقى إلى منزلة أسرته ، فمنحت حبها لشخص في مستواها الاجتماعي ثم اضطرت إلى الزواج ، وتؤدي الظروف ببطل القصة إلى الذهاب للسودان ليعمل في الخدمة العسكرية ، وتقع زينب أسيرة لمرض أودى بحياتها.

وتتميز القصة بأسلوب رقيق ووصف رائع للحياة في الريف ، وهي تنتقد التقاليد التي تسيطر على الحياة الريفية التي تدفع بطل القصة إلى أن يحاول تحطيم هذه القيود البالية التي تقيد حركته.

ولد محمد حسين هيكل في كفر غنام بمركز السنبلوين بالدقهلية عام ١٨٨٨م ، وتخرج في مدرسة الحقوق عام ١٩٠٩ ثم سافر إلى باريس فحصل على درجة الدكتوراه في الاقتصاد السياسي عام ١٩١٢ ثم عمل في الصحافة ثم أستاذاً للحقوق فرئيساً لتحرير جريدة " السياسة " فوزيراً للمعارف فالشئون الاجتماعية فرئيساً لمجلس الشيوخ.

ومن أعمال هيكل كتاب " جان جاك روسو " الذي صدر عام ١٩٢٣ ، وكان هيكل مغرماً " بروسو " لسببين هما طريفته في التفكير التي تكاد تكون شرقية وشخصيته الفكرية التي خلدته .. ونشر هيكل عام ١٩٢٥ " في أوقات الفراغ " وهي مجموعة رسائل أدبية تاريخية أخلاقية فلسفية .. ثم أخرج كتاب " عشرة أيام في السودان " وسجل فيه رحلته إلى هناك وأزال الشبهات عن هذا البلد حيث كان يظنه بعض الناس أرضاً جرداء لا تصلح للحياة ولا يمكن أن تكون إلا منفي لمن غضب عليه في مصر ، ومنهم من كان يظنه مكاناً لا يصلح لزراعة أو صناعة أو تجارة ، فأزال هيكل بكتابه كثيراً من الشبهات عن السودان وسكانه.

ثم وضع كتابه " تراجم شرقية وعربية " ثم كتاب " ولدى " و " ثورة في الأدب " ثم كتب عدة دراسات تاريخية عن محمد صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ثم كتاب " مذكرات في السياسة المصرية " ثم قصة " هكذا خلقت " .

وتوفي محمد حسين هيكل في ٨ ديسمبر ١٩٥٦ .

أول دولة تشارك فى الأولمبياد من خارج أوروبا وأمريكا

كانت مصر هى أول دولة من خارج أوروبا وأمريكا تشارك فى الأولمبياد .. وكان أحمد حسنين لاعب السلاح هو أول لاعب يمثل مصر وذلك عام ١٩١٢ فى أولمبياد إستوكهلم بالسويد ، عندما سافر على نفقته الخاصة وقام بجميع المهام كلاعب وإدارى ورئيس بعثة.

وقد رأس احمد حسنين باشا أول بعثة أولمبية كاملة فى دورة انفرس الأولمبية ببليجا عام ١٩٢٠ واشترك فى لقاءات السلاح وكان قد تولى منصب رئيس الديوان الملكى ، واشتركت مصر وقتها فى (٦) ألعاب هى كرة القدم ، وألعاب القوى ومثلها لاعبان ، والجمباز لاعبان أيضاً ، والسلاح ورفع الأثقال والمصارعة الرومانية وفى كل منها مثل مصر لاعب واحد فقط .

وقد سطر لاعبو مصر سجل الشرف الأولمبى بالعديد من الميداليات والإنجازات ، فقد حصلت مصر على سبع ميداليات أولمبية ذهبية أحرزها : إبراهيم مصطفى (المصارعة) والسيد نصير (رفع الأثقال) أمستردام ١٩٢٨ ، وخضر التونى وأنور مصباح (رفع الأثقال) برلين ١٩٣٦ ، وإبراهيم شمس ومحمود فياض (رفع الأثقال) لندن ١٩٤٨ ، وكرم جابر (المصارعة) أثينا ٢٠٠٤ .

كما حصل لاعبو مصر على سبع ميداليات أولمبية فضية أحرزها :
فريد سميكة (الغطس من السلم الثابت) أمستردام ١٩٢٨ ، وصالح سليمان
(رفع الأثقال) برلين ١٩٣٦ ، وعطية حمودة (رفع الأثقال) ومحمود حسن
(المصارعة) لندن ١٩٤٨ ، وعيد عثمان (المصارعة) روما ١٩٦٠ ،
ومحمد رشوان (الجودو) لوس أنجلوس ١٩٨٤ ، ومحمد على (الملاكمة)
أثينا ٢٠٠٤ .. ومن الجدير بالذكر أن محمد رشوان في دورة لوس أنجلوس
كان يستطيع الحصول على الميدالية الذهبية لو استغل إصابة منافسه الياباني
ياماشتا في قدمه ولكن أخلاقه الرياضية أثبت عليه استغلال هذا الموقف وهو ما
كان محل تقدير جميع الأوساط الرياضية في ذلك الوقت.

وحصل لاعبو مصر على تسع ميداليات أولمبية برونزية أحرزها :
فريد سميكة (الغطس من السلم المتحرك) أمستردام ١٩٢٨ ، وإبراهيم شمس
ووصيف إبراهيم (رفع الأثقال) برلين ١٩٣٦ ، وإبراهيم عرابي
(المصارعة) لندن ١٩٤٨ ، وعبد العال راشد (المصارعة) هلسنكي ١٩٥٢ ،
وعبد المنعم الجندي (الملاكمة) روما ١٩٦٠ ، ومحمد السيد وأحمد إسماعيل
(الملاكمة) وتامر بيومي (تايكوندو) أثينا ٢٠٠٤ .

عميد الأدب العربي يحصل على أول دكتوراه مصرية

ولد عام ١٨٨٩ فى قرية عزبة الكيلو مركز مغاغة بالمنيا ، وفقد بصره وهو فى الثالثة من عمره ، وحددت الصدمة مستقبله فلم يبعث به أبوه إلى المدرسة ، بل عزم على أن يدخله الكتاب حتى يصير شيخاً من حفظة القرآن الكريم ، وقد يسعده الحظ فيرسل به إلى الأزهر الشريف .. ولم يكد طه حسين يكمل التاسعة من عمره حتى أتم حفظ القرآن الكريم كله .. وفى عام ١٩٠٢ ذهب ليدرس فى الأزهر وكان قد بلغ من عمره الثالثة عشرة ، وظل به حتى التاسعة عشرة ، وفى هذه السنوات التقى بشيوخ مختلفين منهم من جمدوا على القديم ووقفوا عنده ، ومنهم من مالوا إلى التجديد والتطوير ، فسخط أشد السخط على الجامدين المتحجرين ورضى كل الرضا عن الفريق الثانى ، وكان من أساتذته الشيخ محمد مصطفى المراغى والإمام محمد عبده .

وأفاد الأزهر طه حسين كثيراً ففيه تلقى علومه الإسلامية ، وفى رحابه تكونت أصول ثقافته العربية القديمة ، وما كان يمكنه أن يكون طه حسين الذى عرفته دنيا الأدب والفكر لو درس الثقافة الحديثة وحدها .. وفى عام ١٩٠٨ وعندما أنشئت الجامعة الأهلية سارع إلى الالتحاق بها ، ودفع جنيهاً رسم التحاق بالقسم المسائى قدمه له صديقة أحمد حسن الزيات .

وبدأ طه حسين ينتزع بعض الوقت من الدراسة ليوافى الصحف ببعض

المقالات ، وبدأ مشاركة الحياة الأدبية والاجتماعية من حوله ، وبدأ تعلم اللغة الفرنسية ، وفتحت له الجامعة الأبواب لدراسة الثقافة العصرية المتطورة ودراسة التراث العربى الأصيل ، وقد سجلت له هذه السنوات نجاحاً فى دراسته داخل قاعات الجامعة ، وقد توج هذا النشاط برسالة قدمها للجامعة فى ١٥/٥/١٩١٤ بعنوان " تجديد ذكرى أبى العلاء " ونال بها درجة الدكتوراه ، وكانت أول دكتوراه تمنحها جامعة مصرية ، واعتزازاً من الجامعة بابنها النابغة قررت فى ٢/٨/١٩١٤ أن يسافر فى بعثة إلى فرنسا على نفقتها.

ولم تلبث الحرب العالمية الأولى أن شبت فتقرر أن يكون سفره إلى "مونبلييه" بدلاً من باريس التى تهددها الحرب ، وأمضى هناك عاماً تمكن فيه من اللغة الفرنسية ، ودرس الأدب والتاريخ وعلم النفس ، وفجأة استدعته الجامعة إلى مصر لعجز ألم بمواردها المالية ، وحين عاد أخذ يكتب المقالات دفاعاً عن بعثته ، وتدارك الأمر الأمير أحمد فؤاد وأنقذ الجامعة من عجزها المالى ، وعاد طه حسين إلى فرنسا والى باريس هذه المرة ، وهناك تزوج "سوزان بريسو" فى ٩/٨/١٩١٨ وكانت ذات أثر كبير فى حياته فقد وقفت إلى جانبه ، وكانت خير قارئ تنقل له كنوز اللغة الفرنسية نقلاً واعياً متذوقاً ، وكانت تسجل له ما يمليه عليها ، وأعانتة على دراسته حتى حصل على الدكتوراه فى " الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون " عام ١٩١٨ ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا عن رسالة تتصل بالقانون المدنى.

وعاد طه حسين إلى مصر عام ١٩١٩ ، وعين أستاذاً للأدب العربى ، ومضى يشق طريقه بين هيئة التدريس بالجامعة ، وفى تلك السنة ظهر له كتابان " الظاهرة الدينية عند اليونان " و " تطور الآلهة وأثرها فى المدينة " ولم يكن يمضى عام دون أن يظهر له كتاب مؤلف أو مترجم وقد عمل طه حسين على أن يغير الأدب العربى فى فكره وألوانه وأسلوبه ، ثار على الشعر والشعراء فى

عصره لأنه وجد أكثر ما يقولون شعر مناسبات ، وشعراً بالياً يقلد القدماء ويمسرق منهم الفكرة والصورة والعبارة ، كما ثار على الكتابة والكتاب ورأى أنهم يتحركون فى دائرة ضيقة محدودة خالية من الأشكال الفنية الصحيحة للنثر الحديث كالمقالة والقصة والمسرحية ، وأنهم مع ضيق هذه الدائرة يملئون نثرهم بالزخارف الخداعة .. وأحدثت آراؤه ضجة كبيرة فى ميدان الشعر والنثر ، وقاومه الكثيرون ، أما هو فلم يكتف بذلك بل عرض نماذج لهم من الأشكال الفنية الصحيحة فأخرج كتاباً بعنوان " صحف مختارة من الشعر التمثيلى عند اليونان " وأخرج عام ١٩٢٤ كتاباً بعنوان " قصص تمثيلية لجماعة من أشهر الكتاب الفرنسيين " وفى عام ١٩٢٥ ظهر المجلد الأول من أحاديث الأربعاء التى كانت تنشرها له صحيفة السياسة عن الشعراء المجددين فى العصر العباسى ، وظهر المجلد الثانى عام ١٩٢٦ .

وفى عام ١٩٢٦ أيضاً ظهر له كتاب " الأدب الجاهلى " الذى كان كالزلزال ، زعزع ما استقر فى النفوس من حقائق عن ذلك الأدب ، وثار الكثيرون ، وحول الكتاب إلى النيابة ، وتقرر منع نشره ، ولكن طه حسين حاول حتى أعاد نشره بعنوان " فى الأدب الجاهلى " .

واختير طه حسين عميداً لكلية الآداب ، وعرض الأمر على وزير المعارف ، ولم يكن من الحزب الذى يناصره طه حسين ، فأبى أن يوافق على اختيار الجامعة له ، وطلب إليه أن يستقيل من العمادة ، فأصر طه حسين على أن يعتمد الوزير تعيينه أولاً ثم يستقيل بعد ذلك ، وقبل الوزير واعتمد التعيين واستقال طه حسين من العمادة بعد يوم واحد ، وتولاها عميد فرنسى .

وفى عام ١٩٢٩ ظهر الجزء الأول من " الأيام " يحكى فيه قصة طفولته ونشأته ، وفى عام ١٩٣١ انتهت مدة العميد الفرنسى ، فأعدت الكلية

انتخاب طه حسين عميداً لها ، ولكن حدث أن حلمى عيسى وزير المعارف ساومه على أن يكون رئيس التحرير لجريدة هذه الوزارة ، فأبى حتى لا يخالف مبدأه السياسى فأضمرها الوزير فى نفسه ثم عاد فطلب إليه منح بعض السياسيين درجة الدكتوراه الفخرية فرفض ، فقام الوزير بنقله إلى وزارة المعارف ، وقامت مظاهرة ضخمة ضد القرار ، ولم يجد إسماعيل صدقى رئيس الوزراء إلا أن يعزله .

ظل طه حسين خارج الوظيفة أربع سنوات ، وظل يعمل أديباً ومؤرخاً للأدب وناقداً ، وكان من الكتب التى ظهرت له فى التاريخ الإسلامى " على هامش السيرة " وفى القصة الاجتماعية " دعاء الكروان " وفى السياسة " من بعيد " وفى التراجم " أديب " و " مع أبى العلاء فى سجنه " وفى التاريخ الأدبى " الحياة الأدبية فى جزيرة العرب " .

وفى عام ١٩٣٦ عاد مرة أخرى عميداً لكلية الآداب ، ولقبه الأديباء عميد الأدب العربى لأنه رائد نهضته التى بعثته بعثاً جديداً .

وفى عام ١٩٤٢ اختير مستشاراً للمعارف ، وندب مديراً لجامعة الإسكندرية ثم اختير وزيراً للمعارف بين سنتى ١٩٥٠ / ١٩٥٢ ، وهو لم يدخل ميدان التربية على غير خبرة ، ففى عام ١٩٢١ نقل إلى العربية كتاب " روح التربية " لجوستاف لوبون ، وفى عام ١٩٣٨ ألف كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " وهو صاحب نظرية الماء والهواء فى التعليم ، وقد شهدت مصر على يديه نهضة قوية فى نشر التعليم ونقله إلى أعماق الريف وتمكين الفقراء منه .

وخلال هذا المشوار استمر إنتاجه فوضع روايات أحلام شهر زاد ، شجرة البؤس ، جنة الشوك ، المعذبون فى الأرض ، جنة الحيوان ، كما كتب الشيخان أبو بكر وعمر ، وعثمان ، وعلى وبنوه .. ترجمت بعض أعماله إلى

الفرنسية والإنجليزية والعبرية والروسية والفارسية والصينية وغيرها ، وقد
انتخب طه حسين رئيساً لمجمع الخالدين خلفاً لإحمد لطفى السيد ، وفى ديسمبر
١٩٦٥ منحه الرئيس عبد الناصر أرفع أوسمة مصر " قلادة النيل " وتوفى عام
١٩٧٣ .

قصة اللاجئين السياسيين إلى مصر

منذ سنوات طويلة فتحت مصر أبوابها للاجئين السياسيين ، ففي عصر السلطان حسين كامل عرفت القاهرة وجوه الروس البيض الذين دفعتهم ثورة ١٩١٧ البلشفية فى روسيا إلى الفرار إلى أرجاء شتى من هذا العالم ، وأطلق عليهم الروس البيض تمييزاً لهم عن الروس الحمر الموالين للثورة .. وفى شارع عماد الدين أسس الروس البيض منتدى اجتماعياً لهم ، وفى عام ١٩٤٦ أعادت القاهرة فتح أبوابها لعدد من الشباب اليوغسلافى الذين كان الخلاف السياسى قد احتدم بينهم وبين عصابة الشيوعيين اليوغسلاف وهو التنظيم السياسى الذى كان الزعيم تيتو قد شارك فى تأسيسه .

وفى ٣٠ نوفمبر ١٩٣١ وافق ملك مصر فؤاد الأول على المعاهدة التى وقعت بين مصر والعراق بشأن تسليم المجرمين ، ونصت المادة السادسة على ألا يسمح بالتسليم من أجل جريمة سياسية.

وقد نص الدستور المصرى فى مادته ٥٣ صراحة على حقوق اللاجئين وحظر تسليمهم ومقاومة الاضطهاد ، وانضمت مصر إلى اتفاقية الأمم المتحدة الخاصة باللاجئين عام ١٩٨١ ، واتفاقية ١٩٨٤ .

وكان الشاه " محمد رضا بهلوى " شاه إيران الأخير من أشهر من لجأ

إلى مصر سياسياً حيث لم يجد أمامه بعد قيام الثورة في إيران سوى ملاجئ مؤقتة ومستشفيات متوسطة المستوى في جزر البهاما والمكسيك بعد اكتشاف إصابته بالسرطان ، ورفضت المكسيك عودته إليها ثانية بعد خروجه منها إلى نيويورك ، ورفضت بريطانيا وسويسرا السماح له بدخول أراضيها ، ولم تجب فرنسا على طلبه بمنحه تأشيرة دخول أراضيها ، وكانت أسوأ لحظات حياته عندما علم أنه كان مادة لمفاوضات تهدف إلى تحقيق قدر معقول من تطبيع العلاقات بين إيران والولايات المتحدة ، فاستضافته مصر لاجئاً سياسياً حتى توفي.

وكان أطفال " بياتريس لومومبا " زعيم ثورة الكونغو - الذى لقى مصرعه على يد رجال تشومبي - هم أصغر لاجئين سياسيين وطأت أقدامهم أرض مصر ، وكان أكبرهم لا يتجاوز التاسعة من عمره ، وقد وصلوا إلى القاهرة برفقة أحد الزعماء الكونغوليين البارزين ووزير التربية والتعليم فى حكومة لومومبا الثورية.

وقد استضافت مصر سياسياً معظم زعماء كينيا المعروفين مثل اوجنجا اودنجا ، ونجالا ، وتوم مبيوا ، وجيمس جيشور ، وجوزيف مورمبي ، كما لجأ إليها د. فيلكس موميه زعيم حزب اتحاد شعب الكامبيرون ، ومحمود حربى السياسى الصومالى ، وجيبوبكارى زعيم حزب سوابا فى النيجر ، ولاجئوا يمثلون اتحاد شعب الكامبيرون ، وحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، وحزب البان افريكان من جنوب أفريقيا ، والحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، وجبهة تحرير موزمبيق ، وحزبى " زابو " و" زانو " من زيمبابوى .. وفى نهاية الخمسينات وبداية الستينات كان فى مصر لاجئون سياسيون من: كينيا / الجزائر / الكامبيرون / الكونغو / أنجولا / موزمبيق / غينيا بيساو / جنوب أفريقيا / ناميبيا / جزر القمر / كومورو / نيجيريا / اريتريا التى كان من لاجئها " ولد

أب ولد ماريام " الذي نجا من سبع محاولات إغتيال دبرها له هيلاسلاسى مما جعل منه أسطورة فى اريتريا.

وقد كانت مصر المصدر الوحيد لتسليح وتدريب أغلب حركات التحرير الأفريقية .

وعلى الصعيد العربى كان من أشهر اللاجئين السياسيين إلى مصر الملك سعود أشهر لاجئ سعودى يختار مصر مقراً له بالرغم من الخلاف المصرى السعودى الحاد آنذاك .. والملك الليبى السنوسى أشهر اللاجئين الليبيين إلى القاهرة وجاء إليها بعد ثورة الفاتح .. والرئيس السودانى جعفر النميرى .. والسعودى "ناصر السعيد" زعيم تنظيم اتحاد شعوب شبه الجزيرة العربية .. كما لجأ عدد كبير من السياسيين اليمنيين إلى القاهرة.

وفى عام ١٩٦٣ استضافت القاهرة خمسة وزراء من سوريا وهم وزراء حكومة الوحدة الذين عارضوا الانفصال بالإضافة إلى مدير البرامج الثقافية بتلفزيون دمشق ومدير إذاعة حلب.

الكنز الذى أصر أن يظل مصرياً!!

" سأجعل العلاج بالنزرة كالعلاج بالأسبرين " قالتها ذات يوم مصرية عاشت عمرها الذى لم يتجاوز ٣٥ عاماً فى سلسلة تفوق إعجازى مستمر .. اجتمع مجلس الوزراء من أجلها خصيصاً لتعيينها فى الجامعة .. وكانت المصرية الوحيدة التى زارت المعامل السرية فى أمريكا .. وفقدت حياتها القصيرة فى حادث غامض .. إنها المعجزة المصرية د. سميرة موسى.

ولدت فى ٣ مارس ١٩١٧ بقرية سنمبو الكبرى مركز زفتى بمحافظة الغربية ، وعندما بلغت السادسة من عمرها التحقت بكتاب القرية ، وبقيت به حتى حفظت القرآن الكريم .. وبدأت رحلة النبوغ عندما مات سعد زغلول ، وأراد أبناء القرية قراءة ما كتب عنه فى الصحف ، وقيل أن سميرة تستطيع أن تقرأ ما كتب ، وإذا بها تقرأ الجريدة كاملة دون أن تخطئ فى كلمة واحدة ، وفى اليوم التالى طلب منها المدرس أن تقرأ لزميلاتها ما كتب عن سعد زغلول ، وإذا بها قد حفظت ما كتب بالجريدة عن ظهر قلب وبالحرف الواحد.

وألح الجميع على والدها أن يذهب بها إلى مدارس القاهرة .. وما كان منه إلا أن استخار الله وباع بضعة أفدنة كان يمتلكها ، وجاء إلى القاهرة واشترى بثمنها لوكاندة فى حى الحسين ، وألحق ابنته بمدرسة قصر الشوق

الابتدائية ، وكان أن نجح المشروع التجارى مما أغراه بإقامة لوكاندة أخرى هي لوكاندة " وادى النيل" بميدان العتبة .

ومن البداية احتفظت سميرة بالمرتبة الأولى حتى حصلت على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية ، وبعد ذلك التحقت بمدرسة بنات الأشراف بالعباسية ، وكانت ناظرتها نبوية موسى أول ناظرة مصرية ، وهناك ألقت لزميلاتها كتاباً فى الجبر للصف الأول الثانوى كتب على غلافه " الجبر الحديث - الجزء الأول - لطلبة السنة الأولى الثانوية - تأليف سميرة موسى - الطبعة الأولى عام ١٩٣٢ - حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة " .. وهنا تكررت قصة التفوق المتواصل فقد كانت تجرى مسابقات بين المدارس ، وكانت سميرة موسى محتكرة المركز الأول على بنات القطر المصرى طوال السنوات الأربع حتى حصلت على شهادة الثقافة العامة.

وكان عليها فى البكالوريا أن تختار الشعبة التى تتخصص فيها ، واختارت شعبة العلوم ، ولكنها اكتشفت أن مدرسة بنات الأشراف لا توجد بها معامل ، وأرادت أن تنتقل إلى مدرسة الأميرة فوزية ، إلا أن نبوية موسى ناظرة المدرسة رفضت أن تنقلها واشترت لها معملاً لتحتفظ لمدرستها بتلميذتها النابغة ، وبقيت سميرة لتتوج رحلتها بالحصول على المركز الأول للسنة الخامسة ولتكون الأولى على القطر المصرى.

وقررت سميرة أن تلتحق بكلية العلوم ، فهى الكلية التى تتيح لها فرصة التجربة فى المعامل وكان عميد الكلية فى ذلك الوقت هو د. مصطفى مشرفه باشا ، واستطاعت سميرة أن تحصل على بكالوريوس العلوم عام ١٩٣٩ بامتياز مع مرتبة الشرف .. واعترضت الجامعة ووزير المعارف على تعيينها معيدة ، حيث لم يكن قد تقرر بعد تعيين المرأة فى هيئة التدريس ، واتخذ د. مشرفه

موقفاً حاسماً بين تعيينها أو استقالته وذلك لاقتناعه بها ، واجتمع مجلس الوزراء خصيصاً واتخذ قراراً بأحقيتها في ذلك الموقع العلمي.

وقد أرادت الجامعة إرسالها في بعثة للحصول على الماجستير ، ولكن ظروف الحرب العالمية الثانية منعتها من السفر ، ولم تياس وحصلت على الماجستير من مصر بتقدير امتياز في موضوع " التوصيل الحرارى خلال الغازات وتكييف الهواء " .. ثم سافرت إلى لندن للحصول على درجة الدكتوراه .. كانت مدة البعثة ثلاث سنوات ، وكانت المفاجأة حين حصلت على الدكتوراه في عام ونصف ، وكانت أول عربية تحصل على الدكتوراه فى الأشعة السينية وتأثيرها على المواد المختلفة ، وقد شهد لها أساتذتها بالنبوغ والعبقرية وأطلقوا عليها لقب " مس كورى المصرية " تشبيهاً لها بالعالمة المشهورة مدام كورى التى اكتشفت الراديوم.

ولأن المنحة كانت تتيح لها بقاء باقى الثلاث سنوات فى إنجلترا ، فقد اشغلت هذه الفترة فى دراسة الذرة ، وظلت تفكر فى أهمية استخدامها فى الأغراض السلمية بحيث تكون سلاحاً للتقدم الإنسانى وقد تأكد لديها هذا الاتجاه بعد أن مرضت والدتها بالداء الخبيث ، فتركزت كل أبحاثها من أجل استخدام الذرة فى العلاج.

وكانت الدكتورة سميرة موسى قد أصبحت ذات شهرة واسعة فى الأوساط العلمية الدولية وكانوا يعتبرونها التلميذة النابغة للعالم الكبير د. مصطفى مشرفه الذى كان واحداً من خمسة علماء فى العالم كله فهموا نظرية النسبية لأينشتين ، واستطاع أن يستوعب مفرداتها بما يتيح له أن يحقق نتائج فى هذا المجال الهام.

وعينت د. سميرة موسى بكلية دار العلوم بقسم الطبيعة ، وفى

عام ١٩٥١ بلغتها دعوة للسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وحصلت على منحة فولبرايت لدراسة الذرة بجامعة كاليفورنيا ، وهى أشهر الجامعات التى عنيت بدراسة الذرة فى ذلك الوقت ، واستطاعت أن تحصل على نتائج أذهلت الأوساط العلمية فى أمريكا وأوروبا .

وكانت د. سميرة موسى هى المصرية الوحيدة التى سمح لها أن تزور المعامل السرية فى أمريكا وتلقت عروضاً بأن تبقى فى أمريكا وأن تحصل على الجنسية الأمريكية ولكنها رفضت ، وفضلت أن تعود إلى مصر وأن تواصل منها رسالتها العلمية والإنسانية ، وفعلاً بدأت تستعد للعودة ودعيت إلى رحلة استجمام قبل عودتها .. وقبلت الدعوة .

وركبت د. سميرة موسى السيارة ، وفى منطقة مرتفعة اندفعت السيارة لتسقط فى الهاوية إلى عمق ٤٠ قدماً ، ومعها " الكنز المصرى " بينما قفز قائدها واختفى إلى الأبد .. وقد عثر على آخر سطر كتبته فى أجندتها قبل أن تلقى مصرعها وكان " المنظر .. رائع .. رائع .. رائع " .

وكان ذلك يوم ٥ أغسطس ١٩٥٢ ، وكانت د. سميرة موسى فى الخامسة والثلاثين من عمرها ، وكانت آمالها أكبر بكثير مما تحقق ، وكانت مصر فى ذلك الوقت تستعد لاستقبال ابنتها التى نافست مدام كورى فى النجاح والشهرة والمجد ، ثم ذهب الكنز الذى أصر أن يظل مصرياً ، تاركاً خلفه ألف علامة استفهام .؟؟؟.

سعد زغلول وثورة ١٩١٩

ولد سعد زغلول عام ١٨٥٦ فى بلدة " إبيانة " بمركز فوه (بكفر الشيخ الآن) بمديرية الغربية وقد تعلم مبادئ القراءة والكتابة فى كتاب القرية وحفظ القرآن ، وانتقل إلى الجامع الدسوقى حيث أتم تجويد القرآن ، وتلقى دروساً فى النحو والفقہ ، ودخل الأزهر عام ١٨٧١ ليتم دراسته ، وفى أكتوبر ١٨٨٠ عين محرراً بالقسم الأدبى فى الوقائع المصرية التى تولى رئاسة تحريرها الشيخ محمد عبده ، وبذلك انتقل سعد زغلول من الأزهر إلى الوظائف الحكومية ، ثم نقل إلى وظيفة معاون بوزارة الداخلية فغير زى العمامة ولبس الطربوش ، ثم نقل إلى وظيفة ناظر لقلم القضايا بمديرية الجيزة فى أواخر عام ١٨٨٢ واتجه إلى الدراسات القانونية وهو فى هذه الوظيفة ، وفى عام ١٨٨٤ انتظم فى سلك المحاماة ثم عين عام ١٨٩٢ قاضياً بمحكمة الاستئناف ، وفى عام ١٨٩٧ حصن على إجازة الحقوق من باريس وفى أكتوبر ١٩٠٦ عين وزيراً للمعارف.

وحين وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها تولى سعد زغلول زعامة الحركة التى قامت للمطالبة بالاستقلال .. وترجع ثورة ١٩١٩ إلى أسباب عدة أهمها ما كان يعانيه الشعب من الاحتلال البريطانى منذ عام ١٨٨٢ ، وازدياد الاحتلال رسوخاً بعد الحرب العالمية الأولى بإعلان إنجلترا حمايتها

على مصر فى ديسمبر ١٩١٤ ، وقد اجتمعت الأحكام العرفية إلى الاحتلال والحماية ورزحت البلاد تحت هذا الظلم الثلاثى أربع سنوات متصلة ، وجندت السلطة العسكرية نحو مليون مصرى فى أعمال الجيش البريطانى وحملاته ومات كثير منهم فى ميادين القتال وأصيب الكثير وأساء الجنود الإنجليز معاملتهم مما أثار كراهية المصريين لهم.

وفى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ نشأ الوفد كحركة تتوب عن الشعب المصرى فى المطالبة بالاستقلال الوطنى ، وقد تألف الوفد من سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ، وكانوا جميعاً أعضاء فى الجمعية التشريعية .. وفى هذا اليوم قام الوفد بمقابلة السيد " ريجنالد وينجت " المندوب السامى البريطانى فى مصر ، وكان قد مضى يومان على إعلان الهدنة فى الحرب العالمية الأولى .

وطالب القادة الثلاثة بضرورة إلغاء الحماية ، وحصول مصر على الاستقلال ، وأن ذلك لن يمس بالمصالح الحيوية الإنجليزية فى المنطقة ، ولا بسلامة الطريق إلى الهند ، ولتأكيد الصفة التمثيلية باسم الأمة تم تأليف هيئة باسم " الوفد المصرى " للحصول على توكيلات من الأمة تخولها هذه الصفة.

وسعى سعد زغلول إلى توسيع الوفد لضم مختلف القوى السياسية المصرية ، وانتهج عدداً من السبل للمطالبة باستقلال مصر ، فمن ناحية أولى بدأ فى الاتصال بالسلطات الإنجليزية والاحتجاج لديها على استمرار الاحتلال والحماية طارحاً الحجج القانونية المدعمة لاستقلال مصر ، ومن ناحية ثانية خاطب رأى العام الإنجليزى والأوروبى والأمريكى محاولاً استقطاب أكبر قدر من التأييد للقضية المصرية ، ومن ناحية ثالثة اتجه إلى الأجانب المقيمين فى مصر لطمأنتهم وكسب تأييدهم ، ومن ناحية رابعة بدأ فى تعبئة رأى العام

الداخلى فانتشرت حركة التوقيعات على انتوكيلات الشعبية لتعزير وكالته عن الأمة ونظمت الاجتماعات لتتوير الشعب.

وفى يوم السبت ٨ مارس ١٩١٩ ألقّت السلطات العسكرية البريطانية القبض على سعد زغلول وصحبه ووضعتهم فى ثكنات قصر النيل ، وفى اليوم التالى نفوا إلى جزيرة مالطة .. وفى اليوم التالى شبت ثورة ١٩١٩ التى كانت أعنف ثورات المستعمرات فى هذه الفترة ، وبدأت بمظاهرات سلمية قام بها الطلبة فى ذلك اليوم ، وفى اليوم التالى أضرب جميع طلاب المدارس والأزهر وألّفوا مظاهرة كبرى وانضمت إليهم جموع الشعب ، وأطلق الجنود البريطانيون الرصاص على المتظاهرين ، واستمر الإضراب العام ، وتعطلت المواصلات فى جميع أنحاء العاصمة وأغلق التجار متاجرهم واستمرت القوات البريطانية فى القتل وسفك الدماء .. وفى ١١ مارس أضرب المحامون الوطنيون وفى ١٥ مارس أضرب المحامون الشرعيون ، وعمال العنابر بالسكك الحديدية وتعطلت قطارات الوجه القبلى ، وفى ١٢ مارس عمت فكرة قطع المواصلات وقطعت السكك الحديدية وأسلاك البرق والتليفون ، وكان أول خط قطع بين طنطا وتلا ، وامتد القطع إلى مختلف الخطوط وانقطعت المواصلات بين القاهرة والأقاليم وبين الأقاليم بعضها وبعض ، وتعذر على الناس أن ينتقلوا من جهة إلى أخرى وأصبحت البلاد كلها فى ثورة عارمة .. وفى ١٦ مارس قامت السيدات بمظاهرات كبرى ، وأعددن احتجاجاً مكتوباً على الفظائع التى ارتكبتها الإنجليز فى قمع المظاهرات السابقة وسلمن صورة منه إلى معتمدى الدول.

وقد قام الأزهر بدور مجيد فى هذه الثورة ، وكانت تعقد فيه الاجتماعات العامة ، وتلقى فيه الخطب النارية وتبدأ منه المظاهرات .. وارتكب الإنجليز لقمع هذه الثورة فظائع بلغت حد الوحشية فى القسوة والتكيل .

وواجهت الحكومة الإنجليزية الثورة بتعيين الجنرال (آدموند اللنبى) مندوباً سامياً فوق العادة لمصر والسودان بدلاً من السير ونجت ، وأفرجت عن سعد زغلول وصحبه فى ١٧ إبريل ، وفى مايو ١٩١٩ قررت الحكومة البريطانية تأليف لجنة برئاسة اللورد (الفريد ملنر) وزير المستعمرات وقتئذ لتقرير نظام الحكم بعد استشارة ومفاوضة السلطان والوزراء وأصحاب الرأى والشأن من المصريين .. وفى ٧ ديسمبر وصل ملنر وأعضاء لجنته فقبولوا من الأمة بالمقاطعة التامة ، فعاد إلى بلاده فى مارس ١٩٢٠ ، ثم دعا الوفد للتفاوض معه فى لندن وأسفرت المفاوضات عن مشروع ظاهرة الاستقلال وباطنة الحماية ، ثم قطعت المفاوضات فى نوفمبر ١٩٢٠ ، وفى فبراير ١٩٢١ أصدرت الوزارة الإنجليزية قراراً يتضمن اعتبار الحماية علاقة غير مرضية ، ودعوة مصر للدخول فى مفاوضات رسمية ، وتألفت وزارة عدلى يكن فى مارس ١٩٢١ وفى عهدها جرت المفاوضات الرسمية ، والتي ما لبثت أن أخفقت فاعتقل الإنجليز سعد زغلول وبعض أنصاره ونفوهم إلى جزيرة سيسل بالمحيط الهندى ثم نقلوه إلى جبل طارق ثم أفرجوا عنه فى مارس ١٩٢٣ .

وقد نجحت ثورة ١٩١٩ فى القضاء على الحماية ، إذ اعترفت الحكومة البريطانية فى فبراير ١٩٢١ بأن الحماية علاقة غير مرضية ، ثم أعلنت إلغائها ضمن تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ واعترفت فى هذا التصريح بأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، غير أن الاحتلال ظل حتى ١٨ يونيو ١٩٥٦ حين جلا آخر جندى أجنبى عن مصر .

وبعد الإقراج عن سعد أجريت الانتخابات البرلمانية الأولى فى يناير ١٩٢٤ ونال الوفد الأغلبية فألف سعد زغلول الوزارة برئاسته ثم استقال فى نوفمبر ١٩٢٤ على أثر مقتل السردار (لى ستاك) حاكم السودان .

ويمكن تحديد أهم إنجازات ثورة ١٩١٩ فى أنها سياسياً أدت إلى إلغاء الحماية ضمن تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، وإعلان الدستور عام ١٩٢٣ الذى كان حجر الزاوية فى البناء الدستورى لمصر حتى عام ١٩٥٢ ، وإقرار الحياة النيابية ، وكان ذلك تتويجاً لكفاح طويل بدأ من أيام الثورة العربية ، واقتصادياً عبرت الثورة عن نشاط متزايد للطبقة الرأسمالية وأوجدت شعوراً وطنياً اقتصادياً تمثل فى إنشاء بنك مصر عام ١٩٢٠ ، واجتماعياً كرست الثورة الوحدة الوطنية المصرية بين المسلمين والأقباط فخطب القساوسة على منابر المساجد وخطب المشايخ أمام مذابح الكنائس ، كما أتاحت أحداث الثورة الفرصة لخروج المرأة المصرية إلى ميدان العمل السياسى والإسهام فى النشاط العام .

وفى الحقيقة فإن الثورة أوجدت نهضة عامة شملت مختلف جوانب الحياة الاجتماعية فتكونت العديد من النقابات العمالية ، ونهضت الحياة الفنية على يد سيد درويش ، ونشأت جمعيات الكشافة ، وتكونت جمعيات التموين التعاونية ، وكان أهم دلالات الثورة تأكيدها العمل على مفهوم الاعتماد على النفس بعد فترة كانت الحركة الوطنية فى مصر قد اهتمت كثيراً بمخاطبة رأى العام الخارجى .

أول بنك مصرى

كان محمد طلعت حرب هو صاحب هذه الفكرة ، وكان يريد إنشاء بنك مصرى يديره مصريون بأموال مصرية ، وكان إيمانه بالفكرة إيماناً عميقاً ، وكشف عنها لبعض أصحابه ولكن الكثيرين قابلوها بالفتور والتشكك ، ثم نادى بها فى مؤتمر مصرى كان منعقداً فى عام ١٩٠٨ فأمن معه بالفكرة قلة وتوقع له الكثيرون الفشل ، فقد تسلط فى ذلك الوقت على الغالبية وهم مؤداه أن الأعمال المالية والصناعية والتجارية لا يقدر على فهمها إلا الأجنبى .

وظل طلعت حرب على الرغم من ذلك معتصماً بإيمانه بصواب فكرته، وأخذ يدعو لها فى الصحف وألف فى ذلك كتاباً عام ١٩١٠ عن (علاج مصر الاقتصادية ومشروع بنك مصر أو بنك الأمة) ، وظل يناضل فى سبيل هذه الفكرة حتى اشتعلت ثورة ١٩١٩ فرمى بفكرته فى أتون الثورة فنضجت إلى أن استطاع مع بعض رفاقه أن يعلن يوم الجمعة ٧ مايو ١٩٢٠ ميلاد بنك مصر .

وبدأ البنك برأس مال متواضع قدره ثمانون ألف جنيه ، واشترط طلعت حرب أن تكون أسهم البنك كلها للمصريين ، كما قرر جعل اللغة العربية لغة البنك فى كل أعماله وشئونه ثم أنشأ مطبعة مصر ومكتبة مصر لتزويد البنك وفروعه وما قد ينشئه من شركات بالمطبوعات والدفاتر وأدوات الكتابة ، كما

أنشأ عدداً كبيراً من الشركات منها شركة مصر لصناعة الورق / شركة مصر للغزل والنسيج / شركة مصر للطيران / شركة مصر للسياحة / شركة مصر للتمثيل / شركة مصر للنقل والملاحة / شركة مصر لمصايد الأسماك .

وبالإضافة إلى جهوده في مجال الاقتصاد كان يعمل على تشجيع الآداب والفنون فأنشأ دار التمثيل العربي بمدينة الأزبكية وشجع المسرحيات المصرية والعربية .

ولم يقتصر جهد طلعت حرب على خدمة مصر وحدها وإنما امتد نشاطه إلى البلاد العربية فقد أنشأ بنوكاً في سوريا ولبنان باسم " بنك مصر - سوريا - لبنان " ويسر لحجاج بيت الله الحرام بواخر مصرية ، وساهم بشكل فعال في إقامة فنادق ممتازة في الأراضي المقدسة ، وسك عملة سعودية لتثبيت أسعار النقد هناك .

ولد طلعت حرب بقصر الشوق بجهة الجمالية بالقاهرة ، وعاش بين عامي (١٨٦٧ - ١٩٤١ م) وتدرج في التعليم حتى نال شهادة الإدارة والألسن ثم عمل مترجماً بقلم قضايا الدائرة السنوية خلفاً للزعيم محمد فريد الذي تولى حينذاك رئاسة هذا القلم ثم تدرج إلى أن أصبح مديراً لأقلام القضايا ، ثم عمل مديراً لشركة كوم أمبو ، وأحيلت عليه في الوقت نفسه الشركة العقارية المصرية حيث تدرج فيها على الأعمال المالية ، واستمر في عمله بهذه الشركة حتى مصرّها ، وأصبحت غالبية رأس المال في أيدي المصريين .

الملك الصغير

وأعظم كشف فى تاريخ الآثار الحديث

عام ١٩٠٨ حصل اللورد كارنارفون أحد أثرياء النبلاء الإنجليز على تصريح بالحفر فى وادى الملوك بطيبة غرب الأقصر ، وكان أن طلب إلى هوارد كارتر والذى كان على صلة بسلطات مصلحة الآثار أن يتولى الحفائر فى طيبة.

وقد كشف كارتر عن مقبرة تحتمس الرابع ومقبرة حتشبسوت ، ولكنه اضطر إلى وقف الحفر عند بداية الحرب العالمية الأولى ثم استأنف العمل بين عامى ١٩١٧ - ١٩٢٢ ، إذ نقل الحفر إلى موقع قريب من مدخل مقبرة رمسيس السادس .

وكان أن وقع العمال على أخدود ملئ بالأنقاض يؤدى إلى سلم منحوت فى الصخر ، وينتهى إلى مدخل مسدود ، مختوماً بخاتم الجبانة الملكى .. وإذا بالحفائر تكشف عما لم يكن متوقعاً .. أروع ما عثر عليه فى مصر أو فى غير مصر ، ذلك الكنز الذى بقى مخبئاً أكثر من ثلاثة آلاف عام .. مقبرة الملك توت عنخ آمون.

لو لم يكتشف قبره فى عام ١٩٢٢ لبقى ذكره مدفوناً معه ، فقد تسولى الحكم حوالى عام ١٣٥٠ ق.م وعمره اثنى عشر عاماً ، ومات دون العشرين ،

ذلك أن إخناتون لم يرزق ولداً يعقبه في الملك ، فلما مات اعتلى العرش صهره " توت عنخ آتون " وبتوليته لاحت الفرصة التي كان كهنة آمون يتربونها فأجبروه على ترك " اخيناتون " والعودة إلى طيبة ، كما أجبروه على تغيير اسمه فصار " توت عنخ آمون " أي " صورة آمون الحية " .

ولم يقد توت عنخ آمون بأعمال جليلة تميزه عن غيره من الملوك ، ومع ذلك فقد ذاع صيته وطارته شهرته في الآفاق منذ أن كشفت مقبرته في وادي الملوك بالأقصر .. هذه المقبرة الوحيدة التي لم يستطع أحد الوصول إليها من قبل ، وكانت محتوياتها آية من آيات الفن المصري الفريد بما حوته من توابيت من الذهب ، والقناع الذهبي الرائع ، ومكآت بديعة ، وسرر أنيقة وكراسي جميلة مختلفة الأشكال والألوان ، ومطعمه بالعاج والذهب ، وعجلات ملكية ، وصناديق تحوى التحف والجواهر وأدوات الزينة ، وتمائيل بديعة وغير ذلك مما هو منقطع النظير في تاريخ الكشوف الأثرية من حيث الندرة والجمال .

ويعتبر العثور على هذه المقبرة بمحتوياتها التي لا تقدر بثمن أعظم كشف في تاريخ الآثار الحديث ، وقد نقلت نفائس هذه المقبرة الملكية إلى المتحف المصري .

لعنة الفراعنة

انتشر الحديث عن لعنة الفراعنة فى مختلف أنحاء العالم بعد اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون عام ١٩٢٢ ، فقد وجدت صخرة مكتوب عليها بالهيروغليفية " لتضمر اليد التى ترتفع فى وجه هيكلى ، وليحيق الدمار بأولئك الذين يهاجمون اسمى وقاعدتى ومومياواتى التى هى صدرى ، وسرعان ما ستحمل أجنحة الموت أولئك الذى يدخلون هذه المقبرة " .

وفى نفس اللحظة التى تم فيها افتتاح المقبرة ، كان مع مكتشفها " كارتر" عصفور كنارى ، وفى نفس اللحظة لدغه ثعبان من نوع الكوبرا ، ومات العصفور معلناً بداية اللعنة .. وبعد اكتشاف المقبرة بثلاثة أسابيع توفى اللورد كارنافون الذى مول أبحاث الكشف عن المقبرة على إثر لدغة بعوضة.

ومن عام ١٩٢٣ حتى عام ١٩٢٩ مات اثنان وعشرون شخصاً كان لهم علاقة بافتتاح مقبرة توت عنخ آمون منهم سيدة أمريكية اسمها " إيفلين جريللى " حضرت الاكتشاف وانتحرت بلا سبب فور عودتها إلى شيكاغو.. و" ريتشارد بيتل " الذى ساعد على افتتاح المقبرة وجد ميتاً على كرسيه بلا مرض وانتحر والده بعد ذلك بعام ، وفى عام ١٩٥٦ انتحرت أرملته.

ثم توالى الأحداث لتعمق الاعتقاد فغرقت سفينة بريطانية وعليها ١٥٠٠

راكب أمكن إنقاذ بعضهم وكان على هذه السفينة مومياء كاهنة فرعونية ..
وأصيب العالم الألماني " جوهان داميشين " بالجنون وكان ينقل رسوم المقابر
الفرعونية .. وكان البروفيسور " ايميرى " يحمل فى يده تمثالاً صغيراً لإله
الموت عند قدماء المصريين قبل أن تهاجمه النوبة القلبية التى مات بها.

وفى عام ١٩٧٢ تم شحن بعض آثار توت عنخ آمون على طائرة
بريطانية لعرضها فى لندن ، وحدث أن ركل الضابط الفنى " لاشدون " صندوق
الملك بقدمه وقال " ركلت أعلى شئ فى العالم " وتبادل بقية طاقم الطائرة
الجلوس على الصندوق الذى يوجد بداخله الملك ساخرين من لعنة الفراعنة ولم
يلبس لاشدون بعد فترة وجيزة وأثناء إعداد السلم أن سقط من فوقه وكسرت
ساقه ، ودمر بيت ملازم الطائرة وفقد كل ما يملك ، ومضيفة الطائرة أجريت
لها عملية جراحية فى رأسها أدت بها إلى الصلع الكامل ، وأصيب زميل آخر
بأزمتين قلبيةتين ، أما قائد الطائرة فقد مات عام ١٩٧٦ بأزمة قلبية وعمره ٤٠
عاماً ، وقالت زوجته على الفور إنها لعنة الفراعنة.

كل هذه الأحداث أدت إلى الحديث عن لعنة الفراعنة ، والحديث عن
المعتقدات المصرية القديمة التى تقول بأن " الكا " أو قرين الإنسان عند قدماء
المصريين يظل يحوم حول الجثة بعد الوفاة ، وذلك لحمايتها من أى عبث بها ،
وأن إزعاج المومياء يفصل " الكا " عن صاحبها مما يجعلها تنتقم من الذى سبب
هذا الانفصام.

ويبدو أن لعنة الفراعنة سيظل شيئاً يتحدث عنه الناس طويلاً لما يحيط
بها من أساطير وملابسات .. على الرغم من أن الواقع كما يؤيدها فى بعض
الأحداث فإنه ينفىها فى البعض الآخر بدليل أن عدداً كبيراً من مكتشفى الآثار
المصرية القديمة عاش حياة طبيعية بعد اكتشافاته ، وتوفى أيضاً وفاة طبيعية.

رئيس الوزراء يسقط فى أول انتخابات برلمانية

شهدت مصر فى بداية عام ١٩٢٤ أول انتخابات برلمانية فى تاريخها فى جو من الحرية والنزاهة ، وقبيل إجراء الانتخابات سادت الحياة المصرية رغبة صادقة فى احترام إرادة الناخبين كى يختاروا ممثليهم فى أول مجلس نيابى على الوجه الذى يريده الشعب.

كان يحيى باشا إبراهيم رئيساً للوزراء ، وكان قد نجح فى استصدار الدستور فى وقت خبا فيه الأمل ، فكانت هذه هى أولى إنجازات هذا الرجل ، وعقب إعلان الدستور بدأت عملية تهيئة المناخ الديموقراطى لإجراء الانتخابات العامة ، فألغيت الأحكام العرفية ، وبدأت سلسلة من القرارات للإفراج عن المعتقلين السياسيين الذين كانوا فى المعتقلات منذ أحداث ثورة ١٩١٩.

وبدأت الاستعدادات للانتخابات العامة ، وقسمت مصر إلى ٢١٤ دائرة انتخابية تقدمت لها أحزاب الوفد والأحرار الدستوريين والحزب الوطنى ، واهتمت الأمة بكل طوائفها بالانتخابات .

وصدق يحيى إبراهيم فى العهد الذى قطعه على نفسه بأن تجرى الانتخابات فى جو من الحياد ، ولم يسمح لأحد من رجال الإدارة بالتدخل فى إرادة الناخبين ، وليس أدل على ذلك من سقوط رئيس الوزراء نفسه فى دائرة

منى القمح أمام مرشح الوفد احمد افندى مرعى (والد المهندس سيد مرعى وزير الزراعة الأسبق) ، ولكنه وضع نفسه فى مرتبة الرجال العظام فى تاريخ مصر.

واكتسح الوفد هذه الانتخابات ، وحصل مرشحوه على ٩٠% من المقاعد ، بينما سقط أقطاب الأحرار الدستوريين ، وفى مقدمتهم عبد العزيز فهمى باشا وإسماعيل صدقى باشا ، ولم ينجح منهم سوى سبعة نواب ، ولم ينجح من أقطابهم سوى محمد باشا محمود ، وكان نصيب مرشحي الحزب الوطنى أربعة مقاعد فقط من بينهم عبد الرحمن الرافعى الذى فاز على منافسه الوفدى بفارق صوت واحد فقط.

حينما نصبّ العرب احمد شوقى أميراً للشعراء

" يسير مع الحوادث متدفقا ، مندفعاً فوق موج الماضي ، أتياً من لا نهايات القدم ، كأنما هو قيثاره آلهة ذلك الزمن البعيد ، ويدفع إليها كل جيل نسائمه ، فنتغنى ، وتشدو بأهازيج النصر وبترانيم المسرة طوراً ، وبشجو الألم أحياناً " كلمات رائعة قدم بها د. محمد حسين هيكل قصائد ديوان الشوقيات للشاعر الكبير احمد شوقى الذى يعد من كبار شعراء اللغة العربية ، مما حدا بالشعراء العرب إلى تقليده إمارة الشعر فى عام ١٩٢٧ ، وأقيم لذلك حفل كبير حضره مندوبون عن الدول العربية وبايعوه أميراً للشعراء.

ولد احمد شوقى بالقاهرة عام ١٨٦٨ م ، وتعلم بكتاب الشيخ صالح ثم المدرسة الخديوية حيث نال الشهادة الثانوية ومن ثم دخل مدرسة الحقوق عام ١٨٨٣ م ، حيث قضى سنتين التحق بعدها بقسم الترجمة ونال شهادته النهائية ، اتصل شوقى بالقصر وعينه الخديوى توفيق فى القصر ، ثم أرسله إلى فرنسا ليدرس الحقوق والآداب الفرنسية على نفقته الخاصة ، وفى عام ١٨٩١ م عاد إلى مصر وأخذ يتدرج فى مناصب الديوان الخديوى ، وفى عام ١٨٩٧ نشر ديوانه الأول ، واتصل بالخديوى عباس الذى جعله شاعر القصر حتى شببت الحرب العالمية الأولى فنفى إلى أسبانيا خمس سنوات ، وقال فى إحدى قصائده :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه

نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

وعندما عاد احمد شوقى إلى مصر اتصل مرة أخرى بالحياة الأدبية ،
وصور فى شعره أهم الأحداث السياسية والاجتماعية بمصر والعالم العربى ،
ويبدو بشوقى ولع كبير بالتاريخ ، كما أشاع فى مدائحه الحديث عن الأخلاق
والفقراء وعن الشريعة الإسلامية والشكوى من أحوال المسلمين وتأخرهم وتفكك
الروابط بينهم ، وهى من التجديدات التى أدخلها إلى المدائح النبوية ، وله فى
الشعر الدينى قصيدتان عارض بإحدهما البردة وبالآخرى الهمزية للبوصيرى ،
ويقول فى البردة :

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم

إلا على صنم قد هام فى صنم

والأرض مملوءة جوراً مسخرة

بكل طاغية فى الخلق محتكم

وقد أبدى احمد شوقى قدرة وتمكناً فى قرضه الشعر ، وقد بلغت
قصيدته " كبار الحوادث فى وادى النيل " مائتين وتسعين بيتاً ، وهى من
الروايات الخالدة لتاريخ مصر منذ الفراعنة إلى عهد أبناء محمد على ، ويقول
د. هيكل عن شعره " وأنت إذ تقرأ قصائده عن سفح الأهرام ، وأبو الهول
وتوت عنخ آمون يهزك الشعور بصورة هذا الماضى فى قداستها ومهابتها ،
وتمتلكك نفس الشاعر فترتفع بك من مستوى الحياة الدنيا إلى سماوات الخلد ،
ذلك أن شوقى يهديك المعنى الذى كنت تلتسمه نفسك فلا تقع عليه ."

أهم مؤلفاته " الشوقيات " وهو ديوان شعرى فى أربعة أجزاء ، وكتاب
" عظماء الإسلام " وقصائد للأطفال ، وله فى النثر كتاب " أسواق الذهب " جارى
فيه الزمخشري فى كتابه " أطواق الذهب " وله روايات شعرية هى :

على بك الكبير ، وكليوباترا ، ومجنون ليلي ، وقمبيز ، وعنترة ، وله روايات نثرية منها : لادياس ، وورقة الآس ، ومذكرات بنتاؤر ، وأميرة الأندلس ، وتوفى عام ١٩٣٢ .. وكتب على قبره كوصية هذين البيتين من نهج البردة :

وكيف لا يتسامى بالرسول مسمى

يا احمد الخير لى جاه بتسميتى

فى الله تجعلى فى خير معتصم

إن جل ذنبى عن الغفران لى أمل

أول فنان فى الشرق ينحت تمثال ميدان

الفنان المصرى محمود مختار .. وهو أول من استخدم جرانيت
الفرعونى بعد مضى ألفى سنة لينحت تمثال نهضة مصر .

ولد عام ١٨٩١ بقرية " نشا " بمديرية الغربية .. وكان من أوائل طلاب
مدرسة الفنون الجميلة - التى أسسها الأمير يوسف كمال - حين بدأت بها
الدراسة عام ١٩٠٨ فى مبنى بدير الجماميز .. وفى عام ١٩١١ أقام طلاب
الكلية معرضهم الأول وافتت أعمال مختار انتباه المشرفين على الفنون فأرسل
فى بعثة دراسة إلى فرنسا وبذلك كان أول طالب مصرى يوفد على نفقة
الحكومة فى بعثة فنية لمدة ثلاث سنوات .. وكان ترتيبه الأول على مائة فى
امتحان قبول المدرسة العليا للفنون الجميلة بباريس .. وعرض عليه وهو فى
الثانية والعشرين من عمره أن يكون مديراً لمدرسة الفنون الجميلة بمصر ولكنه
رفض لا لشيء إلا أنه أراد أن يكون فناناً فقط .. وأمضى أثناء الحرب العالمية
الأولى أوقاتاً عصيبة لانقطاع مرتبه عنه إلا إنه استمر يزاول فنه وعين فى
النهاية مديراً لمتحف " جريفان " مكان أستاذه " لابلان " .

ثم بدأت فكرة أعظم أعماله " تمثال نهضة مصر " .. وبدأ زملاءه
المصريون فى باريس فى جمع التبرعات فيما بينهم لينفذ مختار التمثال من

الرخام .. وبعد أن انتهى من تصميمه عرضه فى معرض باريس السنوى ،
وتشاء الصدفة أن يراه الساسة المصريون الذين ذهبوا إلى هناك فى أعقاب
الحرب العالمية الأولى ليعلنوا حق مصر فى الاستقلال .. ورأوا التمثال
وأعجبوا به وكتب حافظ عفيفى على صفحات الأخبار مطالباً الشعب بالتبرع
لإقامة التمثال.

لقد قدم مختار تمثالاً يمثل فيه مطالب بلاده .. نهضة شعب يريد أن
يعيش متطلعاً إلى الحرية ممثلاً فى الفلاحة التى ترفع يديها إلى جبينها وهى
تنظر إلى الأمام ، وقد أسندت يدها الأخرى على رأس أبى الهول الذى بدأ
يتوثب هو الآخر .. فالفلاحة ترمز إلى شعب بأكمله وأبو الهول يرمز إلى تاريخ
هذا الشعب.

وبدأت جميع طوائف الأمة المصرية فى جمع التبرعات من الشارع
والحقل والمصنع والمدرسة حتى مكاتب الوزراء والدواوين .. وجمعت لجنة
التمثال (٦٥٠٠ جنيه) قيمة الاكتتاب .. ورأت أن ينفذ التمثال من البرونز
ولكن مختار رأى أن يصنع التمثال الكبير من حجر الجرانيت الأحمر من
محاجر أجدادنا الفراعنة فى أسوان .

وتبرعت مصلحة السكة الحديدية بنقل الحجارة من أسوان للقاهرة ..
وساهمت الحكومة حينئذ بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه قررها مجلس الوزراء برئاسة
عبد الخالق ثروت .. وبعد ذلك وفى أثناء رئاسة سعد زغلول للوزارة ظهرت
بعض العقبات بسبب نفاذ المبلغ فقررت الحكومة اعتماد كل الأموال اللازمة
لإنهاء التمثال .. واستمر العمل بالتمثال متخطياً كل المعوقات التى طرأت فيما
بعد حتى أزاح ملك مصر الستار عنه يوم ٢٠ مايو ١٩٢٨ .. وكان مكانه ميدان
رمسيس قبل أن ينقل إلى مكانه الحالى بمدخل شارع جامعة القاهرة .. ليكون
أول تمثال تقيمه مصر منذ العصور المصرية القديمة .

وعندما عاد مختار إلى باريس أقام معرضاً منفرداً فى عام ١٩٣٠ وعرض عدداً من التماثيل الصغيرة التى تمجد بيئة مصر الريفية واقتتت الحكومة المصرية منه تمثال " عروس النيل " .. وكانت أعماله تجمع بين دقة الحياة والبساطة المتناهية وأعاد الحياة إلى فن النحت المصرى القديم الذى توقف بظهور الفنون الدينية ويوضح ذلك تمثال " رياح الخماسين " .

وإذا كان مختار قد استلهم الفن الفرعونى ولم يقلده ، فقد بعد أيضاً عن تيار المدارس الفنية الأجنبية التى لاهت رواجاً كبيراً فى أوروبا وفرنسا وبالذات بعد ظهور الأسلوب التأثيرى .. ومن السهل أن نصف مختار بأنه حاول أن يجد فناً ذاتياً لنفسه كمصرى وسط هذه التيارات الفنية ، فهو فنان مبتكر ولعل هذا إطار خلوده الفنى فهو فى تمثال نهضة مصر على سبيل المثال لم يحاول أن يضع مصرياً أو زعيماً على حصان كأغلب موضوعات تماثيل ميادين أوروبا .

وقد نفذ محمود مختار تمثالى ميدان آخريين لسعد زغلول فى القاهرة والإسكندرية .. إلى جانب ١٥٠ تمثالاً منهم " القيلولة " و " حاملة الماء " و"الحزن" و " امرأة القاهرة " و " الأميرة " .

ولكن الأيام التى انحنى له أكثر من ٤٣ عاماً يبدو أنها ضجت بكل هذا النجاح الذى حققه مختار معتمداً على فنه وشخصيته وأسلوبه الذى حاول ونجح عن طريقه .. فأصيب بما يقرب الشلل فى يده اليمنى وتوفى فى مارس ١٩٣٤ .

وقد أقامت مصر تكريماً له متحف مختار عام ١٩٦٤ بالقاهرة وفيه بعض تماثيله وملابسه وما كتب عنه ، وهو أول متحف من نوعه يقام لفنان واحد فى مصر ، ويوجد بالمتحف أيضاً كتابان كتباً لأول مرة عن حياة فنان من الشرق .

أول شرقى يعبر المانش

السباح المصرى اسحق حلمى .. ولد بحلوان عام ١٩٠١ ، وكان والده المشير عبد القادر باشا حلمى حاكم السودان سابقاً ، ومن وزراء الداخلية والحربية المشهورين وكان شغوفاً بالرياضة وعلمها لأولاده .

وكانت أول محاولة أقدم عليها اسحق حلمى يوم ٦/٨/١٩٢٢ هى سباحة المسافة بين دمياط ورأس البر وتبلغ نحو ١٤ كيلو متراً ، وفاز بالمركز الأول فى هذه المسابقة ، ثم كانت المحاولة الثانية من حلوان إلى القاهرة وتبلغ ٢٥ كيلو متراً ، ولم يكن لأحد قبل ذلك أن اجتازها ، وقطعها فى ١٢ ساعة.

وفى ١٩٢٤ سافر على نفقته الخاصة إلى فرنسا ، وقد تفتحت شهيته لتحقيق فوز دولى ، وهناك التقى بالسباح الشهير " برجسون " ثانى سباح فى العالم عبر المانش ، وتولى إعداده للمسابقات الأوربية الكبرى ، ونجح اسحق حلمى يوم ٦/٨/١٩٢٤ فى عبور المسافة من كوربيه إلى باريس وتبلغ ٤٢ كم فى ١٨ ساعة ، وبعدها تطلع لعبور المانش الذى كان يعتبر قبلة سباحة العالم ، والغاية الكبرى لسباحى المسافات الطويلة ، وكان أول مصرى وشرقى يفكر فى ذلك.

وبدأت المحاولة الأولى فى أغسطس ١٩٢٤ وأخفق فيها ، ثم جاءت

الثانية فى سبتمبر ١٩٢٥ وسبح لمدة ٢٤ ساعة ونصف وتوقف عند مسافة مليون من الشاطئ .. وفى عام ١٩٢٦ قام بالمحاولة الثالثة وبعد سباحة سبع ساعات ظهرت مفاجأة غير متوقعة حيث اكتشف إصابته بالبلهارسيا ، فعاد إلى مصر وأجرى له العلاج ولكن يبدو أنه لم يكن كاملاً فأخفق فى محاولته الرابعة عام ١٩٢٧ ، ثم استكمل العلاج نهائياً وعاد إلى أوروبا فى محاولة خامسة.

كانت هذه المحاولة عام ١٩٢٨ ، وقد ظل يصارع الأمواج طوال ٢٣ ساعة و ٤٠ دقيقة قطع فيها المسافة من كاليه إلى دوفر ، وقدرها ٨٩ كم وخرج منتصراً وصار أحد مشاهير الرياضة فى العالم ، وفى سبتمبر ١٩٢٨ أصدرت لجنة التحكيم الدولية لسباق المانش خطاباً رسمياً بصحة المحاولة.

ومما يذكر عن بحر المانش أنه المضيق البحرى بين ساحل فرنسا الشمالى وساحل إنجلترا الجنوبى ، ونظرية السباحة بين أقرب نقطتين - وهى الطريق المستقيم - هى نظرية لا محل لها فى عبور المانش بسبب التيارات المتغيرة باستمرار ، والعواصف ، كما يتميز المانش بمياهه الباردة طوال أيام السنة.

ومن الجدير بالذكر أن مصر قد امتلكت فى وقت من الأوقات جميع أرقام المانش القياسية ، وفى عام ١٩٥٠ سجل حسن عبد الرحيم رقمه الاعجازى من فرنسا إلى إنجلترا وقدره ١٠ س ، ٥٠ ق .. كما استطاعت مصر بعد ذلك أن تصنع معجزة ضخمة كانت حديث العالم كله عندما استطاعت أن تضرب رقمين قياسيين فى يوم واحد هو يوم ٢٩/٨/١٩٥٠ عندما حطم أبو هيف ومحمود حسن والسيد العربى وبكر سليمان وعبد المنعم عبده وحسن أبو بكر رقم التتابع الذى كان مسجلاً باسم مصر أيضاً وذلك عام ١٩٤٩ ، وفى اليوم نفسه تمكن السباح عبد اللطيف أبو هيف من أن يستمر فى سباحته بعد أن

قام بدوره فى بدء سباق التتابع حيث نجح فى تحطيم الرقم القياسى من إنجلترا إلى فرنسا .. وبذلك أصبحت جميع أرقام المانش القياسية فى أيدى تماشىح النيل .. وفى عام ١٩٥٣ سجل عبد اللطيف أبو هيف رقماً جديداً هو ١٣ س ، ٤٥ ق من إنجلترا إلى فرنسا.

وفى ١٩٤٩/٩/٦ حطم الفريق المصرى الرقم الفرنسى فى عبور المانش بالتتابع من إنجلترا إلى فرنسا بساعة وسبع دقائق فسجل ١١ س ، ١١ ق بواسطة حسن عبد الرحيم ومرعى حماد واحمد الزرقانى حطب وعمر صبرى ومحمود حسن ومحمد على الدين الذى حل محل عبد المنعم عبده بسبب مرضه .

ومن مفاخر مصر فى سباحة المانش حسن عبد الرحيم الذى استطاع أن يعبر المانش وهو فى الثانية والأربعين ، كما استطاع أن يفوز بسباق الديلى ميل الأول ، وأن يحطم الرقم السابق الذى ظل معمرأ ستة وعشرين عاماً مسجلاً رقماً إعجازياً قدره ١٠ س ، ٥٠ ق .. ويذكر أن له أربع محاولات ناجحة فى عبور المانش نجح فى جميعها من أول مرة ، وهو أول سباح مصرى عبر المانش من طرفيه السهل (فرنسا - إنجلترا) والصعب (إنجلترا - فرنسا) ، وكان بذلك ثالث سباح فى العالم يقوم بهذا العمل .. كما كان أول سباح فى العالم يعبر المانش ثلاث مرات فى ثلاث سنوات متتالية ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ .

كما كانت مصر هى الدولة الوحيدة التى أنجبت اثنين من قاهرى المانش عبراه فى يوم واحد وهما حسن عبد الرحيم من الشاطئ الإنجليزى ومرعى حماد من الشاطئ الفرنسى وذلك عام ١٩٤٩ .

وفى يونيو ١٩٥٢ وخلال سباق نهر السين بفرنسا والذى فاز فيه بطلا

مصر عبد اللطيف أبو هيف ومرعى حسن بالمركزين الأول والثاني عقد أول اجتماع تأسيسي للاتحاد الدولي بحضور ١٤ دولة شاركت في السباق بباريس ، وتقرر تشكيل أول اتحاد لسباحة المسافات الطويلة برئاسة المصري الدكتور محمد صبرى ، وكان السكرتير العام المصري عبد الفتاح شفشق ، كما تقرر أن تكون القاهرة مقراً للاتحاد الدولي تقديراً لإنجازات سباحيها.

ولم تقتصر علامات تفوق سباحى مصر فى بطولات المانش على ذلك بل تجاوزته حين قدمت مصر للعالم عبلة خيرى أصغر سباحة تعبر المانش فى العالم (حوالى ١٣ عاماً) فى ١٨/٤/١٩٧٤ محققة رقماً قياسياً لم يتم تجاوزه حتى الآن ، كما قدمت مصر خالد حسان الذى عبر المانش عام ١٩٨٢ ، وخالد شلبى الذى عبره عام ١٩٨٣ وهما أول معاقين يتمكانان من عبور المانش فى العالم.

مصر تنشئ أول مجمع للغة العربية

فى ١٣ ديسمبر ١٩٣٢ صدر المرسوم الملكى من فؤاد الأول ملك مصر بإنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة .. وكانت مصر هى أول دولة عربية تنشئ مثل هذه الأكاديمية العلمية الرفيعة المستوى ، مهتدية فى ذلك بما سبقتها إليه فرنسا حيث أنشئ أول مجمع لغوى وذلك فى أول الثلث الثانى من القرن التاسع عشر.

وكان اسم المجمع يوم إنشائه هو "مجمع اللغة العربية الملكى " وفى عام ١٩٣٨ أصدر الملك فاروق مرسوماً ملكياً أطلق بموجبه اسم والده الملك فؤاد على مجمع اللغة العربية وأصبح " مجمع فؤاد الأول للغة العربية " .. وفى عام ١٩٥٤ أصدر جمال عبد الناصر - وكان فى ذلك الوقت رئيساً للوزراء - مرسوماً جديداً أطلق بموجبه اسماً جديداً للمجمع هو "مجمع اللغة العربية " .. وكان طوال هذا التاريخ تابعاً لوزارة المعارف العمومية حتى أصبح هيئة مستقلة تماماً عام ١٩٥٨.

وعندما أنشئ المجمع عام ١٩٣٢ نص مرسوم إنشائه على أن يؤلف من عشرين عضواً عاماً يختارون من غير تقييد بالجنسية من بين العلماء المعروفين بتبحرهم فى اللغة العربية أو بأبحاثهم فى اللغة ولهجاتها ، وبالفعل شهد الفوج الأول من أعضاء المجلس عدداً من الأجانب .. وكان أول رئيس لمجمع اللغة

العربية هو محمد توفيق رفعت وكان قاضياً وأديباً ووزيراً للمعارف ثم وزيراً للخارجية.

ورغم ما طرأ على المجمع ولوائحه من تعديلات طوال تاريخه ، إلا أن الهدف الذى تحدد له لم يضاف له أدنى تعديل أو تغيير ، وهو المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون التى تقدمها ، وملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد فى معاجم أو تقاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق ما ينبغى استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب ، ووضع معجم تاريخى للغة العربية ، ونشر بحوث دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وما طرأ على مدلولاتها من تغيير .

وقد حدد المرسوم الذى صدر عام ١٩٥٥ عدد أعضاء المجمع بأربعين عضواً على الأكثر ، ويجوز أن يكون من بين هؤلاء عدد لا يتجاوز الاثنى عشر عضواً من غير المصريين .. ويلاحظ أن هؤلاء الأربعة هم الأعضاء الأساسيون الذين يمثلون هيئة المجمع ، ولكن هناك أعضاء آخرين يعملون فى لجان المجمع وهم كبار العلماء المتخصصين فى كل فرع من الفروع العلمية .

ويتم اختيار عضو جديد فى المجمع عند وفاة عضو آخر أو تقديم استقالته أو عجزه عن أداء عمله أو فصله لتهمة " مزرية بالشرف " - ولم يخل أى مقعد حتى الآن إلا بسبب الوفاة - عندئذ يكون لكل عضو الحق فى ترشيح عضو أو أكثر من عضو حتى خمسة أعضاء .. ويجرى اقتراح بين الأعضاء المرشحين الجدد ومن يفوز بالأغلبية فى هذا التصويت هو الذى يفوز بشرف العضوية على أن يحصل على أصوات تزيد على نصف عدد المنتخبين بصوت واحد على الأقل.

الدكتور مشرفه كبير علماء الذرة المصريين

فى عهد عمادته الأولى حصل على لقب البكوية ، ومع هذا لم يابه بهذا اللقب ولم يكن يستخدمه فى حياته العامة ، وفى ١١ فبراير ١٩٤٦ كان من المقرر أن يزور الملك عبد العزيز آل سعود جامعة فؤاد الأول ، وتصادف أن كان على باشا إبراهيم مدير الجامعة مريضاً واصبح الدكتور مشرفه مديراً للجامعة بالإنابة وعليه أن يستقبل الملك عبد العزيز ، واضطرت السراى إلى منحه رتبة الباشوية كرئيس مؤقت للجامعة ، وأقبل الجميع يهنئونه بالباشوية فاستكر منهم ذلك معتزاً بالدكتوراه لرجل العلم.

ولد على مصطفى مشرفه فى دمياط فى ١١ يوليو ١٨٩٨ ، وفى عام ١٩٠٧ داهمت الأسرة أزمة مالية أودت بكل ما تمتلكه ، وقبل أن يؤدى الصبى امتحان الشهادة الابتدائية بشهور توفى والده ، وبعد أن حصل على الابتدائية انتقلت الأسرة إلى القاهرة ولكن مشرفه التحق بمدرسة ثانوية بالإسكندرية بالمجان ثم انتقل إلى القاهرة حتى حصل على البكالوريا عام ١٩١٤ ، وتوفيت والدته قبل الامتحان بشهرين ، والتحق بمدرسة المعلمين العليا ، وسافر فى بعثة إلى إنجلترا وحصل على البكالوريوس فى الرياضيات عام ١٩٢٠ ، وبقي فى إنجلترا حتى حصل على الدكتوراه فى فلسفة العلوم عام ١٩٢٣ ، وأصبح عضواً فى الجمعية الملكية البريطانية ، وأخذ ينشر بحوثه فى المجالات

المتخصصة وأصبح من فريق المحاضرين فى الجمعية الملكية البريطانية ،
وأصبح العالم الحادى عشر فى العالم الذى يحصل على الدكتوراه فى العلوم
وأول مصرى يحصل عليها .

وحاربه الإنجليز ورفض طلبه فى وظيفة أستاذ لعلوم الطبيعة فى
مدرسة الطب ، وعينه احمد لطفى السيد مدير الجامعة المصرية سنة ١٩٢٠
أستاذاً فى كلية العلوم ، ولكن مشرفه كان يرى أنه أحق بوظيفة أستاذ ، فلجأ إلى
أحد أعضاء مجلس النواب الوفديين ، وكان سعد زغول رئيساً للمجلس فأثير
الموضوع وأصدر على ماهر وزير المعارف قراراً بتعيين الدكتور مشرفه
أستاذاً للرياضة التطبيقية فى كلية العلوم عام ١٩٢٦ ، وكان بذلك أول مصرى
فى هذا المنصب ، وفى عام ١٩٣٠ اختير وكيلاً لكلية العلوم حتى عام ١٩٣٦
وهو العام الذى عين فيه عميداً ، وأصبح بذلك أول عميد مصرى لكلية العلوم .

ثم انتخب على مصطفى مشرفه وكيلاً للجامعة لمدة ثلاث سنوات كان
مقرراً أن تنتهى فى ٢ ديسمبر ١٩٤٨ ، وفوجئ بصدور قرار بأن يكون اختيار
وكيل الجامعة بالتعيين ، وفى يونيو ١٩٤٨ صدر قرار بإعفائه من وكالة
الجامعة وتعيين وكيل جديد لها ، وكان من المتوقع عندما يخلو منصب مدير
الجامعة أن يكون من نصيب الدكتور مشرفه فهو أقدم العمداء ، وشغل منصب
وكيل الجامعة لفترة بل أنه شغل منصب مدير الجامعة بالإنابة لفترة أخرى ،
ولكن الدكتور مشرفه لم يذهب للشكر عندما منح الباشوية فى ١١ فبراير
١٩٤٦ ، وفوجئ فى ٢ ديسمبر ١٩٤٧ بتعيين مدير آخر للجامعة أحدث منه فى
العمادة وهو الدكتور إبراهيم شوقى .. وكان القصر وراء هذا القرار .

ثم حدث أن اختارته الحكومة الأمريكية عضواً فى اللجنة الدولية
للبحوث الذرية ، وعلى هذا دعتة إحدى جامعاتها أستاذاً زائراً لإلقاء سلسلة من

المحاضرات إلى جانب عدد من مشاهير أساتذة علوم الرياضة والطبيعة فى العالم وفى مقدمتهم اينشتين .. وفى ٣٠ مارس ١٩٤٧ وافق مجلس الوزراء على السفر ، وفى ٢ أبريل ألغى الملك قرار مجلس الوزراء.

وكان الدكتور مشرفه قد نشر عام ١٩٢٩ بحثاً فى عدد من الدوريات العالمية توجهها يبحث هام عام ١٩٣٢ ، ثم أعقبه ببحوث أخرى أعوام ١٩٤٢ ، ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٨ تتصل اتصالاً وثيقاً بنتائج مهمة فى العلوم الذرية والنوية ثم انتقل إلى الجانب التطبيقى فدعا إلى البحث عن اليورانيوم فى الصحراء الشرقية وظل ينادى بضرورة عناية الدول العربية بالعلم وإقامة الندوات العلمية .. وقد أدى تفوقه الواضح للغاية فى مجال العلوم الذرية إلى أن ذهب بعض الباحثين إلى أن وفاته لم تكن طبيعية وإنما تقف وراءها أصابع عديدة !!! فقد كان أحد القلائل الذين تعرفوا على أسرار الذرة فى العالم.

وإلى جانب الريادة العلمية للدكتور مشرفه كان علماً من أعلام الترجمة فى مصر فى القرن العشرين وقد أسهم فى الحركة الفكرية المصرية بريادته فى تخصصه وبعثه واكتشافاته وبأسيسه للجمعيات المتخصصة ومشاركته فى مجمع الثقافة العلمية ومراكز البحوث ، وحتى الموسيقى أسهم فى إثرائها بتأسيس الجمعية الموسيقية بالاشتراك مع محمود الحفنى وأبو بكر خيرت ووديع فرج ، وتولت لجنة من هذه الجمعية ترجمة الأوبرات العالمية إلى اللغة العربية.

كما اهتم الدكتور مشرفه بالتأليف العلمى والترجمة العلمية فأنشأ قسماً فى كلية العلوم لترجمة الكتب العلمية العالمية إلى اللغة العربية ، ووضع عام ١٩٣٨ " القاموس العلمى " بالاشتراك مع محمد عاطف البرقوى ، واختاره مجمع اللغة العربية خبيراً للجنة المصطلحات العلمية ، واشترك مع الدكتور طه حسين وآخرين فى كتاب " الحياة والحركة الفكرية فى بريطانيا " .

ترك الدكتور مشرفه خمسة كتب له . وأربعة كتب بالاشتراك مع أساتذة آخرين ، وستة كتب دراسية بالمشاركة ، و٥٣ مقالاً ، و٢٠ حديثاً إذاعياً وصحفياً ، و ٢٥ بحثاً علمياً باللغات الأجنبية نشرت في دوريات أجنبية ومن أهم كتبه " مطالعات علمية - العلم والحياة - نحن والعالم - الذرة والقنابل الذرية.

وفي صباح يوم الاثنين ١٦ يناير ١٩٥٠ تناول (عالم الذرة) الدكتور مشرفه شاي الصباح .. وفجأة صعقت روحه إلى بارئها !!!.

الإذاعة المصرية تقود حركات التحرير

عرفت مصر محطات الراديو فى حوالى منتصف العشرينات من هذا القرن أى بعد إنشاء أول محطة إذاعية منتظمة فى العالم بحوالى خمس سنوات.

وفى ١٠ مايو ١٩٢٦ صدر أول مرسوم ملكى يحدد الشروط التى يمكن بموجبها استخراج التراخيص باستخدام الأجهزة اللاسلكية فى القطر المصرى ، وبموجب هذا المرسوم أخذ هواه اللاسلكى ينشئون محطات إذاعة أهلية فى القاهرة والإسكندرية ، وكان بعضها يذيع باللغة العربية والبعض الآخر يذيع بالإنجليزية والفرنسية والإيطالية للأجانب المقيمين فى مصر مثل : راديو صايغ - راديو الأميرة فوزية - راديو فاروق - راديو سابو ، وكانت محطات بدائية هندسياً وضعيفة الإرسال الإذاعى حيث لم يتجاوز ٢,٥ كيلووات ، فيما عدا بعض المحطات مثل محطة وادى الملوك التى كانت تسمع بوضوح فى فلسطين.

وكانت مصادر تمويل المحطات الأهلية من الإعلان واشتراكات المستمعين التى تبلورت فى عشرة قروش لمدة شهر تذيع المحطة خلاله ما يطلبه المستمع من أغان مسجلة على الاسطوانات وما يطلبه من بيانات ونداءات.

واستمر الحال على هذا النحو إلى أن قرر مجلس الوزراء إلغائها فى

٣١ يوليو ١٩٣٢ ، وتوقفت نهائياً عند بدء تشغيل محطة الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية من قبل شركة ماركونى البريطانية .. ففى تمام الساعة الخامسة والنصف من مساء ٣١ مايو ١٩٣٤ استمع الناس إلى صوت احمد سالم، أول مذيع للإذاعة المصرية ، ثم افتتحت الإذاعة بالقرآن الكريم بصوت الشيخ محمد رفعت ، ثم كلمات من وزير المواصلات ، وعلى إبراهيم باشا رئيس اللجنة العليا للبرامج ، ثم قطعة موسيقية ثم منولوج فكاهى من محمد عبد القدوس ، وبيانو منفرد من مدحت عاصم ، ثم تناوب الغناء بعد ذلك أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وصالح عبد الحى وفتحية احمد.

وفى عام ١٩٤٧ تم تمصير الإذاعة المصرية وإنهاء عقد شركة ماركونى، ثم تعاقب بعد ذلك إنشاء إذاعات مختلفة ، فبدأت إذاعة ركن السودان عام ١٩٤٩ ، وإذاعة صوت العرب ١٩٥٣ ، وإذاعة البرنامج الثانى ١٩٥٧ ، وإذاعة فلسطين ١٩٦٠ ، وإذاعة الشرق الأوسط ١٩٦٤ ، وإذاعة القرآن الكريم ١٩٦٤ .. ويذكر أن البرنامج الأوروبى المحلى قد بدأ إرساله عام ١٩٣٤ أى مع بدء الإذاعة الرسمية.

وفى عام ١٩٥٤ بدأت إذاعة الإسكندرية كأول إذاعة محلية فى مصر ، وهى أول إذاعة تقدم الإعلان فى مصر منذ أن توقفت الإذاعات الأهلية ، وأول من أذاع المسلسلات الدرامية ، وأخذت المبادرة بإنتاج برامج تعليمية عبر الأثير وهى ما يعرف " بجامعة الهواء " .. ثم تعاقب إنشاء العديد من المحطات المحلية.

وكانت مصر أول دولة عربية طرقت مجال الإذاعات الدولية ، ففى الثلاثينات رأت أن تذيب على الموجات القصيرة نماذج من الثقافة العربية ما بين ساعتين وثلاث ساعات يومياً ، وكان يعقب نشرة الثامنة والنصف أحاديث لأحد

أعلام الفكر كطه حسين أو العقاد أو د. مشرفه وغيرهم ، أو بعض المناضلين العرب مثل بورقيبة أو إسماعيل الأزهرى أو الملك السنوسى الذين كانوا يلهبون مشاعر مواطنيهم عند الاستماع إليهم ، وكانت الإذاعة المصرية أثناء الحرب العالمية الثانية تعد برامج خاصة باللغة الإنجليزية موجهة إلى بريطانيا وكندا والولايات المتحدة متضمنة جوهر الثقافة العربية ، وكانت الإذاعة البريطانية تلتقطها وتنقلها لجمهورها على موجات إذاعتها .. كما لعبت الإذاعة المصرية دوراً هاماً فى إنشاء جامعة الدول العربية وفى توحيد كلمة العرب فى هذا المجال ، وقام عبد الرحمن باشا عزام أول أمين عام لجامعة الدول العربية بدور بارز فى هذا الشأن .

وبعد قيام ثورة ١٩٥٢ بدأت مصر تبث برامج موجهة إلى غيرها من الدول بعرض الإعلام عن سياستها ، وهكذا بدأت فى توجيه أول إذاعاتها الدولية عام ١٩٥٣ ، وقد توسعت مصر فى إنشاء هذه الإذاعات حتى وضعها تقرير الأمم المتحدة عام ١٩٦٢ فى المرتبة الثانية بعد الاتحاد السوفيتى بالنسبة لعدد ساعات الإرسال اليومي ، وهى تقدم الآن برامجها الدولية من خلال ٤٥ إذاعة دولية مستخدمة ٣٢ لغة لجميع أنحاء العالم.

الشيخ محمد رفعت

ولد يوم الاثنين ٩ مايو ١٨٨٢ ورحل في نفس التاريخ عام ١٩٥٠ ،
وشهد حى المغربلين بالقاهرة طفولة الشيخ المعجزة الذى فقد بصره بعد عامين
فقط من خروجه للحياة أثر إصابته بالرمد وكان والده محمود رفعت مأموراً
لقسم الخليفة ، وتلقى محمد رفعت دروساً فى القراءات السبع وفى تفسير القرآن
الكريم ، وتعلم التجويد وأتقنه على يد أستاذه محمد البغدادى والشيخ السمالوطى
قبل أن يتجه إلى دراسة الموسيقى والوقوف على قواعدها وأصولها ، وأقدم على
حفظ مئات الأدوار والتواشيح والقصائد الدينية كما تعلم العزف على آلة العود .

وذاعت شهرة الشيخ محمد رفعت فى مختلف أنحاء مصر ، وظل على
ذلك يتلو القرآن فى جامع فاضل بدرج الجماميز .. وعند افتتاح الإذاعة
المصرية كانت سورة الفتح أول ما تلى من آيات الذكر الحكيم فى الإذاعة بعد
أن استفتى شيخ الأزهر فى إجازة قراءة القرآن الكريم عبر الإذاعة إنحاء
وإكباراً للقرآن الكريم وكان يتقاضى ثلاثة جنيهات فقط فى تلاوة ساعة كاملة .

وبلغ من مكانة الشيخ محمد رفعت فى العالم الإسلامى أن إذاعات لندن
وبرلين وباريس كانت تنبئ تسجيلاته أثناء الحرب العالمية الثانية لتشد
المستمعين فى العالم الإسلامى إلى برامجها ونشراتها الإخبارية .. ولم يكن تفرد

الشيخ محمد رفعت فى قوة صوته فقط وإنما كان يقرؤه فى خشوع فاض على ملايين المسلمين فى مختلف أرجاء العالم وكان قادراً على الإمام بمواضيع الترهيب والترغيب فى القرآن.

وفى عام ١٩٤٢ أصيب الشيخ باحتباس فى صوته ، ودعا الكاتب الصحفى احمد الصاوى محمد إلى اکتتاب شعبى لعلاجہ وانهالت التبرعات من مختلف أنحاء العالم الإسلامى .. وبلغت خمسين ألف جنيه فى مطلع الأربعينات، وكانت المفاجأة أنه اعتذر عن قبول التبرعات وامتلل لقضاء الله حتى فاضت روحه إلى بارئها.

الاسكواش المصرى يحصد بطولات العالم

رغم حداثة عهد الكثير من الدول بلعبة الاسكواش وتأخر تأسيس الاتحاد الدولى إلى أواخر الستينات عام ١٩٦٧ والذى كانت مصر من الدول السبع المؤسسة له ، إلا أن ظهور اللعبة فى مصر كان يرجع إلى قبل ذلك بكثير ، وذلك خلال الثلاثينات ثم كان تنظيم مصر لبطولة العالم بالقاهرة عام ١٩٨٥ تأكيداً لعراقة مصر فى هذه اللعبة.

تأسس الاتحاد المصرى للأسكواش عام ٩٣٥ وكانت ملاعبه متوافرة فى أندية الجزيرة وسموحة وسبورتنج ، وكان الاتحاد الإنجليزى للأسكواش يشرف على لعبة الاسكواش قبل تأسيس الاتحاد الدولى ، وكان ينظم بطولة مفتوحة للهواة ، وأخرى للهواة والمحترفين ، ونظراً لقلّة عدد ممارسى اللعبة فى العالم فقد كانت هذه البطولات تعتبر بمثابة بطولات عالمية .. وقد حققت مصر مراكز متقدمة فى هذه البطولات.

ففى بطولة إنجلترا المفتوحة للهواة والمحترفين ، فاز بها عبد الفتاح عمرو أعوام ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ومحمود عبد الكريم أعوام ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، ١٩٤٠ ، وهاشم خان عامى ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ، وعبد الفتاح أبو طالب أعوام ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ .

وفى عام ١٩٦١ وصل محمد دريد إلى الدور النهائى .. وفى عام ١٩٦٢ حصل عبد الفتاح أبو طالب على المركز الثانى ، وفى عام ١٩٦٣ حصل إبراهيم أمين على المركز الثانى وتوفيق شفيق المركز الثالث ، وفى عام ١٩٦٥ وصل توفيق شفيق وكمال زغلول للدور قبل النهائى .. وفى عام ١٩٦٦ وصل إبراهيم أمين للدور قبل النهائى ، وفى عام ١٩٦٧ حصل أبو طالب على المركز الثانى ووصل كمال زغلول للدور قبل النهائى.

أما بطولة العالم للهواة فقد وصل محمد عسران إلى الدور قبل النهائى عام ١٩٧١ ، ونفس الدور وصل إليه جمال عوض عام ١٩٧٧ .

أما بطولة إنجلترا المفتوحة للهواة فقد فاز بها عبد الفتاح عمرو أعوام ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ وإبراهيم أمين عامى ١٩٥٦ ، ١٩٦٠ وجمال عوض عامى ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ ، كما حصل لمصر على المركز الثانى إبراهيم أمين أعوام ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ، وتوفيق شفيق ١٩٦٠ ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، ومحمد عسران ١٩٧١ ، وعلى عبد العزيز ١٩٧٥ .

وفى عام ١٩٧٦ انطلقت فاعليات أول بطولة عالم للأسكواش ، وكان اللاعب احمد برادة أول لاعب مصرى يصل إلى المباراة النهائية عام ١٩٩٩ ليحقق المركز الثانى .

وفى عام ٢٠٠٣ استطاع الفتى الذهبى عمرو شبانه أن يفوز ببطولة العالم لأول مرة ، ثم تمكن من تكرار إنجازه الكبير فأحرز اللقب للمرة الثانية عام ٢٠٠٥ فى البطولة التى أقيمت بهونج كونج ليتوج بعدها كأفضل لاعب أسكواش فى العالم ، وليتربع على عرش التصنيف أبطال الأسكواش ثم أحرز اللقب للمرة الثالثة فى برمودا الأمريكية عام ٢٠٠٧ .. محققاً إنجازاً لم يسبقه

إليه أى لاعب فى العالم سوى الأسطورة البكستانية جانشير خان الذى فاز باللقب سبع مرات ، ومن قبله مواظنه جاهنجبير حان الذى فاز بها خمس مرات .. كما حقق عمرو شبانه رقماً قياسيأ وفق تصنيف الاتحاد الدولى للأسكواش حين أصبح صاحب رابع أطول مدة على قمة التصنيف لمدة (١٥) شهراً من إبريل ٢٠٠٦ حتى يونيو ٢٠٠٧.

ثم جاء اللاعب رامى عاشور ليفوز ببطولة العالم للأسكواش الفردى للناشئين عام ٢٠٠٤ فى باكستان ، ثم يكرر إنجازه الكبير عام ٢٠٠٦ فى البطولة التى أقيمت بنيوزلندا والتى شهدت فوز ثلاث لاعبين مصريين بالمراكز الثلاثة الأولى وهم رامى عاشور وعمر مسعد ودأرق مؤمن ، ولتكون المرة الأولى فى تاريخ الأسكواش المصرى التى يتحقق فيها هذا الإنجاز ، وليكون رامى عاشور أول لاعب فى العالم يفوز مرتين ببطولة العالم لفردى الناشئين فى الأسكواش .

وفى بطولة كأس العالم لناشئات الأسكواش فازت مصر بلقب الفرق عام ١٩٩٩ ، ٢٠٠٣ .. وفازت أمنية عبد القوى ببطولة فردى العالم عام ٢٠٠٣ ، وفازت رنيم الوليلى بنفس اللقب عام ٢٠٠٥ .

المصرى الذى قال له هتلر : " كنت أتمنى لو كنت ألمانياً "

خضر التونى .. فاز بالمركز الأول فى أولمبياد برلين عام ١٩٣٦ ،
وبطولة العالم بامستردام عام ١٩٤٩ ، وبطولة العالم بباريس عام ١٩٥٠ ،
وبطولة الدورة الأولى للبحر المتوسط بالإسكندرية عام ١٩٥١ .. وظلت
مجموعته القياسية العالمية إعجازاً يستعصى على الأبطال أمداً طويلاً .. واستمر
بطل أبطال رفع الأثقال فى العالم ١٥ سنة سابقاً بأرقامه ومحتفظاً ببطولته وهو
ما لم يحدث لغيره فى سجل التاريخ الرياضى.

وقد أطلق اسمه على شارع من أكبر شوارع ميونيخ تكريماً للبطولة
وتذكارة لمعجزة الألعاب الأولمبية على طول تاريخها حيث سجل فى أولمبياد
برلين رقماً يزيد على رقم بطل وزن خفيف الثقيل بـ ١٣ كيلو .. وحصل على
جائزة هولمز الشهيرة للرياضى الأول فى العالم.

ولد خضر التونى فى القاهرة بحى شبرا فى ١٥/١٢/١٩١٦ ونشأ فى
أسرة بسيطة ، وكان والده تاجر جلود " بين الصوريين " وعمل إلى جانبه ولذلك
لم تتسع لميوله مدرسة النشأة الحديثة الابتدائية التى ادخله والده بها فتركها.

وبدأت قصته مع رفع الأثقال عندما قام وعمره ١٧ سنة برفع ثقل يبلغ
٨٠ كيلو لم يستطع أصحابه رفعه ثم اشترك فى أول مسابقة رسمية فى إبريل

١٩٣٤ وكانت بين أندية القاهرة ، وحصل فيها على بطولة وزن المتوسط ، ثم فاز ببطولة القاهرة عام ١٩٣٤ بمجموع ٣٣٥ كيلو بزيادة ٢٥ كيلو عن الفائز الثاني، ثم فاز ببطولة قطر بعد ذلك بشهرين .. وأخذ يفكر فى الأرقام العالمية ويسأل عن أبطال العالم ، وعلم أن الرقم القياسى العالمى فى رفعة الضغط ١٠٦,٥ كيلو وهو رقم بطل مصر عنتر عرفه ، وفى عام ١٩٣٥ ضرب خضر الرقم القياسى ورفع ١٠٧,٥ كيلو.

وفى عام ١٩٣٦ وقع عليه الاختيار ليمثل مصر فى وزن المتوسط فى رفع الأثقال ، وعندما جاءت التقارير من مصر عن رفعاته لم يوافق الاتحاد الدولة على الاعتراف بها لأنه لم يكن فى الظن أن يستطيع رجل مغمور فى وزن ١٦٥ رطل الوصول إلى رفع تلك الأثقال .. وكانت صحف ألمانيا تكتب كل يوم عن بطلها فى وزن المتوسط " رودلف أزماير " وتعتبره معجزة جديدة ، ولما ذاعت شهرة خضر التونى عرف الجميع أن المعركة الكبرى ستكون بينهما، ورفعت التقارير إلى هتلر فقرر أن يحضر المباراة وكانت المباراة الوحيدة التى حضرها ، ولهذا أجل موعد اللعب إلى المساء حتى يتسنى للزعيم حضورها .

كانت مباراة خضر التونى مع أبطال العالم فى وزن المتوسط هى أهم حدث فى الألعاب الأولمبية ، واشترك فى المسابقة ٦٦ لاعباً انتهت محاولاتهم عند أرقام البطلين الألمانيين أزماير وواجنر .. واستنفذوا مقدراتهم ولم يظهر خضر التونى بعد لأنه كان يطلب أرقاماً أعلى بكثير .

وانتهى أزماير عند ١٠٥ كيلو ضغط ، وإذا بخضر التونى يطلب ١١٠ فحبس الناس أنفاسهم من الدهشة ، وتقدم التونى أمام الثقل ورفع فى هدوء وثبات ثم طلب المحاولة الثانية ١١٥ كيلو (وكان الرقم القياسى العالمى ١١٢,٥

كيلو) واعلن الحكم أن خضر التونى سيضرب الرقم القياسى المسجل ، وفى الثالثة طلب ١١٧,٥ كيلو ضارباً الرقم القياسى لهذه الرفةة .. وكانت المسابقة الأخيرة فى رفةة الكلين والنظر وانتهوا عند ١٤٠ كيلو ، وبدأ خضر التونى من ١٤٥ كيلو ثم رفع ١٥٠ كيلو وأخيراً رفع ١٥٥ كيلو وبذلك حصل على مجموعة خارفةة للعادة وهى ٣٩٢,٥ كيلو (ضغط ١١٧,٥ - خطف ١٢٠ - كلين ونظر ١٥٥).

وقف هتلر عندما عزف النشيد الوطنى المصرى ، وصوبت أعين عشرات الألوف على خضر التونى بطل العالم وعن يمينه رودلف أزمير الثانى وعن يساره واجنر الثالث ، وطلب هتلر مقابلة خضر التونى ، وقال له " لقد كنت أتمنى لو كنتَ ألمانياً ، اعتبر نفسك فى وطنك الثانى وأنى أرحب بك مدة إقامتك فى ألمانيا ، وإن لمصر أن تفخر بخضر التونى" .

استمر خضر التونى بطلاً لوزن المتوسط ، واستمرت أرقامه ترتفع على أرقام الجميع ، واستعد لتمثيل مصر فى بطولة العالم التى أقيمت فى فيلادلفيا عام ١٩٣٧ ، ولكن مصر لم تشارك فى هذه المسابقة ، وفى العام التالى سافر الفريق المصرى إلى فيينا للاشتراك فى بطولة العالم لعام ١٩٣٨ ، وهناك أصابه تعب شديد دخل بسببه المستشفى وغادرها رغم نصح الأطباء قبل بدء المباريات بيومين وفاز بالمركز الثالث .. وعند عودته إلى مصر لم يجد أى منافسة ، واستمر بطلاً طوال سنوات الحرب العالمية الثانية التى لم تحدث فيها مباريات عالمية .

وصعد خضر التونى إلى وزن خفيف الثقيل وسجل أرقاماً قياسية ١٤٥ ك.ج ضغط ، ١٤٠ خطف ، ١٧٠ كلين ونظر ، عندما كان وزنه ٧٨ كيلو .. ولكنه اضطر عام ١٩٤٨ لتخفيف وزنه ولعب فى وزن المتوسط ، وقد صادفه

سوء حظ في لندن خلال الألعاب الأولمبية ، وغادر المستشفى قبل يوم المباراة واشترك فيها وهو مريض وفاز بالمركز الثالث.

وفي لاهاي أقيمت بطولة العالم عام ١٩٤٩ وكانت كل دولة تشترك بسبعة لاعبين في رفع الأثقال ، ولكن مصر اشتركت بأربعة لاعبين فقط ، وكان على الفريق المصرى أن يحرز النصر ويفوز على جميع الدول المشتركة .. ووجد خضر في انتظاره على الحلقة بيتر جورج من الولايات المتحدة وكانت المسابقة الأخيرة بينهما وإذا فاز جورج أصبح الكأس وبطولة العالم لأمريكا .. وقد حدثت عدة محاولات لإحباط عزيمة واختلف الحكام مع هيئة التحكيم العليا، ومع هذا فاز خضر التونى وفازت مصر وأحرزت المركز الأول بـ ١٦ نقطة تليها أمريكا ١٥ نقطة ثم روسيا ١٤ نقطة.

وفي عام ١٩٥٠ سافر للاشتراك في بطولة العالم التي أقيمت في قصر شايبو العظيم بباريس ، وقد وصفت المسابقة بأنها أعظم بطولة عالمية أقيمت على الإطلاق .. وفاز خضر التونى في الوزن المتوسط وأثبت أنه رجل قوى وخارق للعادة ولم يهتز أمام أبطال أصغر سناً .. وبلغ خضر القمة عندما رفع ٧٤١,٥ رطلاً " ضغط " باستقامة وثبات ولم يظهر عليه إعياء أو إنحناء ، حتى أن الناقد المشهور " جورج كركلى " كتب في افتتاحية مجلة حمل الأثقال وكما الأجسام عدد ديسمبر ١٩٥٠ قائلاً " أى نصر هذا الذى أحرزه الرجل الخارق للعادة خضر التونى " .

وفي بطولة العالم بميلانو ١٩٥١ دخل خضر التونى معركته الأخيرة بعد ١٥ سنة من انتصاراته الرائعة فى برلين ، وقف أمام رباعين أصغر سناً واحتل المركز الثالث فى الوزن المتوسط .

وقد كتب عنه الناقد الرياضى الشهير " شارل كوستر " فى مجلة الصحة

والقوة عام ١٩٥٦ أى بعد دورة برلين بعشرين سنة موضوعاً فى ٦ صفحات قال فيه " إن لى اعتبارات معقولة بل قاطعة حين أقول أن خضر التونى هو أعظم بطل أولمبى فى رفع الأثقال فى العصر الحديث" .

وفى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٦ صعق التيار الكهربائى بطل العالم فى منزله بحلوان.

معركة العلمين

تغير مسار الحرب العالمية الثانية

دارت في الفترة بين ٢٣ أكتوبر حتى ٤ نوفمبر ١٩٤٢ بين القوات البريطانية بقيادة مونتجمري وقوات المحور بقيادة روميل ، وذلك في منطقة العلمين التي تبعد ٦٠ ميلاً غرب الإسكندرية ، وقد كانت هذه المعركة واحدة من أكبر معارك الدبابات والمدرعات في التاريخ العسكري .

ففي خطين متوازيين تقريباً يبلغ كل منهما نحو أربعين ميلاً من ساحل البحر الأبيض عند منطقة العلمين إلى مشارف منخفض القطارة وقف الجيشان المتحاربان وقفة طويلة تعددت خلالها المحاولات من الطرفين لشق الطريق إلى الأمام بلا جدوى ، وذلك بسبب الطائرات والدوريات التي لم تهدأ يوماً ، فقد كان الموقف دقيقاً للغاية حيث سيكون للغالب فيه فرصة لا مثيل لها في تحديد نتائج الحرب ، وقد بسط وزير داخلية إنجلترا هدف الفريقين المتقاتلين فقال " إن قتال المحور في الميدان المصري جزء من سعى بينه للاتصال باليابان عبر المحيط الهندي وفتح باب جديد لمهاجمة روسيا ، أما نحن فإن أملنا هو إلقاء روميل خارج أفريقيا ، ولا ريب في أن إعادة فتح البحر المتوسط ستكون الخطوة الكبيرة الأولى في سبيل استخدام السرعة والمرونة وحرية العمل في البحار على نطاق واسع " .

كانت خطوط الحلفاء والمحور تشمل على نطاقات من الألغام بينها نقط

قوية ومواقع للرشاشات والأسلحة المضادة للدبابات ، ويرابط كل من الجيشين في جبهة ذات استحکامات دفاعية متينة وتم استخدام الألغام استخداماً واسع النطاق .. فقد اعتمدت خطة روميل الذي كان يعاني من طول خطوط تموينه وتأخر وصول الإمدادات إليه على توقع هجوم الجيش البريطاني لاجتياح قواته، لذلك قام بعمل أكبر حقل ألغام شهده العالم حتى أن الخبراء العسكريين أطلقوا على حقل الألغام اسم " حدائق الشيطان " .

ونلاحظ أن روميل كان يرمى من هذا التوزيع أن يترك المنطقة الوسطى من خطوطه ضعيفة متوقعاً أن يقع الجيش الثامن في خطأ محاولة شق طريقه خلالها فيقع حينئذ بين فرق البانزر من الشمال والجنوب ، ولكن قيادة الجيش الثامن لم تقع في هذا الشرك وكانت تضع خطة تتطوى على الحكمة والدراية والمفاجأة أيضاً.

فقد كان على الجيش أن يخترق خطوط العدو في أى ساحة إلى مسافة ٦٠٠٠ ياردة تقريباً في الضربة الأولى ليجتاز حقول الألغام أو الخنادق ثم يستفيد من هذه الثغرة إلى أقصى حد ، ولذلك أنشئت وحدة جديدة باسم الفيلق العاشر (يتبع قوات الحلفاء) مكوناً من نحو ٥٠,٠٠٠ رجل وبه أحسن أنواع الدبابات وقد سحبت هذه القوة من ميدان القتال على أثر صد قوات روميل في خط العلمين ، ووقفت جهودها على التدريب والاستعداد خلف الخطوط بخمسين ميلاً.

وفي الساعة المناسبة كان هذا الفيلق هو الصاعقة التي انقضت من خلال الثغرة وقضت على جيش روميل ، وقد نفذت هذه الخطة البارعة في الصحراء تحت ستار باهر من التخفي ، ولم يكن هناك شك في أن روميل يتوقع هجوماً كبيراً بل كان يعرف ذلك جيداً وقد كانت كل الدلائل تنطق بذلك ، ولكن

لم يكن معروفاً أين ولا متى ولا كيف سيقع الهجوم رغم أن طائرات الاستكشاف الألمانية كانت ترصد كل أعمال الفيلق العاشر.

وكان روميل يتوقع ألا يبدأ الهجوم قبل أن يترك الفيلق العاشر مكانه ويشترك في العمل .. وهنا حدثت المفاجأة فقد تحرك الفيلق العاشر ليلاً تاركاً خلفه المعسكرات خالية من الجنود ، ولكن مليئة بالدمى والأجسام الهيكلية النسي كانت تمثل الدبابات والعربات والجنود في صورة متقنة ، فلما حدث الهجوم كان مفاجأة تامة ، فالجيش الثامن هجم في وقت غير متوقع ، ولم يهاجم النقطة الضعيفة كما كان منتظراً ولكن هاجم أقوى ساحة في الميدان .

وبدأت المعركة في التاسعة والنصف من صباح الجمعة ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢ ، وعلى طول المواجهة كانت المدافع الإنجليزية بحساب مدفع كل ٢٣ ياردة ، وكانت العمليات قد بدأت في الليل ، واختيرت ليلة قمرية ساطعة الضوء، وفي الدقيقة المحددة انطلقت أفواه المدافع محدثة ستاراً شديداً من النيران لمدة عشرين دقيقة ، وتكرر ذلك من وقت لآخر .. وفتحت قوات الحلفاء ثغرة في حقول الألغام المحور ، وفصلت جيش المحور إلى نصفين لم يتصلا ثانية ، وقد وصف الميدان بأنه شعلة من النيران من ساحل البحر إلى منخفض القطارة .. وفي الساعة العاشرة من صباح الجمعة ٢٣ أكتوبر تقدمت المشاة في الساحة الشمالية ، وفي فجر اليوم التالي بدأ الاختراق في حقول الألغام لشق الطريق للقوات المدرعة في حماية المدفعية ، ولما كانت ليلة ٢/١ نوفمبر انتهت المرحلة الأولى وبدأت العمليات .

وسجلت القوات الجوية للحلفاء رقماً قياسيماً في عدد العمليات ، وأصابت عربات الذخيرة ، ونسفت مستودعات الأسلحة ، وأصابت مدافع الميدان وسيارات النقل وشببت الحرائق ، ووجهت همها إلى الأهداف المجاورة للثغرات

التي فتحت في حقول الألغام لمساعدة القوات البرية في شق طريقها .. وكانت الغواصات تعمل بنشاط كبير على طول الشاطئ لمنع الإمدادات من البحر حتى أن $\frac{4}{6}$ السفن التي خرجت من الموانئ الإيطالية أو اليونانية أغرقت أو ارتدت، وكان نشاط المحور الجوي ضيق النطاق ، وكان دفاعياً ولم يعد له نفوذ في سماء المعركة .

وفي فجر ٢ نوفمبر تقدمت قوة إنجليزية مدرعة خلف الخطوط الألمانية بينما كانت قوات مدرعة أخرى تضغط في الناحية الغربية .. وبدأت معارك الدبابات في تل العقاقير.

ففي ذلك اليوم دفع الألمان كل قواتهم المدرعة لمواجهة القوة الإنجليزية، ودار قتال شاق عنيف وحدثت خسائر فادحة في الناحيتين ، وهزمت الدبابات الألمانية وانتهت المعركة في ساعات ، وفضل روميل أن يسرع بالعودة وأن ينقذ قواته من الفناء والأسر ، وقد وصفت ساحة العقاقير بأنها "مقابر الدبابات" .. وفي ليلة ٣/٢ نوفمبر احتل الإنجليز العقاقير وقالت الأنباء أن ٢٦٠ دبابة للمحور قد حطمت أو أسرت .

وبذلك حطمت معركة ٢ نوفمبر قوات المحور وظهرت علامات انسحابها على طول الخط ، وفي ٣ نوفمبر بدأ ذلك واضحاً ، وفي الجنوب لم تستطع القوات الإيطالية أن تتراجع كثيراً وخصوصاً جنود المشاة الذين جردوا من المركبات وأخذ الكثيرين منهم أسرى ، كذلك توقفت الفرقة ١٦٤ الألمانية ولم تستطع التراجع ، وتراجعت بقية القوات الألمانية ، وقتل نائب روميل وأسر قائد جيش أفريقيا الألماني وقائد فرقتي برشيا وترنتو الإيطاليتين ، وقدرت التقارير الرسمية للقيادة البريطانية خسارة المحور بـ ٧٥ ألف رجل وأكثر من ٥٠٠ دبابة و ١٠٠٠ مدفع على الأقل.

وقال البلاغ الإيطالى " أن معركة دامية عنيفة دارت فى المنطقة الصحراوية الواقعة بين العلمين وفوكه بين دبابتنا ومشاتنا وبين الوحدات التى تماثلها من قوات العدو ، وبعد مقاومات عنيفة غير عادية انسحبت الجيوش الإيطالية والألمانية غرباً ، وكانت خسائرها فادحة ."

وفى ٤ نوفمبر بدأت مطاردة قوات المحور المنسحبة .. وكان موقف روميل حرجاً ، ومن المواقف التاريخية العنيفة التى واجهها قادة عظماء فقد هزمت قواته بعد أن أخرجت من مراكزها الحصينة ، وفقد مراكز تموينية ، واستهدفت مواصلاته لنيران الطائرات والمدفعية ، وكاد الموقف أن ينقلب إلى كارثة بتدمير جيش المحور بأكمله .. وقد حاول تدمير كل ما يستطيع تدميره فى الصحراء وكان يضع كل عراقيل يجيدها لسد الطريق ، وأبدى فى فوكه مقاومات ناجحة حتى اجتمع شمل قواته وبدأ خطة الانسحاب ، ثم تخلص عن فوكه يوم ٦ نوفمبر واندفع غرباً ، وأعطته الأحوال الجوية التى أعاققت التقدم فرصة مناسبة لتنظيم قواته ، وفى ٨ نوفمبر استمر الزحف وبلغ مرسى مطروح ، واستولى الإنجليز على (بقبق) يوم ١٠ نوفمبر ، وفى اليوم التالى سقطت حلفايه والسلوم ، وارتدت قوات المحور إلى حدود مصر ، وفى يوم ١٢ نوفمبر تم تنظيف الحدود المصرية وأسر آلاف الإيطاليين ، أما الفرق الإيطالية فى الجنوب وقد كانت تتألف من ست فرق معظمها من المشاة فقد كانت مطوقة ، فلما وصل الجيش الثامن إلى الضبعة وفوكه وقطع مراكز تموينها وخطوط مواصلاتها سلمت جميعاً ، وقبل أن ينتصف شهر نوفمبر ١٩٤٢ كان قد تم القضاء على جميع الجيوش والمقاومات لتنتهى الحرب فى مصر ، وتبدأ فى برقة بليبيا .

عندما فازت مصر ببطولة أوروبا فى كرة السلة

كانت مصر هى أول دولة عربية وأفريقية تعرف كرة السلة وذلك بداية القرن العشرين وكان هذا عن الطريق جمعية الشبان المسيحية بأسبوط حيث مارسها بعض الإنجليز والأمريكان فى أوقات الفراغ ، ووجدت اللعبة صدى كبيراً بين المصريين فى أسبوط لسرعتها والحماس التى تتسم به مبارياتها .. وفى الإسكندرية كانت اللعبة تمارس بمدرسة الليسيه فرانسيه ، وكان المدرب الفرنسى (لوى يور) والذى كان يعمل مدرباً لركوب الخيل بالسرايا الملكية فى عهد الملك فؤاد أحد الناشرين للعبة حيث أرسى قواعدا وأخذ يدرّب المصريين على مهاراتها وقوانينها .

وتأسس الاتحاد المصرى عام ١٩٢٥ وكان يتولى إدارة لعبتين هما السلة والطائرة - التى دخلت مصر فى بداية القرن العشرين بنفس طريقة كرة السلة - وكان ينظم مسابقات اللعبتين .. وفى عام ١٩٣٢ كانت مصر من الدول المؤسسة للاتحاد الدولى ، وفى عام ١٩٦١ أسست مصر الاتحاد الأفريقى للسلة بالقاهرة ، وكان المصرى عازر اسحق أول سكرتير عام لهذا الاتحاد .

وقد شاركت مصر لأول مرة فى بطولة دولية لكرة السلة عام ١٩٣٥ وكانت بطولة أوروبا ، وكانت أيضاً ضمن الفرق التى شاركت فى أول دورة

أولمبية دخلت فيها كرة السلة عام ١٩٣٦ ، وكان كمال رياض كابتن فريق مصر .

وفى عام ١٩٤٧ اشتركت مصر فى بطولة أوروبا لكرة السلة - حيث لم يكن الاتحاد الأفرىقى قد تأسس بعد - التى أقيمت بتشيكوسلوفاكيا ، وفازت بالميدالية البرونزية بينما فاز الاتحاد السوفيتى بالذهبية وتشيكوسلوفاكيا بالفضية ، وفى عام ١٩٤٩ كان مقرراً أن تقام بطولة أوروبا السادسة لكرة السلة بالاتحاد السوفيتى الذى اعتذر عن استضافتها ، ولما كان من غير الممكن أن تقام مرة أخرى فى تشيكوسلوفاكيا الفائزة بالمركز الثانى لاستضافتها البطولة السابقة ، فقد تقرر إقامة البطولة فى مصر الفائزة بالمركز الثالث فى البطولة السابقة .. وهو ما تم بالفعل وفازت مصر بالميدالية الذهبية فى هذه البطولة بعد أن فازت بجميع مبارياتها .

رياضة عملاقة فى الظل

تعد رياضة كمال الأجسام من الرياضات التى رفعت اسم مصر عالياً حيث كانت إلى وقت قريب هى اللعبة الوحيدة من بين اللعبات الفردية والجماعية التى تستطيع الفوز ببطولة العالم حتى الآن .

كان لاعبو مصر باستمرار فى قائمة أبطال العالم منذ بداية الخمسينات منذ فاز محمد نصر ببطولة العالم عام ١٩٥٢ ، و د. تونى بولس بالميدالية الذهبية أيضاً عام ١٩٥٤ ، وفاز عبد الحميد الجندى ببطولة العالم عامى ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، وحصل جلال السيد على بطولة العالم عام ١٩٦٩ ، وعلى بطولة البحر المتوسط فى الفترة من عام ١٩٧٤ إلى ١٩٨٠ كما فاز محمد مصطفى المكاوى ببطولة العالم عام ١٩٧٦ .

وفازت مصر ببطولة البحر المتوسط عام ١٩٨٥ بالإسكندرية عندما حصل عصمت صادق على الميدالية الذهبية فى وزن الخفيف ، والشحات مبروك على الذهبية فى وزن المتوسط ، كما فازت مصر ببطولة البحر المتوسط عام ١٩٨٦ ببرشلونة وحصل فيها الشحات مبروك على ذهبية المتوسط وعصمت صادق على ذهبية الخفيف وسعد ثعلب على برونزية الخفيف .

وكان عام ١٩٨٧ هو العام التاريخى لرياضة كمال الأجسام فى مصر
ففازت ببطولة العالم للكبار بأسبانيا لأول مرة فى تاريخ بطولات العالم وحصلت
على ميداليتين ذهبيتين فاز بهما محمد لطفى الفسخانى والشحات مبروك ..
وفازت بالمركز الأول فى بطولة العالم للناشئين التى أقيمت بألمانيا الغربية لأول
مرة فى تاريخها وحصلت على ميدالية ذهبية لمحمد عبد العزيز محمود وفضية
لعادل بدوى فى ثلاثة أوزان أقيمت فيها البطولة .. وفى نفس العام فازت مصر
بالمركز الأول فى بطولة البحر الأبيض المتوسط بقبرص وفاز بها الشحات
مبروك وطفى الفسخانى بذهبيتين وعصمت صادق بفضية وأنور العمأوى
وحسين الله جابو ببرونزيتين .. كما فاز لاعب مصر الشحات مبروك ببطولة
مستر انترناشيونال الدولية التى أقيمت بهأوى فى الولايات المتحدة وحصل على
لقب بطل أبطال العالم.

ومما يذكر أن اللاعب محمد لطفى الفسخانى يعد أول لاعب مصرى
يتمكن من الحصول على بطولة العالم للكبار والناشئين حيث فاز بالميدالية
الذهبية فى بطولة العالم للناشئين عام ١٩٨٣ بأسبانيا فى وزن خفيف والميدالية
الذهبية فى بطولة العالم للكبار عام ١٩٨٧ بأسبانيا أيضاً وذلك فى وزن الريشة.
وقد حقق أبطال رياضة كمال الاجسام المركز الأول فى بطولة العالم
أعوام ١٩٩٦ ، ١٩٩٨ ، ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٧ .. والمركز الثانى فى
بطولات ١٩٩٩ ، ٢٠٠٠ ، ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٥ .

كما فازوا بالبطولة الأفريقية أعوام ١٩٩٥ ، ١٩٩٦ ، ١٩٩٧ ، ١٩٩٩ ،
٢٠٠١ ، ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٤ .

وفازوا ببطولة البحر المتوسط أعوام ١٩٩٨ ، ٢٠٠٠ ، ٢٠٠٢ ،
٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٥ .

وفازوا أيضاً بالبطولة العربية أعوام ١٩٩٨ ، ٢٠٠٠ ، ٢٠٠١ ،
٢٠٠٢ ، ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤ .

وقد حصل اللاعب أنور العماوى على لقب بطل القرن العشرين فى
كمال الأجسام حيث فاز بذهبية بطولة العالم سبع مرات بجانب ذهبية دورة
الألعاب العالمية ، كما يعد الشحات مبروك أسطورة كمال الأجسام حيث فاز
بذهبية بطولة العالم ست مرات .

السد العالى

أعظم مشروع هندسى فى القرن العشرين

فى الساعة الثانية إلا عشر دقائق يوم السبت ١٩٦٠/١/٩ ضغط الرئيس جمال عبد الناصر على زر كهربائى فنسف ٢٠ ألف طن من الصخور بالديناميت معطياً إشارة البدء فى العمل لبناء السد العالى الذى يقع جنوبى أسوان فى بقعة من نهر النيل ضفتاها من الصخور.

وتعود فكرة إنشاء هذا السد إلى مهندس زراعى يونانى يدعى " أدريان دانيوس " وقد اهتمت حكومة الثورة منذ قيامها بدراستها وإحالتها فى عام ١٩٥٤ إلى لجنة من الخبراء الدوليين أجمع معظمهم على صلاحيتها من النواحي الفنية والاقتصادية ، وتتمثل الأسباب التى أدت إلى التفكير فى بناء السد العالى إلى مياه النيل التى تتبدد فى البحر المتوسط كل عام ، وأخطار الفيضان التى تهدد البلاد ، وأخطار إنخفاض منسوب النهر ، واتساع الصحراء فى الشرق والغرب لاحتياجها إلى مياه وفيرة كى تزرع ، بالإضافة إلى احتياج التقدم الصناعى إلى توليد الكهرباء.

ولم تكن إمكانيات مصر فى ذلك الوقت تكفى لإنجاز المشروع ، فتقدمت بطلب إلى البنك الدولى فى نوفمبر ١٩٥٥ للحصول على قرض لتمويل المشروع ، فوافقت حكومة الولايات المتحدة وبريطانيا على المساهمة فى تمويل المشروع ، وفى يناير ١٩٥٦ وقع مدير البنك الدولى (يوجين بلاك) إتفاقاً

مبدئياً على قرض قيمته ٢٠٠ مليون دولار بفائدة ٣,٥% لمدة عشرين عاماً .

ولما عقدت مصر صفقة الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا بعد رفض الغرب عقد هذه الصفقة لمواجهة الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على الحدود ، أعلنت الولايات المتحدة في ١٩ يوليو بياناً بسحب مساهمتها في تمويل مشروع السد العالي ، وفي اليوم التالي أذاعت بريطانيا مثل هذا البيان ، وفي مساء اليوم نفسه أعلن مدير البنك الدولي عدم قدرته على المضي في تمويل المشروع بعد انسحاب كل من أمريكا وبريطانيا .. وفي ٢٦ يوليو أعلن جمال عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس حتى تتمكن مصر من تمويل مشروع بناء السد ، ونتيجة لذلك وقع العدوان الثلاثي على مصر في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .

وأبرمت بين مصر والاتحاد السوفيتي اتفاقيتان عام ١٩٥٨ ، وعام ١٩٦٠ للتعاون الفني بين البلدين لإنشاء السد العالي ، وقدم الاتحاد السوفيتي بمقتضاها قرضين لتمويل المشروع .

والسد العالي عبارة عن سد ركامي كبير يقفل مجرى النيل ويبلغ طوله ٣٦٠٠ متراً ، منها ٥٢٠ متراً بين ضفتي النيل ، ويمتد الباقي على هيئة جناحين على جانبي النهر ، ويبلغ عرضه عند القاع ٩٨٠ متراً ويتدرج على هيئة هرم إلى أن يصل عند القمة ٤٠ متراً ، وارتفاعه ١١١ متراً فوق قاع النيل الذي يرتفع منسوبه ٨٥ متراً عن سطح البحر ، فيكون ارتفاع السد ١٩٦ متراً عن سطح البحر .. ويتكون جسم السد من الركام الجرانيت والرمال والطين ، ويبلغ حجم المواد الداخلة في بناء السد العالي ٤٣ مليوناً من الأمتار المكعبة ، ويمكن أن يمر من خلال السد تدفق مائي يصل إلى ١١,٠٠٠ متر مكعب من الماء في الثانية الواحدة .

وتكون المياه المحجوزة أمام السد العالي بحيرة صناعية كبيرة يبلغ

طولها ٥٠٠ كم ، ومتوسط عرضها عشرة كيلو مترات ، ومساحة مسطحها ٥٠٠٠ كيلو متر مربع ، وتعد هذه البحيرة ثانى بحيرة صناعية فى العالم ، وأطلق عليها اسم بحيرة ناصر .. وتوجد أمام السد محطة توليد للكهرباء تنتج طاقة كهربائية سنوية تصل إلى ١٠ ملايين كيلو وات ، وتعد من أكبر المحطات المائية فى العالم حيث تشتمل على ١٢ وحدة توليد ، وقد انطلقت الشرارة الأولى من المحطة فى ١٥ أكتوبر ١٩٦٧ .

وقد وضعت الهيئة الدولية للسدود والمشروعات الكبرى السد العالى فى الصدارة ، متفوقاً على (١٢٢) مشروعاً عملاقاً فى العالم وتجاوز ما عده من المشروعات الهندسية المعمارية ، لما حققه من فوائد عادت على مصر حيث حماها من الفيضانات العالية التى كانت تغرق مساحات واسعة من البلاد ، كما وفر لمصر رصيدها الاستراتيجى من المياه بعد أن كانت مياه النيل من أشهر الفيضانات التى تذهب سدى فى البحر المتوسط .

د. فاروق الباز

يحدد مواقع هبوط الرواد على سطح القمر

" بعد تدريبات الملك .. أشعر أنني جئت هنا من قبل " .. كلمات معبرة قالها الفريد وردن رائد الفضاء في رحلة ابوللو عن العالم المصرى الكبير د.فاروق الباز، الذى دخل تاريخ أبحاث الفضاء من باب وكالة ناسا حين أوكلت إليه المهمة الرئيسية تحديد مواقع هبوط رواد الفضاء على سطح القمر.

ولد فاروق الباز فى ١٩٣٨/١/١ فى قرية طوخ الأقلام من قرى السنبلوين فى محافظة الدقهلية ، كانت أمنيته أن يكون طبيباً جراحاً للمخ .. ولكن مجموعه ألقه بكلية العلوم جامعة عين شمس ، حصل على شهادة البكالوريوس (كيمياء - جيولوجيا) عام ١٩٥٨ ، نال شهادة الماجستير فى الجيولوجيا عام ١٩٦١ من معهد علم المعادن بميسورى بالولايات المتحدة ، وفى عام ١٩٦٤ نال شهادة الدكتوراه وتخصص فى التكنولوجيا الاقتصادية.

وفى مرحلة بحثه عن عمل أرسل طلبات التحاق الى أكثر من مائة شركة ، إلى أن بعثت له وكالة "ناسا" التى كانت تطلب جيولوجيين متخصصين فى القمر ... ودخل د.فاروق الباز وكالة ناسا وهو لا يعلم أنه سيكون له فيها شأن عظيم ... وفى أثناء حضوره أحد المؤتمرات الجيولوجية التى تحدث فيها علماء القمر عن فوهاتة ومنخفضاته وجباله. لم يفهم شيئاً، وهو ما قيل طيلة ثلاثة أيام متواصلة، وحينما سأل أحد الجالسين عن كتاب

يجمع هذه التضاريس، أجابه قائلاً : " لا حاجة لنا إلى أى كتاب فنحن نعرف كل شئ عنه" ... حركته الإجابة إلى البحث والمعرفة، ودخل المكتبة التى ضجت بالصور القمرية التى يعلوها التراب، وعكف على دراسة ٤٣٢٢ صورة طيلة ثلاثة أشهر كاملة ، وتوصل إلى معلومات متميزة فقد اكتشف د.الباز أن هناك ما يقرب من ١٦ مكاناً يصلح للهبوط فوق القمر، وفى المؤتمر الثانى الذى حضره ، كان على المنصة يعرض ما توصل إليه وسط تساؤل الحاضرين عن ماهيته، حتى أن العالم الذى قال له من قبل نحن نعرف كل شئ عن القمر قام وقال : " اكتشفت الآن أننا لا نعرف شيئاً عن القمر".

دخل الباز تاريخ ناسا ، وأوكلت له مهمتين رئيسيتين فى أول رحلة لهبوط الإنسان على سطح القمر : الأولى هى اختيار مواقع الهبوط على سطح القمر ، والثانية تدريب طاقم رواد الفضاء على وصف القمر بطريقة جيولوجية علمية، وجمع العينات المطلوبة، وتصويره بالأجهزة الحديثة المصاحبة... واخذ اسم د.فاروق الباز يأخذ مكانته المرموقة فى الاوساط العلمية العالمية وتقديراً لأستاذيته ، بعث رئيس طاقم رواد فضاء رحلة أبوللو(١٥) برسالة إلى الأرض باللغة العربية، واصطحب معه ورقة مكتوب عليها سورة الفاتحة من د.الباز تيمناً منه بالنجاح والتوفيق بعد أن تم ادخال تعديلات كبيرة على سفينة أبوللو.

بعد انتهاء مهمة أبوللو ، شارك مع معهد Smithsonian بواشنطن فى إقامة وإدارة مركز أبحاث الكون فى المتحف الدولى للفضاء.

وفى عام ١٩٧٣ عمل كرئيس الملاحظة الكونية والتصوير فى مشروع أبوللو-سويوز الذى قام بأول مهمة أمريكية سوفيتية فى يوليو ١٩٧٥.

توجه د.الباز بعد ذلك إلى دراسة الصحراء .. وخلال ٢٥ عاماً قضاها

فى هذا المجال حتى الآن ، اهتم بتصوير المناطق الجافة خاصة فى صحراء شمال أفريقيا، وجمع معلوماته من خلال زيارته لكل الصحارى حول العالم .. كان أكثرها تميزاً دراساته للصحراء الغربية بمصر ، وصحراء الصين وغيرها.

اختاره الرئيس المصرى أنور السادات مستشاراً علمياً بين عامى ١٩٧٨- ١٩٨١ ، وكلفه بمهمة اختيار أماكن صحراوية تصلح لإقامة مشروعات عمرانية جديدة. وقد شرح بطريقة علمية دقيقة كيفية الاستفادة من الموارد الطبيعية لمصر. ودعا إلى أهمية دراسة المياه الجوفية،والتي يهدر منها الكثير فى البحار والمحيطات دون استخدام، وطبق التكنولوجيا الفضائية لدراستها ودراسة مسارات البحيرات الناضبة.

وكان نداء د.الباز باطلاق قمر متخصص للصحراء وراء إطلاق أول قمر صناعى مصرى للإستشعار عن بعد لخدمة أغراض البحث العلمى فى ١٧ إبريل ٢٠٠٧ ضمن سلسلة من الأقمار المتخصصة فى هذا المجال ، لأن كل الصور الفضائية المعمول بها إنما تكون لدراسة الغطاء النباتى ، ولكوننا أولى الناس بدراسة أراضينا الصحراوية من الغرب الذى لا يمتلك شيئاً منها ، وقد عمل على إنشاء مراكز تدرس التصوير الفضائى والإستشعار عن بعد فى كل من مصر والسعودية والإمارات وقطر.

انتخب د.الباز فى ما يقرب من ٤٠ من المعاهد والمجالس واللجان العلمية .. ومنها انتخابه مبعوثاً لأكاديمية العالم الثالث للعلوم TWAS فى ١٩٨٥ ، وأصبح ضمن مجلسها الاستشارى فى ١٩٩٧، وعضواً فى مجلس العلوم والتكنولوجيا الفضائية ، ورئيساً لمؤسسة الحفاظ على الآثار المصرية، وعضواً فى المركز الدولى للفيزياء الأكاديمية فى اليونسكو ، ومبعوثاً للأكاديمية

الإفريقية للعلوم ، وزميل الأكاديمية الإسلامية للعلوم بباكستان ، وعضواً مؤسساً
فى الأكاديمية العربية للعلوم ببلنآن.. ورئيساً للجمعية العربية لأبحاث الفضاء.

كتب د.الباز ١٢ كتاباً منها " أبوللو فوق القمر " ، " الصحراء
والأراضى الجافة" ، " حرب الخليج والبيئة " ، " أطلس لصور الأقمار الصناعية
للكويت " .. ويشارك فى المجلس الاستشارى لعدة مجلات علمية عالمية.

حصل د.فاروق الباز على ما يقرب من ثلاثين جائزة دولية ، وقد
أنشأت الجمعية الجيولوجية بالولايات المتحدة جائزة سنوية باسمه أطلق عليها
"جائزة فاروق الباز لأبحاث الصحراء".

المصريون ينهون أسطورة أقوى خط دفاعى فى التاريخ

" بهذه الحرب سوف يضاف لعيد الغفران معنى آخر يوجع القلب إلى الأبد " .. ما أبعد هذه الكلمات التى قالها موسى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى فى أعقاب حرب ٧٣ عن كلماته التى قالها بعد حرب ٦٧ حين قال " إنها الحرب التى أنهت كل الحروب ، ولم يبق أمام العرب إلا التماس المقابلة لتقديم فروض الطاعة لاسيما وأنهم يعرفون رقم الهاتف " .

فى ١٩٦٨/٩/٨ نجحت المدفعية المصرية فى توجيه ضربة إلى خط الدفاع الإسرائيلى شرق قناة السويس مما دفع الإسرائيليين إلى التفكير فى بناء خط دفاعى منيع لا تستطيع أن تتأله كافة الأسلحة الحديثة ، وقد نسب هذا الخط إلى حاييم بارليف رئيس هيئة الأركان الإسرائيلىة والذى أشرف على بناء هذا الخط.

وكانت أولى درجات هذا الخط المنيع الذى يتكون من سلسلة من الموانع الطبيعية والصناعية ، هى قناة السويس ثم السد الترابى على الضفة الشرقية للقناة الذى وصل ارتفاعه إلى ٢٠ متراً بالإضافة إلى تكسية حجرية وستائر معدنية فى الجزء السفلى ثم نقاط دفاعية قوية ، وبعد أن انتهى الإسرائيليون من بناء خطهم المنيع وأيقنوا تماماً أنه لا قبل لقوة عسكرية فى العالم أن تحطمه ، أرادوا تحطيم المصريين نفسياً ، فقاموا بمناورات عسكرية برية وجوية على

الضفة الشرقية للقناة وانطلقت مواسير النابالم على مياه القناة وأحالتها إلى كتلة من اللهب على مرأى من القوات المصرية على الضفة الغربية للقناة ، ثم جاء العرض الرئيسي ، وانطلقت طائرات السلاح الجوى الإسرائيلي من قاذفات سكاى هوك وفانتوم (اف - ٤) لتهاجم خط بارليف وتصب عليه وابلاً من النيران والقنابل زنة ألف رطل ، ولم تستطع كل هذه الطائرات والأسلحة أن تحدث أى نوع من الدمار داخل الخط الذى استفاد تماماً من أخطاء خط ماجينو الفرنسى وسيجفريد الألمانى وكل تجارب الحروب ، وتم كل ذلك أمام أعين الجنود المصريين على الضفة الغربية .

وفى وادى جحول بالخطاطبة أقامت القوات المصرية سداً ترابياً مشابهاً للسد الترابى الإسرائيلى على الضفة الشرقية للقناة ، وجاءت الطائرات لتقذف السد بكافة ما تملكه من أسلحة وذلك بجانب الضرب المباشر للمدفعية بكافة الأعباء التى لم تستطع أن تؤثر فى ارتفاع السد.

وجاء الخبراء السوفيت ، ورأوا أن الحل الوحيد هو استخدام قنبلة ذرية تكتيكية تقضى على هذا السد ، وأعداد هائلة من الهليكوبتر لنقل القوات المصرية بعد ذلك إلى ما وراء النقاط الحصينة للخط ، وأن خسائر القوات المصرية فى محاولة الاقتحام ستصل ما بين ٣٠ ، ٤٠ ألف رجل.

ولم ييأس المصريون ، وأخيراً اهتدى الفريق الشهيد جلال سرى مدير إدارة المهندسين الأسبق إلى فكرة عبقرية تقوم على استخدام القوة الهيدروليكية للمياه لنزح وإهالة السد الإسرائيلى .. وشهد شهر سبتمبر ١٩٦٩ أول تجربة لتجريف الساتر الترابى بالتعاون مع هيئة السد العالى وذلك باستخدام طلبمة تعمل بالكهرباء تعتمد على توليد طاقة ضخمة قدرتها ١٥٠ كيلو وات / ساعة وتحتاج إلى ونش لرفعها ، ولكن تبين أن استخدام هذه التجربة فى ظل ظروف

العمليات العسكرية مستحيلة ، وأعيدت التجارب فى مجال النسف على أمل تطويرها فى بداية عام ١٩٧١ ، وكانت التعليمات تقضى باستخدام طابور لضخ المياه من اقرب ترعة وتجريف سائر ترابى مشابه لسائر خط بارليف بأقل عدد من الأفراد ، وأن يتم تحميل الطلمبات والأفراد فى قارب خشبى يمكن حمله بأقل عدد من الأفراد ، وأن يتم تدريب الأفراد على تسلق السائر الترابى وضخ المياه على مسافة تعطى أكبر تأثير فى انهيار السائر مع تدريب الأفراد على الاحتفاظ بتوازنهم عند انحدار المياه الشديد جارفة معها الأتربة ، وأنشئ سائر ترابى بارتفاع ٢٦ متراً على مصرف الطلمبات بالقصاصين لعمل هذه التجربة، وتمت التجربة بنجاح على الرغم من عدم إمكانية تفادى اصطدام الأفراد بالمياه المتدفقة وانزلاقهم تحت تأثير المياه.

ثم انتقلت التجارب إلى منطقة القناطر الخيرية ، وتم التعاقد على شراء طلمبات ألمانية تحت ستار استخدامهما فى أعمال الإطفاء ، وبدأ التدريب ، ونتيجة للعديد من التجارب وجد أن أفضل السبل لإزالة السائر الترابى هو استخدام " طريقة الانهيارات المتتالية " وفيها تسلط المياه على قطاع متوسط من السائر الترابى ، وتظل مسلطة عليه حتى يحدث تجويف فيه ، ومحاولة زيادة هذا التجويف وصولاً إلى مرحلة الانهيار للقطاعات التى فوقه مع الأخذ فى الاعتبار حجم تراكم الأتربة المزاحة أمام القطاع المائى خوفاً من تراكمها حتى لا يتسبب ذلك فى إعاقة عملية إنشاء الكبارى ، ولتلافى ذلك خصصت طلمبة إضافية لعمل تيارات مستمرة فى القطاع المائى بحيث لا تترسب أى كمية من التربة المزاحة بالإضافة إلى عمل مجارى جانبية لتوجيه المياه الحاملة للتربة بعيداً عن قاع الممر.

وكانت هناك مشكلة أخرى هى عبور القوات المدرعة والميكانيكية من الضفة الغربية إلى الشرقية للقناة بعرض ٢٠٠ متراً تقريباً ، وتم الحصول على

كبارى تتصف بالآلية وإمكانية فردها وتركيبها فوق القناة ، كما تم التغلب على مصادر قواذف اللهب (النابالم) بأن تسلل عدد من الجنود المصريين فى يوم ٥ أكتوبر وأبطلوا مفعولها.

وفى الساعة الثانية بعد ظهر ٦/١٠/١٩٧٣ بدأت الحرب التى غيرت الاستراتيجية العسكرية فى العالم ، وبدأت افتتاحية الحرب بضربة جوية مركزة ومفاجئة ، حين انطلقت ٢٠٠ طائرة قتال اختيرت أهدافها بمهارة فائقة ، وكان لكل تشكيل جوى منها هدفه ووجهته ، ونجحت الضربات فى تدمير مطارات الميلز وتمادا ، وعشرة مواقع صواريخ أرض جو من طراز هوك، وثلاثة مواقع رادار بعيدة المدى ، ومحطتين للإعاقة ، وموقعين للمدفعية بعيدة المدى وثلاثة مناطق شتون إدارية ، والنقطة الحصينة شرق بور فؤاد ، وبلغ عدد طلعات القوات الجوية يوم ٦ أكتوبر ٣٠٠ طلعة جوية !..

وفى الوقت الذى أنجزت فيه القوات الجوية مهامها بشجاعة ، فتح ٢٠٠٠ مدفع هاون بالإضافة إلى لواء صواريخ النيران وتحولت الجبهة إلى جحيم يصب حممه لمدة ٥٣ دقيقة على قلاع خط بارليف الحصين ونقطة القوية وتجمعات الدبابات والقيادات ، وبلغ ما أسقطه أبطال المدفعية فى الدقيقة الأولى وحدها من التمهيد النيرانى ١٠ آلاف و ٥٠٠ دانه مدفعية ، بمعدل ١٧٥ دانه فى الثانية الواحدة !..

وتحت ستار هذه النيران عبرت جماعات الصاعقة وجماعات اقتناص الدبابات قناة السويس فى مهمة بث الألغام فى مصاطب دبابات العدو ، وشل حركتها بالكمان ، وفى خلال ١٥ دقيقة فقط من بدء المعركة كانت الموجات الأولى لخمس فرق مشاة وقوات قطاع بور سعيد قد نجحت فى اقتحام قناة السويس مستخدمة حوالى ألف قارب مطاط ، وبعد عدة دقائق وضع ٨ آلاف

جندى أقدامهم على الضفة الشرقية للقناة ، وبدأ الرجال الصائمون يتسلقون الساتر الترابى .. ويقتحمون دفاعات العدو وهم يحملون أسلحتهم الشخصية والأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات ، وهى المرة الأولى فى تاريخ الحروب التى يواجه فيها الإنسان الدبابات وهو ما يعد ظاهرة فريدة فى تاريخ الحروب.

وتقدمت وحدات المهندسين العسكريين تحت ستار أعمال قوات المشاة والمدفعية وقامت بفتح الممرات اللازمة فى الساتر الترابى باستخدام ظلمبات المياه ، وأتمت فتح أول ممر فيها بزمن قياسى لم يتجاوز الساعة ، وتوالى بعدها عمليات فتح الممرات ، ونجحت فى إقامة عدد كبير من المعديات ، وأنشأت ١٠ كبارى ثقيلة و ١٠ كبارى مشاة ، بدأت بعدها الدبابات والمعدات الثقيلة تدفقها إلى أرض سيناء.

وقد استطاعت قوات الصاعقة العبور بالقوارب المطاطية لمياه القناة على طول امتداد الجبهة من بور سعيد حتى السويس ، واشتركوا مع رجال المشاة فى مهاجمة حصون العدو ، ودار قتال مستميت على الطرق والمضائق وحرموا العدو من إمدادات البترول ، كما قام رجال البحرية ، بتدمير قطع العدو وتوجيه ضربات له ضد موانئه وأهدافه الساحلية فى سيناء والتمهيد بالمدفعية الساحلية والصواريخ.

وفوجئت قوات إسرائيل بارتفاع كفاءة القوات المدرعة المصرية فى القتال الليلى عن طريق تزويد الدبابات المصرية بأجهزة الإضاءة الليلية ، وأيضاً فوجئ العدو بزيادة قوة طائراتنا على الطيران المنخفض للإفلات من شبكات الرادار ، وكان من أهم دروس حرب أكتوبر حرب الصواريخ والطيران، إذ كانت هى أول حرب من نوعها فى تاريخ الحروب فى العالم ، وقد استطاع المصريون بكفاءة تخطيط وبناء أقوى حائط لصواريخ الدفاع

الجوى الموجهة المضادة للطائرات ، وبذلك أصبحت القوات الجوية الإسرائيلية عاجزة تماماً وكانت طلعاتها على جبهة القناة تسمى برحلة اللاعودة .

ونجح المصريون فى تحقيق أهدافهم فى أقل من ست ساعات ، واقتحموا القناة على مواجهة ١٧٠ كم بقوة ٨٠ ألف جندى مستخدمين قوارب المطاط ووسائل العبور المختلفة فى ١٢ موجة متتالية ، واستولوا على ١٥ نقطة حصينة للعدو ، وأكملوا حصار بقية النقاط القوية ، كما تمكنوا من الاستيلاء على رؤوس الكبارى ، وحققوا معجزات مازالت تدرس فى الأكاديميات العسكرية ، بل لم يكشف النقاب عن الكثير منها حتى اليوم .

أول عربي يحصل على جائزة نوبل

" جئت إليكم اليوم على قدمين ثابتتين ، لكي نبني حياة جديدة ، لكي نقيم السلام ، وبكل صراحة وبالروح التي حدثت بي إلى القدوم إليكم اليوم ، فأنتى أقول لكم : إن عليكم أن تتخلوا نهائياً عن أحلام الغزو ، وأن تتخلوا أيضاً عن الاعتقاد بأن القوة هي خير وسيلة للتعامل مع العرب .. إن عليكم أن تستوعبوا جيداً دروس المواجهة بيننا وبينكم فلن يجديكم التوسع شيئاً ، ولكى نكلم بوضوح فإن أرضنا لا تقبل المساومة وليست عرضة للجدل " .. كلمات واثقة أعلنها الزعيم الراحل محمد أنور السادات فى خطابه أمام الكنيست الإسرائيلى يوم ١٩٧٧/١١/٢٠ عقب إعلان مبادرته التاريخية للسلام بعد ثلاثين عاماً خاضت فيها مصر خمسة حروب شرسة ضد إسرائيل ، وقد أعلن السادات وهو منتصر فى آخر حروبه أنه على استعداد لأن يذهب إلى إسرائيل بحثاً عن السلام فى مبادرة لا يقوم بها إلا زعماء نادرون.

ولد السادات فى ١٩١٨/١٢/٢٥ بقرية ميت أبو الكوم بالمنوفية ، تلقى تعليمه الأولى فى قريته ثم جاء إلى القاهرة وعمره ١٢ عاماً حيث تلقى تعليمه الثانوى ، وفى عام ١٩٣٨ تخرج فى الكلية الحربية وعين فى سلاح الإشارة ، شارك فى معظم الحركات السياسية السرية التى قامت فى السنوات العشر

السابقة على ثورة ١٩٥٢ ، واعتقل عدة مرات لنشاطه السياسى ، كما فصل من الجيش بسبب هذا النشاط ، وبعد إطلاق سراحه عمل بالصحافة ، وفى عام ١٩٥٠ عاد مرة أخرى إلى سلاح الإشارة بالجيش برتبة يوزباشى وأصبح واحداً من الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة ١٩٥٢ .

وصباح الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أذاع بصوته أول بيان رسمى للثورة ، وأصبح أنور السادات وزيراً للدولة ثم أميناً عاماً للجنة الدائمة للمؤتمر القومى ، وبعد قليل أصبح رئيساً لتحرير الجريدة اليومية الناطقة باسم الثورة "الجمهورية" ، وفى عام ١٩٥٧ أصبح سكرتيراً عاماً للمؤتمر الإسلامى ثم أنتخب عام ١٩٦٠ رئيساً لمجلس الأمة ، وفى عام ١٩٦١ أصبح رئيساً لمجلس التضامن الأفرو آسيوى ، وفى العام التالى أصبح عضواً بمجلس الرئاسة ، وفى عام ١٩٦٩ أصبح النائب الأول لرئيس الجمهورية .

وفى عام ١٩٧٠ انتخب رئيساً للجمهورية خلفاً للرئيس جمال عبد الناصر ، وفى ١٥ مايو ١٩٧١ قاد ثورة التصحيح ضد مراكز القوى فى مصر آنذاك .. وفى عام ١٩٧٣ اتخذ قرار حرب أكتوبر لتحرير الأرض المحتلة وأشرف بنفسه على قيادة معاركها ، وهى الحرب التى غيرت من موازين القوى فى منطقة الشرق الأوسط ، واستطاعت أن تعيد إلى مصر ثقلها العسكرى والسياسى بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وأن تعيد إلى العرب جميعاً مكانتهم وهيبتهم ، كما استطاعت هذه المعركة أن تكون نقطة تحول هامة فى التاريخ العسكرى للحروب .

وفى عام ١٩٧٧ بدأ مبادرته التاريخية من أجل حل مشكلة الشرق الأوسط عن طريق إزالة الحواجز النفسية التى تفصل بين العرب وإسرائيل ، وتعتبر هذه المبادرة أهم حدث فى العالم خلال عام ١٩٧٧ ، وفى عام ١٩٧٨

أصدر كتابه " البحث عن الذات " وهو تسجيل لتاريخ حياته وحياة مصر منذ عام ١٩١٨ ، وفي نفس العام أسس الحزب الوطنى الديموقراطى وشارك فى قمة كامب ديفيد فى شهر سبتمبر مع الرئيس الأمريكى كارتر ورئيس الوزراء الإسرائيلى مناحم بيغن حيث تم توقيع وثيقتين هما :- إطار السلام فى الشرق الأوسط وإطار المفاوضات بين مصر وإسرائيل .

وفى عام ١٩٧٨ حصل على جائزة نوبل للسلام بالمشاركة مع رئيس الوزراء الإسرائيلى ، وفى عام ١٩٧٩ وقع على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلىة باعتبارها الخطوة الأولى على طريق السلام الشامل والدائم فى المنطقة ، والتي استطاعت مصر بمقتضاها استرداد جميع أراضيها المحتلة من إسرائيل .

وقد اغتيل الرئيس السادات فى ٦/١٠/١٩٨١ أثناء العرض العسكرى الذى أقيم بمناسبة احتفالات أكتوبر ، تاركاً صفحة نادرة تضاف إلى تاريخ مصر ، ومحدثاً تغييراً جذرياً فى التفكير العربى الإسرائيلى ، وهو ما أثبتت الأيام صحته عندما بدأت المفاوضات العربية الإسرائيلىة بعد خمسة عشر عاماً من مبادرته الفريدة.

د. مجدى يعقوب

معجزة جراحات القلب فى العالم

هو واحد من أشهر ستّة جراحين للقلب فى العالم .. وثانى طبيب فى العالم يقوم بعملية زراعة قلب بعد د.كريستيان برنارد .. أجرى أكثر من ألفى عملية زرع قلب خلال ربع قرن ... طافت سمعته العلمية المرموقة أنحاء العالم لأساليبه الخلاقة فى علاج أمراض القلب ... كرمته الملكة اليزابيث ملكة بريطانيا ومنحته لقب سير ووسام فارس عام ١٩٩٩ .

ولد فى ١٩٣٥/١١/١٦ ببلييس محافظة الشرقية ، درس الطب بجامعة القاهرة ، ثم سافر إلى شيكاغو ومنها إلى بريطانيا فى عام ١٩٦٢ لاستكمال دراساته ، وحصل على درجة الزمالة الملكية فى الجراحة من ثلاث جامعات بريطانية هى لندن وادنبرة وجلاسكو ، ولمهارته الفائقة عين رئيساً لقسم جراحة القلب عام ١٩٧٢ ثم رئيساً لمؤسسة زراعة القلب فى بريطانيا عام ١٩٨٧ .

وفى مستشفى هارفيلد فى شمال غرب لندن واجه صعوبات كثيرة حتى تمكن من اجراء أول جراحة ناجحة لزراعة القلب عام ١٩٨٠ ، وكانت هذه الجراحات قد ظلت تجرى لمدة ثلاث سنوات على نفقته ونفقة فريقه ومن تبرعات المرضى وغيرها من المصادر لإحجام نظام التأمين الصحى فى البداية عن تحمل تكاليفها ، وقد حققت الجراحة التى أجراها عام ١٩٨٠ لنقل قلب للمريض دريك موريس رقماً طبياً قياسيأ حيث عاش ٢٥ عاماً بعد إجرائه هذه

الجراحة الناجحة التي أصبحت علامة فارقة في جراحات القلب ، وكان مريض الجراحة الأولى للدكتور كريستيان برنارد قد عاش لمدة ١٨ يوماً بعد إجراء العملية .

وفي عام ١٩٨٦ سجل التاريخ الطبي للدكتور مجدى يعقوب نجاحه فى ابتكار جراحة " الدومينو" التى تتضمن زراعة قلب ورئتين فى مريض يعانى من فشل الرئة ، وفى الوقت نفسه يحفظ القلب السليم من المريض ذاته ليزرع فى مريض ثان ، وقد عرف عن د.مجدى يعقوب تفكيره الدائم فى الجراحات المعقدة ورغبته فى تحدى صعوباتها ، واكتشافه أساليب تقنية من شأنها تعزيز مهارات الجراحين بما يمكنهم من إجراء عمليات كانت يوماً ما أشبه بالمستحيلة.

وقد ساهم فى ذبوع صيته اهتمامه بإجراء جراحات مجانية فى الدول النامية ، وفى بلده مصر للمرضى وخصوصاً الأطفال الذين لا يستطيع ذويهم تحمل التكاليف الباهظة لهذه العمليات ، ويسافر الجراح العالمى على رأس فريقه الطبى المتكامل المعروف بإسم قاطرة الأمل لإجراء جراحات معقدة فى قلوب أطفال مصر وغيرها من الدول. كما ساهم فى تأسيس وحدة رعاية متكاملة فى مستشفى القصر العينى لعلاج التشوهات الخلقية فى القلب.

وفي عام ٢٠٠٠ اختار الشعب البريطانى د.مجدى يعقوب ليفوز "بجائزة الشعب" فى بريطانيا فى أول إطلاق لهذه الجائزة التى استحدثت لتكريم الأشخاص ذوى الانجازات المتميزة فى المملكة المتحدة ، وخلافاً لأسلوب الترشيح المتبع فى تنظيم الجوائز العلمية الأخرى من خلال لجان التحكيم ، فإن الفائزين بهذه الجائزة مرشحون من عموم الشعب البريطانى ، وفاز بها د.مجدى يعقوب عن جميع إسهاماته العلمية وإجرائه لأكبر عدد من عمليات زرع القلب فى العالم.

وفي عام ٢٠٠٦ فاز د.مجدى يعقوب. بالميدالية الذهبية فى المؤتمر العالمى لعلاجات القلب ببرشلونة بإسبانيا تقديراً من المؤتمر لحامل لقب "أكثر أطباء العالم إنجازاً فى عدد عمليات زرع القلب" ، وحرصت الملكة صوفيا ملكة اسبانيا على تسليمه المودالية تقديراً لدوره وللأعمال الخيرية التى يقوم بها.

وفي عام ٢٠٠٦ قطع د. مجدى يعقوب اعتزاله اجراء العمليات الجراحية - وهو القرار الذى اتخذه حين بلغ عامه الخامس والستين - ليقود عملية فائقة الصعوبة والتعقيد تتطلب إزالة قلب مزروع فى مريضة بعد شفاء قلبها الطبيعى ، حيث كانت الطفلة البريطانية " هنا كلارك" تعاني من تضخم شديد فى القلب مما استلزم إجراء جراحة لها لزرع قلب جديد حين كانت تبلغ من العمر عامين ، وكان قد أجراها د.مجدى يعقوب ، وقرر فريق الجراحة حينئذ الإبقاء على القلب الأصى وعدم إستئصاله ، وخلال الفحص الدورى للطفلة ، اكتشف الاطباء أن القلب المريض عاد للنض مرة أخرى ، بعد أن أسهم وجود القلب المزروع فى استعادته لحجمه الطبيعى وتعافيه ، وبذلك أصبحت هذه الجراحة أسلوباً جديداً للعلاج ، يقوم على زرع جهاز ميكانيكى لمساعدة القلب المريض حتى يتم الشفاء.

ثم نقلت وكالات الأنباء خبراً عن أول إنجاز فريد من نوعه فى العالم ، حيث نجح فريق طبي بريطانى يقوده د.مجدى يعقوب فى انتاج جزء من القلب يعمل مثل صمامات القلب ، وذلك بتوظيف الخلايا الجذعية وهى خلايا الجسد الأصلية. وصرح الدكتور يعقوب بأن الأطباء الباحثين سيتمكنون وفى غضون ثلاثة أعوام من توظيف أجزاء مطورة بهذه الطريقة بهدف استخدامها بدلاً من أجزاء نالفة فى القلب مثل الصمامات. وأشارت الوكالات إلى أن فريق الاطباء والباحثين والخبراء فى علوم الصيدلة والخلايا قد استمروا فى ابحاثهم وتجاربهم عشرة أعوام فى مستشفى هارفيلد من أجل التوصل الى هذا الانتصار العلمى.

ومن المعروف أن الخلايا الجذعية تمتلك امكانات هائلة فى التحول الى أى نوع من الخلايا المتخصصة .. وهو ما يفتح صفحة واعدة جديدة على درب تطوير قلب بشرى كامل وغير اصطناعى حيث اشار د.مجدى يعقوب " أن ذلك ليس خيالاً حيث يتوقع أن يتم التوصل اليه فى غضون عقد فقط من الزمن".

أول أديب عربي يحصل على جائزة نوبل للأدب

فى تمام الواحدة بعد ظهر الخميس ١٣ أكتوبر ١٩٨٨ حينما دقت الساعة الذهبية الكبيرة فى القاعة الرئيسية للأكاديمية الملكية السويدية ، كان قرار اللجنة الذى أعلنه الناقد " شتور اللين " أمام حشد هائل من الصحفيين من كل بلاد العالم .. إعلان فوز الأديب المصرى الكبير نجيب محفوظ من بين ١٥٠ أديباً وكاتباً عالمياً كانوا مرشحين لجائزة نوبل ، ليكون أول أديب عربى يحصل على هذه الجائزة التى حصل عليها قفم الأديب فى العالم.

ولد نجيب محفوظ فى ١١/١٢/١٩١١ بحى الجمالية ، وعندما بلغ اثنى عشر عاماً انتقلت أسرته إلى حى العباسية ، ولكن هذه الأعوام الاثنى عشر تركت بصمات واضحة على أعمال نجيب محفوظ فيما بعد .. حصل على ليسانس الآداب فى الفلسفة عام ١٩٣٤ ، ثم عمل موظفاً فى دواوين الحكومة ، وترقى فى السلم الوظيفى حتى وصل إلى منصب رئيس مجلس إدارة المؤسسة العامة للسينما ، فقد عين مستشاراً فنياً بها عام ١٩٦٢ ثم رئيساً للجنة القراءة بالمؤسسة العامة للسينما والإذاعة والتليفزيون فى أكتوبر ١٩٦٣ ، وصدر قرار جمهورى بتعيينه عضواً بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فى ديسمبر ١٩٦٥ ، ثم عين فى عام ١٩٦٧ رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة المصرية العامة للسينما ، وفى نوفمبر ١٩٧١ أحيل للمعاش.

نشر نجيب محفوظ أول قصة له وهى " ملوك تحت الأرض " وقد نشرها فى مجلة الشباب عام ١٩٣٠ وتدور أحداثها عن فتاة تقيم فى ماسورة مهجورة .. ثم كتب عدة روايات تاريخية زمانها ومكانها مصر الفرعونية وهى " عبث الأقدار " ١٩٣٩ ، " رادوبيس " ١٩٤٣ ، " كفاح طيبة " ١٩٤٤ .. ثم تجاوز المرحلة التاريخية إلى الواقعية النقدية والتي أكسبته دور الريادة فى الواقعية فى القصة العربية والتي امتدت من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٢ وتناول البناء الاجتماعى فى مصر قبل الثورة وتأثيره على الحياة الاجتماعية للطبقة الوسطى وروايات هذه المرحلة هى : القاهرة الجديدة ، خان الخليلي ، زقاق المدق ، السراب ، بداية ونهاية ، ثلاثيته الشهيرة بين القصرين وقصر الشوق والسكرية. ثم اتجه إلى الرواية الرمزية وعبر عنها فى سلسلة روايات اللص والكلاب - السمان والخريف - الطريق - الشحاذ - ثرثرة على النيل - ميرانمار - حب تحت المطر - خمارة القط الأسود .. وبعد نكسة يونيو ١٩٦٧ كتب رائعته الحرافيش .

كتب نجيب محفوظ أكثر من ٤٠ رواية ، ومجموعة من القصص القصيرة ، وسيناريوهات لعدد كبير من الأفلام.

حصل نجيب محفوظ على وسام الجمهورية من الطبقة الأولى ، ووسام الاستحقاق ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ، وجائزة النيل للسينما ، كما فاز بجائزة الدولة للأدب عام ١٩٥٧ عن قصته " قصر الشوق " وفاز بجائزة الدولة التقديرية للأدب عام ١٩٧٠ ، ومنحته رابطة التضامن الفرنسية العربية جائزتها عام ١٩٨٥ عن ثلاثيته التي ترجمت إلى الفرنسية ومنحته الدولة بعد حصوله على جائزة نوبل قلادة النيل.

ومما يذكر أنه عندما صدرت الترجمة الفرنسية لثلاثيته أفردت صحيفة

"اللوموند" صفحة كاملة للإشادة بالرواية ووصفته بأنه ملك الرواية فى العالم.

ويعد نجيب محفوظ أكثر الأدباء العرب الذين تحولت رواياتهم إلى واقع سواء على الشاشة أو خشبة المسرح ، وإن كانت السينما قد حظيت بالنصيب الأكبر ، وقد فاز المسرح بعدد من الروايات التى تحولت إلى مسرحيات أشهرها : خان الخليلي - زقاق المدق - بداية ونهاية - اللص والكلاب .

وتوج العالم تقديره لنجيب محفوظ بمنحة جائزة نوبل للأدب ، وفيما يلي نص حيثيات قرار لجنة الأكاديمية السويدية للأدب بمنح جائزة نوبل للأدب لعميد الرواية العربية :

" إن الإنجاز الحاسم والعظيم لنجيب محفوظ - ككاتب للرواية والقصة القصيرة - هو أن إنتاجه كان يعنى تحولاً كبيراً للرواية كعمل أدبي ولتطوير اللغة الأدبية فى الدوائر الثقافية الناطقة باللغة العربية .. ولعل مدى الإنجاز الذى حققه ، وهو أعظم من ذلك ، أن أعماله كانت تخاطب العالم ككل.

لقد صنع محفوظ اسمه الكبير فى عالم الأدب بثلاثيته الشهيرة خلال عامي ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ التى تتناول جزءاً من تاريخ مصر خلال الفترة من أواخر العقد الأول من القرن العشرين وحتى منتصف الأربعينات من خلال أسرة من الطبقة المتوسطة .. وكانت سلسلة رواياته تتميز بالعناصر الشخصية والأفراد وتربطهم بوضوح بالظروف السياسية والاجتماعية والثقافية ، وبصفة عامة فإن معظم أعمال نجيب محفوظ كان لها تأثير جدير بالاعتبار فى بلاده.

ومن أهم أعماله تلك الفكرة التى تناولها فى روايته غير العادية " أولاد حارتنا " التى كتبها عام ١٩٥٩ ويتحدث فيها عن بحث الإنسان اللانهائى عن القيم الروحية ، وبقائه فى مواجهة الصراع المستمر بين الخير والشر، وقد ترجمت الرواية تحت اسم " أولاد الجبلوى " .

وتأتى رواية "ثرثرة على النيل" ١٩٦٦ كمثال لأعمال نجيب محفوظ ذات التأثير الكبير ، وفيها نشهد الحوارات الميتافيزيقية حول الخيال والحقيقة ، وفيها أيضاً التعليق على المناخ الثقافى فى مصر ، وفى مجموعة قصصه الممتازة بعنوان " دنيا الله " ١٩٧٣ تبدو المعالجة الفنية الجيدة للمشاكل القائمة فى المجتمع.

وقد كان هناك اتجاه لتقسيم أعمال نجيب محفوظ طبقاً لمجموعة من الفترات ، فهناك رواياته التاريخية ، والواقعية والميتافيزيقية ، ولم يحدث ذلك بالطبع دون سبب .. وفى النهاية فإن أعماله هى إضاءة فى الحياة الإنسانية بصفة عامة".

د. بطرس غالى ... سكرتيراً عاماً للأمم المتحدة

بعد أسبوع واحد من إحتفاله بعيد ميلاده التاسع والستين فى نوفمبر ١٩٩١ ، وبعد نحو نصف قرن من العمل فى مجالات مهمة وصل فى كل منها إلى أقصاها ، فاز الدكتور بطرس غالى بجدارة بمنصب السكرتير العام للأمم المتحدة ليصبح أول عربى وأفريقى يتولى هذا المنصب الدولى الرفيع فى تاريخ المنظمة الدولية (١٩٩٢ - ١٩٩٦)، وفى أول إقتراح رسمى بمجلس الأمن جاء إنتخابه بأغلبية ١١ صوتاً وعدم معارضة أية دولة لترشيحه تأكيداً للتأييد الواسع الذى ظل يتمتع به هذا السياسى المصرى المرموق طوال عمليات الاقتراع غير الرسمية على مدى شهر حيث ظل يتصدر قائمة المرشحين لهذا المنصب.

ولد د. بطرس غالى فى ١٤ نوفمبر ١٩٢٢ بالقاهرة لعائلة مصرية عريقة ، وحصل على ليسانس الحقوق من جامعة فؤاد الأول - القاهرة - عام ١٩٤٦ وسافر إلى باريس لاستكمال دراسته فحصل على ثلاث دبلومات عليا فى ثلاث سنوات متتالية وحصل فى عام ١٩٤٩ على درجة الدكتوراه فى القانون الدولى من جامعة باريس.

وفور عودته لمصر عمل مدرساً للقانون الدولى بكلية الحقوق جامعة القاهرة حتى اصبح رئيساً لقسم القانون الدولى بها ، وعمل على إنشاء كلية

الاقتصاد والعلوم السياسية عام ١٩٦٢ وأصبح أول رئيس لقسم العلوم السياسية بالكلية الجديدة .

وفى عام ١٩٦٢ أختير مديراً لمعهد " داج همرشولد " للعلوم السياسية فى هولندا ، وأستاذاً مراسلاً فى الأكاديمية الفرنسية للعلوم السياسية ، وأشرف على رسائل الدكتوراه فى جامعات العالم المختلفة ، وانتخب د. غالى لرئاسة الجمعية المصرية للقانون الدولى ، وكأمين لمركز القانون الدولى فى نيويورك ، ونائب لرئيس الجمعية الدولية للقانون الدولى .

كما رأس د. غالى تحرير أول مجلة سياسية عربية وهى مجلة السياسة الدولية التى تصدر فى مصر ، واختير عام ١٩٧٧ وزير دولة للشئون الخارجية، وفى عام ١٩٩١ تولى منصب نائب رئيس الوزراء للعلاقات الخارجية ووزير الدولة لشئون الهجرة .

ولعب د.غالى دوراً كبيراً فى دعم علاقات مصر بأفريقيا وعق أسس علمى ، فأنشأ صندوق المعونة الفنية المصرى لأفريقيا ، كما أجرى مفاوضات لمدة عامين مع حكومة جنوب أفريقيا للإفراج عن المناضل الأفريقى نيلسون مانديلا ، وكان وراء تأسيس مجموعة الخمس عشرة التى تضم دولاً من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .. وكان عضواً فى الوفد المرافق للرئيس المصرى أنور السادات فى زيارته الأولى للقدس عام ١٩٧٧ وتولى الجانب السياسى فى مباحثات كامب ديفيد ١٩٧٩ ووصفها بأنها كانت واحدة من أصعب المفاوضات فى تاريخ الدبلوماسية فى العالم.

وبعد عودته من الأمم المتحدة رأس منظمة الفرانكوفونية الدولية والمجلس الأعلى لحقوق الإنسان فى مصر .

د. احمد زويل

الفتوتانية ... وجائزة نوبل فى الكيمياء

ولد احمد زويل فى ٢٦ فبراير ١٩٤٦ بمدينة دمنهور حيث تلقى تعليمه الأولى ، ثم انتقل مع أسرته إلى مدينة دسوق حيث مقر عمل والده حيث أكمل تعليمه حتى المرحلة الثانوية ، ليلتحق بكلية العلوم جامعة الإسكندرية .. ومنذ العام الأول انضم إلى قسم الامتياز حيث كان يتم رعاية المتفوقين علمياً ليكونوا نواة المشتغلين بالتدريس الجامعى والعمل فى المجالات البحثية ، وفى السنة النهائية حصل على المركز الأول وعين معيداً بكلية العلوم ، ثم حصل على درجة الماجستير فى علم الأطياف ، واختارته الجامعة ليسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليحصل على درجة الدكتوراه فى العلوم من جامعة بنسلفانيا عام ١٩٧٤ فى كيمياء الليزر .

ثم انتقل د. احمد زويل إلى جامعة بيركلى بولاية كاليفورنيا وانضم لفريق الأبحاث بها ، وفى عام ١٩٧٦ عين فى جامعة كالتيك كأستاذ مساعد للفيزياء الكيمائية ، وقد فضل هذه الجامعة عن غيرها لحصول خمسة وعشرين أستاذاً منها على جائزة نوبل .. وفى عام ١٩٨٢ نجح فى تولى منصب أستاذاً الكيمياء .

سجل براءة اختراع جهاز تركيز الطاقة الشمسية ، ثم حصل على جائزة الكسندر فون همبولدن من ألمانيا الغربية وهى أكبر جائزة علمية هناك ، كما

حصل على جائزة باك وتينى من ولاية نيويورك عام ١٩٨٥ ، وجائزة الملك فيصل فى الفيزياء .

وفى عام ١٩٨٩ انتخب احمد زويل بالإجماع عضواً بالأكاديمية الأمريكية للعلوم ، وكان أصغر الأعضاء سناً إذ كان عمره يبلغ ثلاثة وأربعين عاماً فقط ، وهى سابقة فى تاريخ الأكاديمية ، إذ لم تكن تقبل أعضاء تقل أعمارهم عن خمسة وخمسين عاماً مهما كانت إبداعاتهم العلمية .

وفى عام ١٩٩٠ تم تكريمه بالحصول على منصب الأستاذ الأول للكيمياء فى معهد لينوس بولينج.

قضى د. احمد زويل سنوات طويلة يبحث فى مجالات الليزر وتطبيقاته حتى استطاع أن يحقق سبقاً علمياً فريداً ، إذ توصل إلى اختراع كاميرا تعمل بالليزر يمكنها تصوير ورصد حركة الجزيئات عند ميلادها ، وعند التحام بعضها ببعض وهو ما مكنه من اكتشافه المذهل (الفمتوثانية) وهى وحدة زمن تعادل واحد على مليون من البليون من الثانية ، وكانت نصراً علمياً هائلاً فتح الباب على مصراعيه أمام العديد من الاستخدامات الطبية والعلمية.

وفى عام ١٩٩٨ فاز د. احمد زويل بجائزة "بنيامين فرانكلين" عن اكتشافه العلمى الكبير ، وتسلم جائزته فى احتفال كبير حضره ١٥٠٠ مدعو من أشهر العلماء والشخصيات العامة .. وفى عام ١٩٩٩ حصل على جائزة نوبل فى الكيمياء لإنجازاته فى مجال التفاعل الكيميائى فى زمن متناهى الصغر .. وقد منحته مصر أرفع أوسمتها " قلادة النيل " تقديراً لمكانته العالمية التى توجها بجائزة نوبل .

د. محمد البرادعى

رابع مصرى يفوز بجائزة نوبل

فى يوم الجمعة ٧ أكتوبر عام ٢٠٠٥ وقف قطار نوبل على ضفاف النيل للمرة الرابعة خلال ٢٧ عاماً ليعلن فوز أحد أبناء مصر العظام بجائزة نوبل للسلام وهو الدكتور محمد مصطفى البرادعى المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية مناصفة مع الوكالة الدولية التى يترأسها ، وذلك من بين ١٩٩ مرشحاً للجائزة هذا العام لينضم إلى قائمة المصريين الفائزين بجوائز نوبل .

وأعلنت اللجنة المانحة لجائزة نوبل للسلام التى جاء قرارها متزامناً مع الذكرى الستين لإلقاء سلاح الجو الأمريكى لقبلى " لتيل بوى " و " فات مان " الذريتين على مدينتى هيروشيما وناجازاكي فى أغسطس ١٩٤٥ ، أعلنت اللجنة أن قرارها منح الجائزة هذا العام إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية ورئيسها محمد البرادعى يأتى تقديراً لجهودهما فى منع استخدام الطاقة النووية فى الأغراض العسكرية وأنهما بذلا جهوداً كبيرة للتأكد من أن استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية يتم بأكثر الطرق الممكنة أماناً ، من جانبه أعرب الدكتور البرادعى عن اعتقاده بأن حصوله على جائزة نوبل للسلام سيعزز من عزمته ويساعد على حل بعض القضايا الكبيرة التى تواجهها الوكالة فى الوقت المعاصر .

ومع أن الدكتور البرادعى قد ولد فى حى المساحة بالدقى بالقاهرة فى

١٧ يونيو عام ١٩٤٢ ، إلا أن جذوره تعود إلى قرية أبيار - مركز كفر الزيات - محافظة الغربية وهى نفس القرية التى خرج من أصولها الشيخ عبد الرحمن الجبرتي مؤرخ الحملة الفرنسية الشهير ، وهى أيضا القرية التى كان والده نائباً عنها فى مجلس الأمة ، وكان عمل والده كنقيب للمحاميين السبب وراء عشقه ودراسته القانون .

وتعلق منذ نعومة أظافره بالكتب الكثيرة فى مكتبة والده ، حيث قرأ فى الآداب والعلوم والمعارف العامة ، ولكن أغلب قراءاته تركزت فى كتب القانون، حيث تخصص فيه إرضاءً لنفسه أولاً ولوالده ثانياً ... وتخرج محمد البرادعى فى كلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٦٢ .

وبدأ الدكتور البرادعى عمله فى وزارة الخارجية المصرية عام ١٩٦٤ ، وتدرج فى مناصبه حتى جاءت له فرصة الالتحاق بالبعثة المصرية فى نيويورك، وهناك جمع بين عمله واستكمال دراسته ، وبعد حصوله على الدكتوراه من الولايات المتحدة ، عمل مساعداً لوزير الخارجية المصرى عام ١٩٧٤ ، كما عمل فى المهمات الدائمة لمصر فى الأمم المتحدة بنيويورك وجنيف ، وكأستاذ للقانون فى كلية الحقوق بجامعة نيويورك .

وفى عام ١٩٨٠ أصبح مسئولاً عن برنامج القانون الدولى فى منظمة الأمم المتحدة ، ثم التحق عام ١٩٨٤ بالوكالة الدولية للطاقة الذرية ، حيث شغل بها منصباً رفيعاً كمستشار قانونى للوكالة، وفى عام ١٩٩٣ صار مديراً عاماً مساعداً للعلاقات الخارجية .

وفى عام ١٩٩٧ عين مديراً للوكالة بعد حصوله على ٣٣ صوتاً من إجمالى ٣٤ صوتاً فى اقتراع سرى ليكون أول مصرى وعربى يتولى هذا المنصب الكبير ، ثم أعيد تعيينه لفترة ثانية عام ٢٠٠١ ، ثم لفترة ثالثة بإجماع كل الأعضاء عام ٢٠٠٥ .

حصل على العديد من درجات الدكتوراه الفخرية والجوائز الدولية ،
وكرمه مصر بمنحة قلادة لفوزه بجائزة نوبل للسلام .

لقطات مصرية

قصر العينى :

أقدم مستشفى فى مصر ، وكان فى البداية قصرأ لأحد الممالك فى نهاية القرن الثامن عشر ، وقد جعله نابليون بوناپرت مستشفى حربياً لجنوده فى حملتهم على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) ثم أسس فيه محمد على مدرسة الطب ومستشفى ملحق به ، وقد ألحق بجامعة القاهرة بعد إنشائها.

القناطر الخيرية :

أنشأت فى عهد محمد على ، وقد اقترح إقامتها المهندس الفرنسى الشهير " موجل بك " ووقع الاختيار على المنطقة المعروفة باسم بطن البقرة حيث يتفرع فرعا النيل فى إتجاه رشيد ودمياط عند رأس الدلتا ، لترفع مياه النيل فى فترة الحاجة إلى الدرجة اللازمة لإمداد الرياحات بالكميات والمناسيب الكافية لرى أراضي الدلتا .. وقد بدئ فى إنشائها عام ١٨٤٣ ولكن العمل لم يكمل بها إلا عام ١٨٦٣.

وبمرور الوقت لم تعد القناطر الخيرية قادرة على أداء مهمتها ، وفى عام ١٩٤٠ تم افتتاح القناطر الجديدة التى أطلق عليها اسم محمد على.

أول طابع بريد فى العالم العربى :

صدر فى مصر عام ١٨٦٦ ، وكان عبارة عن مجموعة طوابع (سبعة) طوابع طبعت بمطبعة بولاق ، أما أول طابع بريد مصرى يحمل صورة امرأة ، فقد صدر فى عام ١٩١٤ وكان للملكة كيلوباترا ، وهو من المجموعة السياحية ، ثم الملكة نفرتيتى عام ١٩٤٧ بمناسبة المعرض الأول للفنون الجميلة ، وقد فاز هذا الطابع بجائزة أجمل طابع بريد فى معرض (مارينا ماسا) بإيطاليا من بين ٤٨ دولة مشتركة .. وفى عام ١٩٦٠ صدر طابع بريد يحمل صورة إيزيس بمناسبة الدعوة لإنقاذ آثار النوبة .. أما طابع البريد الوحيد الذى كان يحمل صورة امرأة ، وهو طابع بريد عادى وليس تذكاريًا فقد كان للفلاحة المصرية.

دار الكتب المصرية :

أنشأها على مبارك مدير المدارس - وزير المعارف فيما بعد - فى ٢٣ مارس ١٨٧٠ فى عهد الخديو إسماعيل ، وكانت فى بداية الأمر فى الدور الأسفل بقصر مصطفى باشا فاضل بدرج الجماميز ، ثم نقلت عام ١٩٠٤ إلى مبناها الشهير بباب الخلق ثم انتقلت إلى مبنى بكورنيش النيل.

وقد أنشأها على مبارك بأن جمع المخطوطات النفيسة التى لم تصل إليها يد التبديد لدى العلماء والأمراء والمساجد ومعاهد العلم ، كما اشترى مجموعات الكتب التى يملكها المصريون والأجانب.

أول كوبرى أقيم على النيل :

كوبرى قصر النيل ، أنشأه الخديو إسماعيل عام ١٨٧١ لربط سراى عابدين وسراى الجزيرة وهو أول كوبرى أنشئ على النيل من منبعه إلى مصبه، ثم استبدل هذا بالكوبرى الحالى الذى جعل طوله ٣٨٢ متراً وعرضه ٢٠ متراً وخصصت منها خمس أمتار لرصيفين على جانبيه وجعلت له فتحة ملاحية طولها ٦٨ متراً.

ومما يذكر أن أول كوبرى أقيم فى مصر من الحديد المسلح والفولاذ ، هو كوبرى أبو العلاء ، بناه عام ١٩١٢ جوستاف إيפל الذى صمم برج إيפל بفرنسا عام ١٨٨٩ .

الترام يسير فى القاهرة لأول مرة :

فى عام ١٨٩٤ صدق مجلس الوزراء على منح امتياز لإنشاء شركة الترام فى القاهرة ، ومنحها امتيازاً لمدة خمسين سنة ، وكان على الشركة أن تبدأ بإنشاء ثمانية خطوط لربط أنحاء القاهرة .. وفى ١٨ أغسطس ١٨٩٦ بدأ تسيير عربات الترام فى القاهرة ، فأحدث تسييره هزة فى النفوس التى كانت حتى ذلك الوقت لا تعرف سوى العربات وركوب الخيل أو الحمير وسيلة للمواصلات داخل العاصمة ، وفى عام ١٨٩٧ صدر أمر عال بردم الخليج المصرى ، وكان قناة مائية وتحويله إلى طريق عمومى مراعاة للصحة العامة من ناحية وتيسيراً للمواصلات فى القاهرة من ناحية ثانية ، إذ تعهدت شركة الترام أن تقوم بنفقات ردمه وتسيير الترام فيه.

أول ورقة مالية في مصر :

حتى نهاية القرن التاسع عشر كان الجنية الذهب المصرى هو أقوى عملة في منطقة الشرق الأوسط ، حتى احتاجت إنجلترا إلى كل قطعة ذهب وفضة في مستعمراتها فسحبته بوسائل مختلفة ، وأقامت مجالس لإصدار العملات الورقية.

وفي هذا الوقت عام ١٨٩٨ كانت مصر تقف على قاعدة صلبة من الذهب ، وفي نفس الوقت كان اللورد كرومر البريطانى يسعى لإقامة البنك الأهلى المصرى ، ويوقف عليه وحدة مهمة إصدار أوراق البنكنوت ، وكنوع من الإغراء المادى لسحب الذهب من المصريين حددوا قيمة الجنيه الورق بمائة قرش وثمان الجنيه الذهب بـ ٩٧,٥ قرشاً ، وكان هذا الفارق الكبير فى أسعار العملة دافعاً قوياً للتخلص من العملات الذهبية ، وفى عام ١٨٩٩ صدرت أول ورقة نقدية طبعوها فى لندن وعليها اسم البنك الأهلى المصرى.

وكالة البلح :

جاءت تسميتها من أنها كانت سوقاً عبارة عن مرسى صغير لاستقبال البلح من الصعيد تمهيداً لجمعه فى المنطقة وإعادة بيعه فى القاهرة والوجه البحرى ، ثم تحولت الوكالة أثناء الحرب العالمية الثانية إلى بيع مخلفات الجيش البريطانى والمصرى ، وكانت تطرح فى صورة بالات للتجار المصريين ، ويقوم بشرائها تاجر إيطالى اسمه " افارينو " وهو من حاشية الملك والسراية ، ويقوم بعرضها لصغار التجار المصريين ليحقق ربحاً عالياً .. واستمر احتكار افارينو حتى ظهر تاجر مصرى وهو " حسن صالح " واستطاع بنفوذه أن يحتكر سوق الخرذة .. وبمرور الزمن لم تعد الوكالة تبيع الخرذة فقط.

قصر البارون :

يوجد بضاحية مصر الجديدة ، وهو يعد واحداً من أجمل التحف المعمارية فى العالم ، استغرق تشييده ثلاث سنوات ، وتم بناؤه على الطراز الهندى فى الثلاثينات ، حيث بناه " البارون إمبان " البلجيكى الأصل والذى خطط ضاحية مصر الجديدة .

ويتكون القصر من خمس حجرات فقط ، ومساحة حديقته خمسة أفدنة ، ويمتاز بزخارفه الهندسية التى تظهر فى القبة الطويلة والحجرات المحلاه بتمثيل عن القصص الهندية الخرافية ، أما الحوائط فمرسوم عليها أجمل الطقوس الهندية.

وقد تم استيراد مواد بنائه من الخارج ، وتم تصميمه بحيث لا تغيب عنه الشمس أبداً ، فجميع ردهاته وحجراته تدخلها الشمس ، وقد استخدم فى بنائه المرمر والرخام الإيطالى والزجاج البلورى الأبيض والملون التشيكى ، ويستطيع من بالداخل أن يرى كل من بالخارج دون أن يراه أحد ، وقد زود بالعديد من التحف الثمينة ، واختارته جامعة كاليفورنيا قسم العمارة الشرقية فى استفتاء باعتبارها أجمل قصور الشرق الأوسط.

أول فريق نسائى عربى للقفز كان مصرياً :

بدأت قصتهن عندما أعلنت هيئة الفتوة عن إعداد فرقة للمظلات من الطالبات والمدرسات ، فتقدمت ٣٤ فتاة اختير منهن ١٢ فتاة بعد اختبارات طبية ورياضية ونجح منهن ٧ فتيات استطعن أن يقفزن من برج لا يعرفن ما يحيط به وذلك لتأكيد صفتى الثقة بالنفس وعدم التردد ، وكن فى الواقع مثبتات بحبال،

وبعدها أعدت الفتيات للقفز الحقيقي من الطائرة ، وكان التدريب شاقاً لمدة ثلاثة أسابيع بمدرسة المظلات ، وكان عمر الهابطات يتراوح بين ١٦ ، ١٨ عاماً ، وقد تمت تجربة التخرج على ملعب النادي الأهلي يوم ٣ فبراير ١٩٦٠ فى مهرجان الفتوة الذى ضم ١٢ ألف طالب وطالبة وجمهور ضخم من المدعوين وحضر الرئيس جمال عبد الناصر ، وتم القفز من الطائرات الاليوشن الحربية.

أحدث رياضة قدمتها مصر للعالم :

كرة السرعة وهى من ألعاب المضرب - التنس والأسكواش وتنس الطاولة - ابتكرها المهندس المصرى محمد لطفى ، وهى عبارة عن جهاز يتدلى منه حبل ينتهى بكرة تشبه كرة التنس ، وقد حصل عام ١٩٧١ على براءة اختراع اللعبة .. ويعد الاتحاد المصرى لكرة السرعة والذى تأسس عام ١٩٨٤ أول إتحاد رسمى للعبة فى العالم ، وبدأت الدول الأخرى فى إنشاء اتحادات مماثلة مثل فرنسا واليابان وإنجلترا وبلجيكا ، وفى عام ١٩٨٦ أقيمت أول بطولة دولية لهذه الرياضة فى مصر التى فازت بها .

أول دولة عربية تطلق قمراً صناعياً :

فى ٢٨/٤/١٩٩٨ تم اطلاق القمر الصناعى المصرى الأول نايل سات ١٠١ الى الفضاء من قاعدة كورو الفضائية بجيانا الفرنسية بأمرىكا الجنوبية بواسطة صاروخ الفضاء الاوربى اريان سبيس ٤ ، ثم أطلق القمر الصناعى المصرى الثانى نايل سات ١٠٢ بنفس الأسلوب السابق ، وكانت شركة ماترا ماركونى الفرنسية قد قامت بتصنيع واطلاق القمرين ، وفى ١٧ إبريل ٢٠٠٧

تم إطلاق قمر صناعى مصرى للاستشعار عن بعد (إيجيبت سات ١) وذلك بعد أربع سنوات من التعاون بين مصر وأوكرانيا فى بناء هذا القمر ، وكان الصاروخ الأوكرانى " دنيبر " قد نجح فى اطلاق القمر المصرى ووضعه فى مداره إنطلاقاً من قاعدة باكينور الروسية فى جمهورية كازاخستان.

ومن المنتظر أن يسهم القمر (إيجيبت سات ١) فى استكشاف بعض الثروات الطبيعية وتحديد أفضل مساحات مهيئة للاستصلاح الزراعى والعمراى بالإضافة إلى الأبحاث العلمية التى تعد أحد الأهداف الاساسية من وراء اطلاق القمر.

ساهم هذا المشروع فى تطوير خبرة وطنية مصرية يمكن أن تصبح قادرة فى المستقبل القريب على الاعتماد على نفسها فى بناء أقمار صناعية مصرية.

د. حسن مصطفى رئيساً للاتحاد الدولى لكرة اليد :

فى عام ٢٠٠٠ انتخب د. حسن مصطفى رئيساً للإتحاد الدولى لكرة اليد فى الانتخابات التى أجريت بالبرتغال حيث أقيمت بطولة العالم لكرة اليد ، ليكون أول مصرى وعربى يتبوأ هذا المنصب الرفيع ، وفى عام ٢٠٠٤ اعيد انتخابه للمرة الثانية وبفارق كبير عن منافسه فى الانتخابات التى أجريت بمدينة الغردقة .. وكان د. حسن مصطفى قد عمل فى التدريب قبل أن يتجه للمجال الادارى ، ثم تولى رئاسة الاتحاد المصرى لكرة اليد من عام ١٩٨٤ حتى ١٩٩٢ ، ثم تولاه من ١٩٩٦ حتى الآن حيث فاز فى الانتخابات الأخيرة التى أجريت عام ٢٠٠٤ بالتزكية.

المراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : الموسوعات

- أحمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر ، القاهرة : دار الشعب ، ١٩٧٣ .
- الموسوعة الذهبية ، القاهرة : سجل العرب ، ١٩٨٠ .
- سليم حسن ، موسوعة مصر القديمة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ .
- ناصر الأنصارى ، موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم ، الطبعة الثانية ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٧ .
- موسوعة المعرفة ، بيروت : شركة إنماء للنشر والتسويق ، ١٩٨٧ .
- موسوعة وصف مصر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢ .

ثالثاً : الكتب

العربية والمترجمة

- إبراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨-١٨٨١ ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، سجل العرب ، ١٩٨٢ .

- أحمد بهاء الدين ، أيام لها تاريخ ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ .
- أحمد حسين الصاوى ، فجر الصحافة فى مصر - دراسة فى إعلام الحملة الفرنسية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .
- أحمد زكى عبد الحليم ، نساء فوق القمة ، القاهرة : دار الفيصل ، ١٩٨٧ .
- أحمد عبد الحميد يوسف ، مصر فى القرآن والسنة ، القاهرة : دار المعارف ، سلسلة إقرأ ، العدد ٣٧٣ ، ١٩٨١ .
- السيد فرج ، رواد الرياضة فى مصر ، القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٨ .
- ألكسندر ستيبتشيفيتش ، تاريخ الكتاب - القسم الأول ، ترجمة محمد الأرنؤوط ، الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٦٩ ، ١٩٩٣ .
- بدر الدين أبو غازى ، رواد الفن التشكلى ، القاهرة : دار الهلال ، سلسلة كتاب الهلال ، العدد ٤١٣ ، ١٩٨٥ .
- بيير مونتيه ، الحياة اليومية فى مصر ، ترجمة عزيز مرقص ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ .
- جابر عصفور ، دفاعاً عن المرأة ، القاهرة : دار أخبار اليوم - كتاب اليوم - العدد ٤٩٢ ، مارس ٢٠٠٧ .
- جلال كامل ، اعرف بلادك ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، سلسلة من الشرق والغرب ، العدد ٩٨ ، بدون تاريخ .
- جمال بدوى ، طبيعة الأمة المصرية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦ .
- جمال بدوى ، نظرات فى تاريخ مصر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٢٢ ، ١٩٨٨ .

- جمال حمدان ، القاهرة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦ .
- جمال حمدان ، شخصية مصر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ .
- جورج بوزنر وآخرون ، معجم الحضارة المصرية القديمة ، ترجمة أمين سلامة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦ .
- جيمس هنرى برستيد ، فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ .
- حسن إبراهيم وآخرون ، الأزهر تاريخه وتطوره ، الطبعة الثانية ، القاهرة : الأزهر ، ١٩٨٣ .
- حسين فوزى النجار ، الإعلام المعاصر ، القاهرة : دار المعارف ، سلسلة إقرأ ، العدد ٤٩٥ ، ١٩٨٤ .
- حنفى المحلاوى ، شعراء أم كلثوم ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ .
- خليل صابات ، وسائل الإعلام - نشأتها وتطورها ، القاهرة : الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦ .
- رفاعة رافع الطهطاوى ، تخليص الإبريز فى تخيص بلريز ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ .
- رياض رمضان العلمى ، الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم ، الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٢١ ، ١٩٨٨ .
- سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٧٦ .
- سليمان حزين ، حضارة مصر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ .
- سيد كريم ، الكاتب المصرى وأدب القصة العالمى ، القاهرة : دار الهلال ، كتاب الهلال ، ١٩٨٨ .

- شحاته عيسى إبراهيم ، القاهرة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
٢٠٠١ .
- شوقى عطا الله الجمل ، دور مصر فى أفريقيا فى العصر الحديث ، القاهرة : الهيئة
المصرية العامة للكتاب - مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر - مصر النهضة ،
١٩٨٤ .
- صلاح قبضايا ، الصحف اليومية المصرية فى القرن التاسع عشر ، القاهرة :
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ .
- طارق مصطفى وحسين محمود ، العصر الذهبى للرياضة المصرية ، القاهرة :
بدون ناشر ، ١٩٨٨ .
- عباس الطرابيلى ، أحياء القاهرة المحروسة ، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ،
٢٠٠٣ .
- عباس الطرابيلى ، شوارع لها تاريخ ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
٢٠٠٠ .
- عبد الحميد الكاتب ، قراءات ودراسات عن مصر والمصريين ، القاهرة : كتاب
اليوم ، ١٩٨١ .
- عبد الرحمن الرافعى ، تاريخ مصر القومى ١٩١٤ - ١٩٢١ ، القاهرة : الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ .
- عبد الرحمن الرافعى ، عصر إسماعيل ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
٢٠٠٠ .
- عبد الرحمن الرافعى ، عصر محمد على ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
٢٠٠٠ .
- عبد الغنى عبد الرحمن محمد ، سيناء أرض التاريخ والبطولات ، القاهرة : بدون
ناشر ، ١٩٧٦ .

- عبد المنعم الجميى ، عصر محمد على - دراسة وثائقية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣ .
- عبد المنعم الجميى ، مصر فى التاريخ الحديث والمعاصر ، الطبعة الأولى ، القاهرة : بدون ناشر ، ١٩٩٢ .
- عبد المنعم شمس ، القاهرة قصص وحكايات ، القاهرة : كتاب اليوم ، ١٩٨٤ .
- عبد المنعم شمس ، شخصيات مصرية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ .
- عبد المنعم عبده ، عمالقة المتاش ، القاهرة : أخبار اليوم ، بدون تاريخ .
- عصمت محمد حسن ، جواتب من الحياة الإجتماعية لمصر من خلال كتاب الجبرتى ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣ .
- عفاف لطفى ، مصر فى عهد محمد على ، ترجمة عبد السميع عمر ، القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٤ .
- على الدين هلال ، السياسة والحكم فى مصر ، القاهرة : مكتبة بهضة الشرق ، ١٩٧٧ .
- على بركات ، رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين - العدد ٨ ، ١٩٨٧ .
- علية الجنزورى ، غارات أوروبا على الشواطئ المصرية فى العصور الوسطى ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين - العدد ٥ ، ١٩٨٧ .
- غالى شكرى ، نجيب محفوظ من الجمالية إلى نوبل ، القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٨٨ .
- لطيفة محمد سالم ، المرأة المصرية والتغيير الإجتماعى ١٩١٩ - ١٩٤٥ ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ .

- مايكل كارفر ، معركة العلمين ، ترجمة محمد إبراهيم عبد العزيز ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، سلسلة من الشرق والغرب ، ١٩٦٤ .
- محمد عبد الغنى وعبد العزيز الدسوقي ، روضة المدارس - نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .
- محمد عبد المنعم خفاجى وعبد العزيز شرف ، عباس محمود العقاد بين الصحافة والأدب ، القاهرة : الأنجلو المصرية ، ١٩٨٥ .
- محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، الطبعة الأولى ، القاهرة : دار الحديث، ١٩٨٦ .
- محمد محمود الجوادى ، الدكتور على إبراهيم ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة اعلام العرب ، العدد ١١٨ ، ١٩٨٦ .
- معن زيادة ، معالم على طريق تحديث الفكر العربى ، الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١١٥ ، ١٩٨٧ .
- منير محمد إبراهيم ، دراسات فى السينما المصرية - رواد وأفلام ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المكتبة الثقافية ، العدد ٣٩٣ ، ١٩٨٥ .
- ميمونة ومارية ، مجموعة أمهات المؤمنين ، القاهرة : دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، العدد ١٦ ، ١٩٨٣ .
- نبيل فرج ، طه حسين - وثائق أدبية ، القاهرة : دار الهلال ، ٢٠٠٣ .
- نعمان عاشور ، عشاق مصر ، القاهرة : أخبار اليوم - كتاب اليوم ، العدد ٢٢١ ، ١٩٨٣ .
- يوسف الحمادى ، طه حسين ، القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٨٧ .

رابعاً : الدوريات

- الأرشيف الصحفى لصحف الأهرام ، والأخبار ، وآخر ساعة ، والجمهورية ، والوفد ، والمصور ، والهلال ، وأكتوبر .

الفهرس

- ٩ - قبل أن تقرأ هذا الكتاب
- ١٣ - مصر فى القرآن الكريم
- ١٨ - مصر فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم
- ٢١ - كيف كانت مصر قبل أن يبدأ التاريخ؟
- ٢٥ - أول أبجدية فى العالم
- ٢٨ - أول جامعة فى العالم
- ٣٢ - أقدم تقويم فى العالم
- ٣٤ - المصريون .. أول من عرفوا صناعة الزجاج
- ٣٧ - الملك الذى بدأ به عصر التاريخ
- ٤٠ - فرعون
- ٤١ - أشهر الروايات العالمية .. أصلها فرعونى
- ٤٧ - أول بناء حجرى ضخم عرفه العالم
- ٤٩ - أقدم دساتير الأدوية فى العالم
- ٥٢ - الوحيدة الباقية من عجائب الدنيا السبع
- ٥٦ - مراكب الشمس
- ٥٩ - من الذى حطم أنف أبى الهول!؟
- ٦٢ - مصر تسجل أولى الرحلات فى تاريخ البشر

- ٦٥ - المسلات المصرية
- ٧٠ - أنبياء الله فى مصر
- ٧٣ - الملك الذى بنى قصر التيه
- ٧٦ - أول ثورة فى التاريخ
- ٧٨ - المدينة التى يوجد بها ثلث آثار العالم
- ٨١ - حتشبسوت
- ٨٤ - أقدم علم مصرى
- ٨٦ - أول ملك أقام إمبراطورية مختلفة الشعوب
- ٩٠ - السرابيوم
- ٩٢ - ممنون وطريق الكباش
- ٩٤ - أول ملك مصرى يدعو للتوحيد
- ٩٦ - رمسيس الثانى
- ١٠١ - أقدم معاهدة مكتوبة فى التاريخ
- ١٠٣ - الفراعنة يعظمون العالم الرياضة
- ١٠٦ - أشهر أوبرا فى العالم .. مصرية
- ١١٠ - جزيرة الأساطير
- ١١٣ - عندما أغرق أهل الواحات جيش قمبيز فى الصحراء
- ١١٥ - مصر تقدم للعالم فن الكاريكاتير
- ١١٧ - مكتبة الإسكندرية تغير علاقة الأرض بالشمس
- ١٢٠ - منارة الإسكندرية أول منارة فى العالم
- ١٢٢ - حصن بابليون والعائلة المقدسة
- ١٢٥ - مصريات :
- ١٢٥ - عصور التاريخ المصرى

- ١٢٥ - قدماء المصريين يحرمون لحم الخنزير
- ١٢٦ - أول مشروع لاستصلاح الأراضي في العالم
- ١٢٦ - أقدم وثيقة في تاريخ العالم
- ١٢٧ - أقدم وثيقة طلاق في العالم
- ١٢٧ - أول قناة بين البحرين الأحمر والأبيض
- ١٢٧ - أطباء بيطريون فراغة
- ١٢٨ - قدماء المصريين والنظريات الرياضية
- ١٢٨ - لماذا أقام قدماء المصريين مدنهم شرق النيل ؟
- ١٢٩ - الواحة العظمى
- ١٢٩ - مقبرة لا مثيل لها في العالم
- ١٣١ - المصرية التي تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم
- ١٣٣ - الإسلام يدخل أفريقيا من باب مصر
- ١٣٩ - أول مدينة إسلامية في أفريقيا
- ١٤٢ - أول مسجد في أفريقيا
- ١٤٤ - عند جزيرة الروضة ... بنى أول أسطول بحرى إسلامي
- ١٤٦ - أكبر مساجد مصر
- ١٤٨ - العروس الأسطورة
- ١٥٠ - ١٩ مدينة في العالم تحمل اسم القاهرة
- ١٥٣ - أبواب القاهرة
- ١٥٦ - أقدم جامعة دينية في العالم
- ١٦٢ - مصر تهدي العالم لعبة التنس
- ١٦٤ - قلعة الجبل
- ١٦٦ - مصر تكسو الكعبة المشرفة حتى عام ١٩٦٢

- ١٦٨ - المعركة التي أنقذت العالم من الدمار
- ١٧١ - خان الخليلي
- ١٧٣ - أول دولة عربية عرفت الصحافة
- ١٧٨ - الحجر الذي وضع أساس علم الآثار المصرية
- ١٨٠ - محمد علي وحلم مصرى الملامح
- ١٨٥ - أول مطبعة في مصر
- ١٨٧ - هذا الرجل دوّن تاريخ مصر
- ١٩٠ - أول خط سكك حديدية في الشرق
- ١٩٢ - أول مجلس نيابى في مصر
- ١٩٨ - عندما مات مائة ألف مصرى من أجل قناة السويس
- ٢٠١ - أول من نادى بتعليم المرأة
- ٢٠٤ - المرأة المصرية ... ومسيرة تحضر
- ٢٠٩ - أول سلام وطنى مصرى
- ٢١١ - قصر عابدين
- ٢١٣ - أول وزارة في مصر
- ٢١٧ - كان يوماً " حامى حمى الديار المصرية "
- ٢٢٢ - محمد عبده يؤسس أول صحيفة عربية في أوربا
- ٢٢٥ - عملاق الأدب العربى
- ٢٢٨ - سيد درويش
- ٢٣١ - أول دولة عربية وأفريقية عرفت السينما
- ٢٣٤ - رائد أدب الأطفال في العالم العربى
- ٢٣٧ - عميد المسرح العربى
- ٢٤٠ - أعظم متحف للآثار المصرية في العالم

- ٢٤٢ - أم كلثوم ... أسطورة تمشى على قدمين
- ٢٤٦ - أول بلد عربى وأفريقى عرف كرة القدم
- ٢٥١ - الرجل الذى قاد تمصير الطب
- ٢٥٦ - أول حزب فى مصر
- ٢٥٩ - النبيل الثائر
- ٢٦٤ - مصر صاحبة فكرة أهم البطولات الأفريقية والعربية
- ٢٦٧ - أول رواية عربية
- ٢٦٩ - أول دولة تشارك فى الأولمبياد من خارج أوروبا وأمريكا
- ٢٧١ - عميد الأدب العربى يحصل على أول دكتوراه مصرية
- ٢٧٦ - قصة اللاجئين السياسيين إلى مصر
- ٢٧٩ - الكنز الذى أصر أن يظل مصرية!!
- ٢٨٣ - سعد زغلول وثورة ١٩١٩
- ٢٨٨ - أول بنك مصرية
- ٢٩٠ - الملك الصغير وأعظم كشف فى تاريخ الآثار الحديث
- ٢٩٢ - لعنة الفراعنة
- ٢٩٤ - رئيس الوزراء يسقط فى أول انتخابات برلمانية
- ٢٩٦ - حينما نصب العرب احمد شوقى أميراً للشعراء
- ٢٩٩ - أول فنان فى الشرق ينحت تمثال ميدان
- ٣٠٢ - أول شرقى يعبر المانش
- ٣٠٦ - مصر تنشئ أول مجمع للغة العربية
- ٣٠٨ - الدكتور مشرفه كبير علماء الذرة المصريين
- ٣١٢ - الإذاعة المصرية تقود حركات التحرير
- ٣١٥ - الشيخ محمد رفعت

- ٣١٧ - الاسكواش المصرى يحصد بطولات العالم
- ٣٢٠ - المصرى الذى قال له هتلر : " كنت أتمنى لو كُنْتَ ألمانياً "
- ٣٢٥ - معركة العلمين تغير مسار الحرب العالمية الثانية
- ٣٣٠ - عندما فازت مصر ببطولة أوروبا فى كرة السلة
- ٣٣٢ - رياضة عملاقة فى الظل
- ٣٣٥ - السد العالى أعظم مشروع هندسى فى القرن العشرين
- ٣٣٨ - د. فاروق الباز يحدد مواقع هبوط الرواد على سطح القمر
- ٣٤٢ - المصريون ينهون أسطورة أقوى خط دفاعى فى التاريخ
- ٣٤٨ - أول عربى يحصل على جائزة نوبل
- ٣٥١ - د. مجدى يعقوب معجزة جراحات القلب فى العالم
- ٣٥٥ - أول أديب عربى يحصل على جائزة نوبل للأدب
- ٣٥٩ - د. بطرس غالى ... سكرتيراً عاماً للأمم المتحدة
- ٣٦١ - د. احمد زويل الفمثنائية ... وجائزة نوبل فى الكيمياء
- ٣٦٣ - د. محمد البرادعى رابع مصرى يفوز بجائزة نوبل
- ٣٦٦ - لقطات مصرية :
- ٣٦٦ - قصر العينى
- ٣٦٦ - القناطر الخيرية
- ٣٦٧ - أول طابع بريد فى العالم العربى
- ٣٦٧ - دار الكتب المصرية
- ٣٦٨ - أول كوبرى أقيم على النيل
- ٣٦٨ - الترام يسير فى القاهرة لأول مرة
- ٣٦٩ - أول ورقة مالية فى مصر
- ٣٦٩ - وكالة البلح

- ٣٧٠ - قصر البارون
- ٣٧٠ - أول فريق نسائي عربي للقفز كان مصرياً
- ٣٧١ - أحدث رياضة قدمتها مصر للعالم
- ٣٧١ - أول دولة عربية تطلق قمراً صناعياً
- ٣٧٢ - د. حسن مصطفى رئيساً للاتحاد الدولي لكرة اليد
- ٣٧٣ - المراجع
- ٣٧٩ - الفهرس